مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

وضع الفيلد مارشال الفون اريخ لودندورف



عربها — احمد رفعت — الجزء الاول

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلدمارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

SOUVENIRS DE GUERRE

١١٥

وضعها

اريخ لودندورف

رئيس المعسكر العام للجيوش الألمانية

وعربها

— احمد رفعت —

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

(الجزء الاول)

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

لودندورف

لا أبتغي أن أكتب تاريخ حياة لودندورف ، ولا أريد أن اسطر جمل الثناء عليه ، ولا أحاول أن أصفه للقراء وصفاً يقربه الى الأذهان ، فان لودندورف باعتباره أعظم قائداً أنجبته البطولة الخالدة لا يحتاج الى مثل هذ القلم الذى لا يسعه أن يوفي هـذا القائد العظيم حقه كيفما افاض فى الشرح أو تناهى فى دقة التعبير والوصف ، اذ يكفيه فخراً انه لبث أكثر من عامين يدير الكرة الارضية بين يديه القويتين ، ولكن الذى أريد أن أسطره تحت اسمه الخالد شيء خلاف ذلك كله : أريد أن أسطر سيرته الوطنية التى تجعل هذا الوطني الالمانى العظيم فوق مستوى أبطال العالم .

ان لودندورف لم يجاهد لادراك الفخر الكاذب والمجد الفانى بل لاجل انقاذ وطنه من النطاق الحديدى الذى كاد يقضى عليه القضاء الاخير . فلولا تمثل شبح لودندورف الهائل امام مخيلات الدول المتألبة على المانيا لما قبلت هذه الدول مهادنة المانيا قبل القضاء على جيشها واسطولها ، أو بمعنى أوضح قبل تمزيق المانيا كما مزقت النمسا . فالفضل فى بقاء المانيا حافظة قوامها متماسكة الاجزاء يرجع الى الخوف من وطنية لودندورف التى ستضرب بها الامثال على توالى الأجيال .

أما وطنية لودندورف فى أثناء الحرب فتتضح فى أجلى مظاهرها من تلاوة « ذكرياته عن الحرب » التى نجلوها اليوم فى حلة عربية زاهية لبنى الوطن المقدس خاصة وللناطقين بالضاد من أبناء الشرق عامة . وأما وطنيته بعد الحرب فتتمثل فى كل حركة تبدو الآن فى المانيا بقصد التخلص

من تحكم الدول المتفقة فلودندورف هو بطل الوطنية الالمانية بالأمس ولا يزال بطلها المرهوب اليوم ، واذا أمد الله فى أجله ليكونن بطلها العجيب المدهش فى الغد .

ان قوى العالم المتكالبة على المانيا لم تتغلب على وطنية لودندورف ولكن هذا البطل العظيم انسحب من ميدان الصراع بدافع الوطنية استبقاء على وطنه من تمزق وحدته بايدى الانقسام والفوضى . واذا كان قد أغمد حسامه لمصلحة وطنه بالأمس فانه لن يتلكأ في انتضائه غداً اذا ما مست حاجة الوطن الى اعماض بريقه الخاطف مرة أخرى

ولقد يرى المتأمل من خلال ما سطره يراع هندنبورج روح يأس يشعر بانه لا يعلل نفسه بالعمل لمصلحة وطنه بل ينتظر من الشبيبة الالمانية أن تعمل لمستقبل الوطن الالمانى ، أما لودندورف فلا يخامره شيء من ذلك ، إذ لا يزال عظيم الأمل ، قوي الارادة في العمل لمصلحة وطنه وفى اعادة ذلك الوطن الى حالته الأولى من الرقي والسؤدد . فوطنية هندنبورج حكيمة رزينة ، وأما وطنية لودندروف فتأجحة لا تلبث اذا ما عصف بها اعصار الحوادث أن تشعل بالسنة لهيبها كل ما حولها .

ولا نكاد نرى بين عظماء الابطال من يقارع ظروف الحدثان بعزمه الذى لا يفل له غرار سوى لودندورف فى المانيا وأنور باشا فى البلاد العثمانية . وهذا العزم الذى لا يفتر ولا يغالب هو الذى ألفت اليه أنظار أبناء وطني الاعزاء ليقرأوا في ضوئه الباهر آيات الوطنية البينات فلا يداخلهم عجز ولا وهن ولا ترهبهم قوة كيفما بلغ شأنها ، فان الايام تلد العجائب والمدار على الثبات وقوة الارادة فانهما دعامتا الوطنية الصادقة

واذا تخطينا هذه الكلمة الموجزة عن وطنية لودندورف فاننا قبل البدء في تعريب كتابه نقول انه اجمع وادق واصدق ما كتب عن الحرب

الكبرى فهو احفل بالتفاصيل من مذكرات رئيسه هندنبورج لأنه خاض غمار الحرب قبل رئيسه وافتتح الميدان الغربى بانتصاراته الباهرة فى بلجيكا وبما أنه كان رئيس المعسكر العام للجيوش الالمانية فهو الذى كان يتولى وضع الخطط وتنفيذها ويشرف على كل دقائق الاعمال ، بخلاف هندنبورج الذى كان عمله فى الأغلب مقصوراً على معرفة المشروعات المرتبة والخطط المجهزة والمصادقة عليها واستصدار الأوامر الصادرة بشأنها من الامبراطور ومقابلة رجال السياسة ومفاوضتهم باسم الجيش

ولعل الله يجعل من مادة هذا الكتاب وما سبقه من الكتب الاخرى خير غذاء صالح لتقوية الشعور الوطنى لدى قومى واكسابهم مثل عزيمة لودندورف التى لا يتسرب اليها الضعف ولا يتطرق اليأس .

مساء ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٢

احمد رفعت



المفتتح

في السنوات الأربع التي شغلتها الحرب لم اتوفق الى تدوين شيء عنها ، اذ كنت في حاجة الى الوقت . اما الآن ولدي براح كاف منه فاني لآت بعالم استطعه من قبل فاسطر كتذكرة خاصة ما انتقش في حافظتي من ذكريات الحرب .

لقد اقامتني الحياة في مراكز لها سلطة الادارة العملية . اذ دعينا نحن الاثنين القائد الفليد مارشال فون هندبنورج وانا معا والى جانبنا عدة من الرجال لتولى شؤن الدفاع عن البلاد .

فهذه الذكريات التي ادونها عن الحرب تبسط اعمال الامة الالمانية وجيشها التي اصبح اسمي خالداً بجانبها . فهي تصف ما بذلت جهدي في القيام به وتوضح ما كنت شاهد عيان فيه أثناء تصارع الامم من الوقائع التي لامثيل لها الى الالم فالذهول اللذين أصابا الامة الالمانية .

والى الآن لم يتسع الوقت امام الالمانيين ليستجمعوا قواهم ويتمالكوا أنفسهم . وذلك لأن أموراً جمة لا تزال تبهظ كواهلهم . على أن صورة الاعمال العظيمة التي قام بها جيشهم وأدتها داخلية بلادهم تهيء لهم النهوض باباء وشمم . ولكنهم ليس لديهم ما يسمح لهم بدرس العبرة المستخلصة من الحوادث التي ساقتهم الى ما أصيبوا به من الشقاء والبأساء لأن التاريخ يجري بلا هوادة في مجراه مكتسحا في طريقه الشعوب المتمزقة وحدتها والتي تقضي على أنفسها بأيديها .

لودندورف

كتب في السويد بجهة هيسلهولوسجورد فيما بين نوفمبر ١٩١٨ وفبراير ١٩١٩ وأكمل في برلين الى ٢٣ يونيه وهو يوم قبول — الصلح

رأيي وعملي

— ١ —

ان الاستيلاء على ليبيج بدأ سلسلة الانتصارات الألمانية . وأنه لعمل جرىء دفعت به قوة الذهن الى قوة الارادة التنفيذية

ان حملات الميدان الشرقي التي تمت في عامي ١٩١٤ والحملة التي تمت في ذلك الميدان بالمثل اثناء صيف ١٩١٦ كانت أعمالا حربية تعتبر من اهم المشروعات العسكرية التي حدثت في سائر الازمان . وقد عرضت الرؤساء والجنود الذين قاموا بها لأعظم التجارب والاختبارات . فقد كان للروسيين ثمت من الجيوش العاملة عدداً يربو بكثير على الجيوش المتحالفة الالمانية والنمساوية التي كانت تكافح في تلك الجبهة

على ان القتال الذي قمنا به نحن الاثنين القائد الفليد مارشال فون هندبنورج وانا ابتداء من ٢٩ اغسطس ١٩١٦ وهو يوم وصولنا الى المعسكر العام الاكبر هو الذي يمكن اعتباره اعظم واشق الحروب التي عرفها التاريخ حتى الآن . فما رأى العالمون من قبل ماهو أقوى وأشد تاثيراً من ذلك القتال . فأن المانيا التي كان يظاهرها حلفاء ضعفاء اخذت تصارع اعداء العالم بأسره . فكان من اللازم اصدار قرارات ذات خطورة تندمج في باب الاستثناء . وهذه القرارات كان الباعث عليها الموقف الحربي واعتقادنا في حالة الحرب وطبيعة الحالة العامة اذ ذاك .

وقد استعملت الجيوش البرية والجيوش البحرية في الكفاح الطرق المعروفة من قبل ، وأما القوى والمصادر التي استخدمت في هذا الغرض

فهي التي تجاوزت وحدها كل ما كان يتصوره العقل البشري . الا أن الصفة الخاصة التي امتازت بها هذه الحرب هي أنها جعلت شعوبا برمتها تندمج بعضها في بعض على اشكال كتل قوية خلف جيوشها ثم تتداخل في تلك الجيوش وتمتزج بها امتزاجا خاصا لا مثيل له . وفرنسا هي الدولة الوحيدة التي ظهر على ارضها مثل هذا المنظر في سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١

وما عرف في هذه الحرب متى كان ابتداء ظهور قوة الجيش والبحرية ولا متى كان انتهاء عزم الامة . وذلك لأن الجيش والأمة كانا ممتزجين بعضهما ببعض . وعلى ذلك فقد كان العالم يرى امام عينيه منظر حرب امم وشعوب بالمعنى الأتم . وقد تلاقت وجها لوجه اقوى دول الأرض مزودة كل واحدة منهن بكل ما أوتيت من حول وقوة . وكان ينضم الى الصراع الناشب بين القوى المتعادية في الجهات المتسعة وعلى امتداد منبسط البحار الصراع القائم ما بين نفوس الشعوب المتعادية وقواها الحيوية عامدة بعضها الى محو او شل البعض . ومن السهل بل من الامور التي ليس فيها خطر عظيم إشهار الحرب والقيام بالمعارك عند توفر الجيوش الكثيفة ، الا أننا القائد الفلد مارشال هندنبورج وانا لم نكن حاصلين على الاعداد الوفيرة في السنوات الثلاث الأوليات من الحرب ، فلم يبق أمامنا الا أن نعمل حسبما يقضي به ضميرنا وواجبنا وأن نتحمل تبعة ما نراه لازما لأدراك النصر . ولقد كان النصر في جانبنا طول هذه المدة .

وفي مارس سنة ١٩١٦ عند ما شرعنا في الهجوم العام بقوى لا عهد من قبل لألمانيا بمثلها وفي موقف موافق جدا ازاء خصومها أحرزنا انتصارات عظيمة ولكننا لم نستطع ان نتوصل بسرعة الى الفوز الجاسم . ثم جاء دور الضعف والفتور حينما بدأ الاعداء يتقوون شيئا فشيئا

— ٢ —

ان هـذه الحرب العالمية حرب الشعوب والامم قد أحوجتنا نحن الالمانيين الذين تحملنا أبهظ اعبائها الى مطالب ضرورية فى منتهى الفداحة فقد كان من الواجب علينا أن نبذل كل ما فى استطاعتنا من نفس ونفيس اذا شئنا أن نربح نتيجة هذه الحرب . وبمعنى أوضح كان من الواجب علينا أن نقاتل وأن نعمل الى آخر نقطة من دمنا وآخـر قطرة من عرقنا وأن نستمر على مواصلة مجهودنا فى النزال بل على أكثر من ذلك أي على مواصلة ابتهاجنا بالثقة القائمة فى نفوسنا : وهو حكم صارم إلا أنه لا يقبل النقض على الرغم من الصعوبات المادية التى يعترضنا بها الخصم وعلى الرغم من فداحة دعوة العدو الجوابة التى لا تنكف عن الانتشار بقوة وسوء قصد فظيعين .

ان الجيش والبحرية يستمدان حياتهما من الوطن كما تستمد شجرة السنديان مواد نمائها من الارض الالمانية ، وهما يعيشان من أرض الوطن التى ينفقان قواهما فى الدفاع عنها . وهما يتقبلان ما يحتاجان اليه لكنهما لا يستطيعان أن ينتجا حاجتهما ، وهما انما يقاتلان بما تهيئه لهما البلاد من القوى الادبية والجثمانية والمادية . وهـذه القوى هى التى تمكن الجيش والبحرية من الانتصار والتى تسمح لهما باقامة أدلة الاخـلاص الصادق والتضحية الفادحة فى الصراع اليومي وفى خلال أرزاء الحرب وخصاصاته ، وهما اللتان تستطيعان وحدهما أن تضمنا لألمانيا الفوز النهائى وبهما تمكن وطننا من مصارعة العالم بأسره ذلك الصراع التيتاني (أى الهائل الخارج عن قدرة البشر) ، وفى الواقع بالاستعانة بمناصرة حلفائنا وبالاتاوات والأمداد التى فرضت على الجهات المحتلة حسب مقتضيات القوانين الحربية

فكان من الضروري اذن ان يتلقى الجيش والبحرية من البلاد بلا انقطاع التشجيع الأدبي والرجال والأدوات على اختلاف انواعها وان تتجدد فيهما على الدوام دماء الحياة والنشاط .

وكان من الواجب تقوية الحالة الادبية والارادة الحربية فى داخل البلاد . والويل لنا اذا ما انقطع تجدد هذين الامرين ! وكلما امتد أمد الحرب ازدادت الاخطار جسامة وتعدداً من هذه الجهة وازدادت حاجتنا الى بذل المجهودات القصوى . وفى الوقت نفسه يصبح الجيش والاسطول فى حاجة الى الانعاش الأدبي .

وصار من المحتم مواصلة العمل الى النهاية القصوى والمحافظة على قوى الوطن الجسدية والمادية من كل شائبة .

وهذه مهمات عظيمة كان من الواجب على البلاد أن تؤديها . ولم تكن البلاد القاعدة التي يرتكز عليها دفاعنا الوطني الذي يجب ان لا ينقطع لحظة واحدة فقط ، بل كانت بالمثل الينبوع الفياض الذي يجب ان يظل سلساله سائغا صافيا وفوق ذلك شديد التدفق ليقوي أعصاب جيشنا واسطولنا ويمكن قواهما من التجدد بغير انقطاع . وكانت الأمة فى حاجة الى قوة داخلية تهيء لها تزويد الجيش والاسطول بمطالبهما الحيوية . فقوة البلاد وقوة الجيشين البري والبحري كانتا قويتي الارتباط بعضهما ببعض فلا يمكن عزل أحداهما من الاخرى . وعلى هذا فشجاعة مجاهدينا ترتبط ارتباطا محكما بالحالة الادبية الداخلية . فداخل البلاد كان يعمل ويحي لاجل الحرب ، وما مر فيما مضى من العصور مثل هذا المنظر ، وأصبح من الواجب على الحكومة وعلى المستشار المسئول أن يباشرا بنفسيهما هذه الحركة النشطة وأن يعملا على تقويتها

وكذلك كان على المستشار أن يقوم بمهمة أخرى عظيمة فى مجرى

الحرب وهى : ادارة الصراع القائم ضد جبهات العدو الداخلية . أفليس لألمانيا أن تستخدم هى أيضا هذه الآلة الحربية القوية التى يستخدمها أعداؤها كل يوم ضدها ؟ أو لا ينبغى لها أن تحاول اصابة الروح الادبي لدى شعوب الأعداء كما يفعل الاعداء لدينا ومن سوء الحظ انهم ينجحون فى عملهم هذا نجاحا باهرا ؟ وهذا الضرب من المصارعة كان مقصورا فى المبدأ على أن يستخدم داخل البلاد بواسطة الممالك المحايدة ثم انتقل فيما بعد الى أن يكون من ضروب القتال التى تستخدم ما بين الجبهة والجبهة . وفى الحقيقة ان المانيا كانت تعوزها وسيلة قوية لانتشار دعوتها : وهى ضرب نطاق المجاعة على الشعوب المعادية .

ان مهمة الحكومة عظيمة ازاء الامة بايصال الحرب الى نهاية حميدة . ولم تكن لدينا أية هيأة من هيات الحكومة مكلفة بتأدية ما هو أعظم من المهمة التالية : وهى جعل مجموع قوى المانيا المتحدة وقفا على أمر الامبراطور ليستخدمها فى سبيل الانتصار فى الهيجاء وفى سبيل مكافحة ذكاء الشعوب المعادية وحالتها الادبية . وعلى ذلك فقد صار نشاط الحكومة عاملا حاسما فى الحرب . وهذا هو الذى استوجب أن تكون الحكومة والرايخستاج والشعب متحدة فى الرأى وأن لا تتشبع الا بفكرة واحدة وهى : الحرب . فالحالة تتلخص فى التعبير الآتي : ان القوة كامنة فى البلاد ومفعولها ظاهر فى جبهة القتال .

وأهم ما يعترض من الفكر هو موضوع الصلح الذى كان واقرا فى الاذهان عدم التمكن من ابرامه الا باندفاع الحرب فى تيار هائل جداً . فالحكومة بسعيها لأجل مواصلة الحرب انما تعمل لأجل الوصول الى الصلح الذى كان الاستعداد لابرامه فى الحال واجبها الجوهري الآخر وعلى ذلك فما كدنا نصل الى القيادة العليا القائد الفيلد مارشال وانا

حتى خابرنا المستشار بعد دراسة الحالة العامة بآرائنا في مطالب الجيش التي هي فى الوقت نفسه مطالب البحرية وعرضنا عليه المهمات التى تتطلب هذه المطالب من داخل البلاد تأديتها . ودعوناه الى الاشتراك فى العمل الحربي وكنا على ثقة واطمئنان على الرغم من فداحة الحالة العامة المصحوبة بمظاهر التهديد .

لقد استقبلت الحكومة وصولنا الى القيادة العليا بتحية الحفاوة والترحيب . واتحدنا معها اتحادا مقرونا بالثقة والطمأنينة . الا أنه وجد على توالي الأيام تياران من الافكار المتناقضة ينبعثان من جانب الحكومة ومن جانبنا ويتصادمان عند نقطة الخلف . وهذا التناقض كان شديد الوطأة علينا وفى الوقت نفسه كان مصدرا لمشاكل جسيمة

لقد كانوا في برلين لايستطيعون أن يشاركونا فيما نراه من الضروريات التى تتطلبها الحرب ولا يجدون الارادة الحديدية المستولية على الشعب بأسره والتى لانعرف سوى فكرة واحدة وهى : الحرب والانتصار . أما ديمقراطيات دول الاتفاق الكبرى فقد توصلت الى ادراك مقتضيات الحرب الضرورية وعملت على ايجادها . فجمبتا فى سنتي ١٨٧٠ و ١٨٧١ وكليمانسو ولويد جورج فى خلال هذه الحرب تمكنوا بثبات عزيمة من وضع شعبيهم تحت تصرف الحرب بقصد الوصول الى الظفر . ولقد رأت حكومتنا بنظر غير صائب عدم الموافقة على ذلك الاصرار على مواصلة السعي لادراك المقصد النهائي ، وعلى تلك الارادة القوية المتجهة الى التدمير والاهلاك المتشبعة بهما دول الاتفاق . ولبثت الحكومة ملترمة خطة واحدة واضحة للعيان . فبدلا من جمع كل القوى الموجودة فى البلاد لاستخدامها فى الحرب ومن تقوية أعصابها الى النهاية القصوى للوصول الى الصلح المنشود من طريق ساحة القتال أخذوا يطرقون فى برلين سبيلا آخر ،

متكلمين ومعيدى التكلم فى التصالح والتصافى مهملين اجراء دماء الحمية فى عروق الشعب الالماني . وكانوا يحسبون فى برلين أو يريدون أن يحسبوا أن الشعوب المعادية تنتظر بنافد الصبر كلمات المسالمة فتنتقض على حكوماتها وتطالبها بابرام الصلح فكانوا يجهلون فى هـذا الصدد حالة تلك الشعوب والحكومات المعادية العقلية وقوة شعورها الوطني وصـلابتها فى تنفيذ ارادتها . وكأنما تاريخ المـاضي لم يلق درساً مفيداً على رجال برلين . فهم لايشعرون إلا بعجزهم عن التاثير فى حالة العـدو الادبية وبذلك يفقدون أملهم فى الظفر فيستسلمون الى أيدى الحوادث التي تتـدافعهم فى مجال الشكوك والريب . ومن هنا تولدت الرغبة فى عقد الصلح بدلا من العزمة على مواصلة القتال بقصد الانتصار . إلا أن طريق الصلح كانت مسدودة برغبة العدو فى سحقنا . وأهمل رجالنا تحريض الشعب على اجتياز طريق النصر المحفوف بالصعاب والمشاق

وكان الرايخستاج والشعب يريان انهما في عوز الى ادارة قوية ، وهي رغبة شديدة لدى الكثيرين . واذ لم يجداها اضطرا الى الاندفاع فى التيار الذي يحمل الحكومة الى أحرج المواقف . وعلى ذلك اخذت اهم المسائل الكبرى المختصة بالحرب تدخل شيئا فشيئا فى دائرة الاهمـال . بل لقد قضت عليها المناقشات السياسية والانانية الشخصية . وهذا هو مصاب الوطن .

من المحتـمل ان تفضى الثورة التى تزعزع اليوم اوربا الى نظام عالمي جديد ، وان تنضج افكار الشعوب وعواطفها فتجنح الى صلح عادل والى تعاطف انساني . اما شروط هدنة الصلح فلا تمهد الى سلوك هذين السبيلين . وعلى كل حال ففى خلال المدة التى توليت فيها رئاسة المعسكر العام لم يكن العالم قد تغير بعد .

فوجهة نظر القيادة العليا كانت منطبقة على ما صرح به الرئيس ولسن في نوفمبر ١٩١٨ للدفاع عن برنامجه البحري الكبير فى قوله انه لا يرى من الحزم العدول مذ الآن عن برنامجه البحري لاجل سياسة عالمية ستتمخض بها الأيام ولم يتخذ بشأنها أي قرار بعد.

وكذلك كتب رئيس مجلس جنود الجيش الرابع ما يماثل هذا القول فى نوفمبر ١٩١٨ قائلا :

« من الجائز ان يبني كثيرون من الناس الثورة على قاعدة امنيتهم الساميه . ولكن القائد من وجهة القتال مضطر لان يقول بان فلسفة دول الاتفاق لا تزال حتى الآن منتهجة الطريقة المادية . »

ان العالم اليوم مدهوش ومخدوع بامنيته السامية ولذا لا يرى الحقائق على علاتها . أما الشعب الالماني المفتون الواهم فسيدفع ثمن وهمه من حياته

ولقد كان رأى القيادة العليا كما يلي : لتبتدىء الانسانية قبل كل شيء فى الظهور بشكلها الجديد ثم نعمد نحن على الأثر الى وضع أسلحتنا والى التكلم فى المصالحة والتراضي ، أما اذا فعلنا غير هذا فاننا بالتأكيد نصبح معرضين للضرر . ان غصن الزيتون ليس الوسيلة التى تدفع بها صولة السيف . فما دام الناس ، وعلى الخصوص مادم أعداؤنا باقين على الجبلة البشرية المعهودة فيهم الى الآن فان الكلمة الواجب اتباعها بالنسبة لالمانيا وعلى كل حال بالنسبة لنا نحن الاثنين القياد مارشال وانا بصفتنا الرئيسين العسكريين المسئولين لايمكن أن تكون الا كما يلي : تجريد السيف وحمله مرهفا على الدوام . فكان إذن من أشق واجباتنا التشدد فى مطالبة الحكومة باتخاذ الوسائل الحربية الضرورية وبالتوفيق بين هذه الوسائل والقرار الذي استقرت عليه عزيمتنا بحكم الضرورة باعتباره الطريقة المثلى الوحيدة

وعمت القيادة العليا وجهها شطر السلطة النظامية فى كل المسائل .

وكانت الحرب تتطلب من هذه القيادة فى كل آونة قرارات سريعة وممتدة النفوذ . وكانت تتطلب على الدوام التشبع بروح العزم ولكنهم كانوا فى برلين يترسمون آثار وقت الصلح . ولذا لم تكن الاجوبة على أهم الشئون خطراً تصل الى المعسكر العام الا بعد بضعة أسابيع . وعلى أثر هذا التباطؤ الذي جنحت اليه السلطات البرلينية وتجاهلها ضرورات الحرب اتخذت لهجة التخاطب بين الفريقين شكلا حادا . ولقد أسفنا لهذا الامر . إلا أن نفسينا كانتا تجيشان على نيران الضجر ، إذ كان لابد لنا من العمل بسرعة لأن الامور المراد البت فيها كانت تتوقف عليها غالبا مسائل فى منتهى الخطارة .

لقد كان للحكومة فى زمن السلم تمام السلطة على سائر المصالح . وكانت وزارة الخارجية معتبرة فى دائرة لايسمو اليها النقد . فاصبح من الصعب على الوزارات ان ترى المعسكر العام ابتداء من نشوب الحرب يتمتع بسلطة لاتقتصر على مشاركة مستشار الامبراطورية فى تحمل اعباء التبعة الكبرى بل تتخطاها فى بعض الأحيان بحكم الضرورة الى انتهاج خطة شديدة ازاء برلين لم يعهد لها مثيل من قبل . وكنت اعنى ان تحسب الحكومة حسابا لهذه الحالة الواضحة تماما والمتناهية فى البساطة . ولم تختلف علائق القائدين فون ملولتك وفون فالكنهاين مع الحكومة عن علائق القائد الفليد مارشال وعلائقى معها .

على ان الحكومة ظلت متبعة مناهجها الخاصة بها ولم تشأ ان تضحي شيئا من مقاصدها وخططها فى سبيل تنفيذ رغائب المعسكر العام الاكبر . بل على عكس ذلك قد اهملت كثيرا من الأمور التى طالبناها بتنفيذها والتى لاغنى عنها فى سبيل فائدة استمرار الحرب .

وقد اضطر المعسكر العام الاكبر منذ ابتداء الحرب ان ينجز مهاما

تختص بدوائر اخرى غير دائرته مراعاة للمصلحة العامة . وقد تركت الى عهدة السلطة العسكرية مسائل مراقبه الصحافة ومراقبة المطبوعات الاخرى ومحاربة التجسس والسهر على التحريضات الثورية مع ما فى الاشتغال بهذه الأمور من احراج السلطة العسكرية واستغراق وقت وعمل كان ينبغي وقفهما على مجرى الحرب . وقد حدث ارتباك فى مشروعات الدوائر المسئولة بسبب اختلاط اختصاصات الاعمال بعضها ببعض والاحتياج الى الرجال الاكفاء اللازمين لكل ادارة . ولهذا فقد اضطر أركان الحرب العام تلقاء شعوره العظيم بمقدار التبعة الملقاة على عاتقه أن يعمل مباشرة ما يرى الحاجة ماسة اليه . على انه كان فى مركز يسمح باداء هذه المهام على أحسن ما يكون بفضل الضباط العديدين الذين كان فى وسعه أن يتخير ذوى الكفاءة منهم من بين فئة المستودعين . وهكذا انتقلت الادارة الى أيدى أركان الحرب العام . ومع ذلك فقد ظل التنفيذ موكولا فى غالب الاحيان الى رجال السلطة فى داخل البلاد ولم يعد الحد الفاصل ما بين اختصاص السلطات ذوات الاشراف على مجرى الامور واضحا . وصارت المنازعات غير ممكنة الاتقاء . ولا يمكن أن يحول دون حدوثها إلا قيام ادارة قوية الارادة ذكية نشطة فى الداخل ، ووجودها هو المرام الذى ينشده المعسكر العام الاكبر .

— ٣ —

لقد كنت أقدم بنفسي بصفتي رئيس المعسكر العام الاكبر الى الحكومة مطالب المعسكر العام الاكبر فى أغلب الاحيان وأتولى الدفاع عنها .

واني ما كنت أتوقع نفعا من جهة كبار الرجال ولا من جهة الاحزاب السياسية . فأما الاحزاب التى لم تتكلم إلا عن التصالح والتراضي بدلا من

أن تستثير حمية الامة الحربية فلا يمكنها أن توافق على ضرورة ما يتطلبه المعسكر العام الاكبر . وأما من جهة الحكومة فأفكارها تطابق اراء تلك الاحزاب . وعلى ذلك فقد اتفقت الحكومة واحزاب الاغلبية في حكمها على الحالة العقلية العسكرية .

وبالطبع انني كنت التقى بكثيرين من الانصار بين رجال الاحزاب الذين كانوا يرون مثلي استحالة الصلح والتراضي ما دام العدو مصمما على فكرة المحو . وكانوا يطلبون بذل اعظم مجهود لاجل مواصلة الحرب الى النهاية . ولم أوجه خطابي اليهم يوما ما ولكنهم هم الذين كانوا يخاطبونني ويخطبون في صدد أفكاري بمحض ثقتهم بي . وهذه الاحزاب كانت تمثل الاقلية وهي أحزاب اليمين . ولهذا كان ينعتني الآخرون بأنني رجعي في حين انني لم يكن لي عيب لديهم سوي تصميمي على مواصلة القتال . ولو كنت اوافق الاحزاب الديمقراطية على آرائها لكنت أجد بالطبع اشياعا لي بينها وكانت أحزاب اليمين ربما تطلق علي لقب « ديمقراطي » بل لقد حدث شيء من هذا القبيل في بعض الاحيان .

أما أنا فلست في الحقيقة رجعيا أو ديمقراطيا بل أنا مجرد نصير لتمتع قوة الامة الالمانية بالرفاه والرقي الفكري والادبي كما كنت نصيرا لاستتباب الأمن والنظام وتوطيد سلطة الحكومة في البلاد . وهذه هي الدعائم التي ينهض عليها صرح مستقبل الوطن . وكان المقصد المنشود أثناء الحرب هو ما يأتي : مواصلة الحرب بأقصى ما يمكن من الشدة وسير حياتنا العسكرية على أتم نظام وكذلك انتظام حياتنا الاقتصادية التي يجب أن تظل دائرة حول هذا المحور حتى بعد انتهاء الحرب .

ان جمود الحكومة في شئون كثيرة كان يدعو أحيانا بعض الاصدقاء المتأججة في قلوبهم نيران الحمية الى الامتزاج بي بدون أن أمهد الى ذلك .

بأي قول ويناضلون لأجلي الاحزاب التى تخالفنى فى وجهة نظرى . وما كنت اعمله كان غير متخذ شكلا خاصا ومنفصل عن مجموع الاعمال الاخرى . ولهذا فقد كانت بعض الاعمال أو بعض الجمل تحمل خطأ على غير محملها الحقيقى ، أخذت تنتشر اشاعات لا نصيب لها من الصحة . فحملتنى صراحتى العسكرية فى بادئ الامر على أن اقابلها بالاستخفاف : لأن ذلك كله لم يكن شيئا مذكوراً في جانب المهمات العظيمة المسندة الي . الا ان هذا الاستخفاف بدأ لى فيما بعد كأمر يؤسف عليه الا انني لم يكن فى استطاعتي ان احول عنه . ولقد رجوت من الصحافة عدة مرار الاهتم بشأني. على انني من جهة اخري كنت منهمكا فى العمل بطريقة لا تمكنني من الرد على ماارمى به . ولم يكن لى منبر خطابة أرتقيه وفضلا عن ذلك فقد كنت اعتقد أن الشعب الالمانى كان يعلم حق العلم بالحقيقة القاسية . أما الحكومة فقد كانت سعيدة جدا بحصولها على مانعة للرعود ، وبدلا من توليها الدفاع عني تركت المحرضين ينفثون سمومهم وأخذت تصمني بوصمة المتحكم المستبد متحصنة خلف المعسكر العام الاكبر فأدى هذا العمل الى ان لا يكون اسمي متداولا على ألسنة الجمهور . وهذه هى صورة المنظر العام لما كان حادثا اذ ذاك . وكان المستشاران الدكتور ميخايليس والكونت فون هرتليج خارجين عن دائرة هذه الاعمال الا ان الضرر العظيم كان قد صار اعظم من أن يتلافى — بالنظر لمركزى العسكرى — ونجم عن هذا الضرر مصاب وطني عظيم .

لقد القيت على عاتق القيادة العليا وعلي انا ضمنا تبعة عدة حوادث مؤلمة . فمن قبيل ذلك ما استند الي من انني السبب فى تعذر تموين داخلية البلاد بما كانت تتزود به قبل الحرب الامر الذى لم يكن فى وسعى ان افعل شيئا لتلافيه فى حين اننا نحن المشتغلين بشئون المعسكر العام الاكبر لم يكن لنا صوت مسموع في مسألة تموين داخل البلاد . بل كان مرجع ذلك

العمل الى وزارة الحربية والى المقدار المقدم للتموين .

وسمعت بعد سفري أن الزعماء الاشتراكيين يقولون انني مسئول عن الطريقة التي كان يتبعها القواد حكام الجهات ازاء حق الاجتماع . وأن هذا الامر بعيد بالمرة عن دائرة اختصاصي .

والامر الآتي ربما يكون له صبغة ذات أهمية خاصة بالمثل فقد عزيت الي في خلال فصل الشتاء الواقع بين عامي ١٩١٦ و١٩١٧ ازمة النقالات والفحم ، والخطأ المترتبة عليه هذه الازمة يرجع الى عدم التبصر الذى حدث قبل وصولي الى المعسكر العام الاكبر . وفى فبراير عام ١٩١٧ طلبت تعيين مندوب خاص بالفحم ، الا انهم لسوء الحظ لم يتوفقوا فى الحال الى ايجاد الموظف الجدير بهذا المركز . ولم يفكروا مرة اخرى فى اختيار الشخص اللائق الا بعد مدة من الزمن . وفى صيف سنة ١٩١٧ اخرج المعسكر العام الاكبر من جبهة القتال ٥٠٠٠٠ من عمال مناجم الفحم فادى هذا العمل الى توفر المخزون من الفحم بكثير عن مثيله فى العام السابق. ولكن كل هذا لم يستوجب الرضا عن المعسكر العام الاكبر الذى كان عمله ناجعا والذى استطاع ان ينتج فائدة فى هذه المرة اكثر مما كان فى وسعه عمله من هذا القبيل فى شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ . غير أن الانصاف لم يكن من شأن أولئك الذين أرادوا تسوئ سمعتى لدى الجمهور أو أولئك الذين مع علمهم التام بحقائق الامور كانوا مع ذلك، يحبذون تلك الاعمال الموجهة ضد شخصى

وبالقاء التبعة الهائلة لكل ما يحدث على عاتقى فقد كنت اتمنى انتهاء الحرب، ولم يكن في وسعي ان اتمني شيئا خلاف ذلك . وطالما اعلنت رأيى فى هذا الصدد . ولكن الذى كان يجب لانهاء الخصومات هو الحصول على صلح يضمن لالمانيا استتباعها السير فى طريق الحياة ، وبغير ذلك نكون قد

خسرنا الحرب . وكنت اجد ان الصلح لا يتهيأ الا اذ كان العدو يرغبه هو ايضا بطوية صادقة . وكان يلوح لى خطر ظهورنا بمفردنا فى مظهر الراغبين بشدة فى ابرام الصلح .

وكنت اعرف ان التكلم فى امر الصلح وتمنيه من صميم الفؤاد امران لا يؤديان الى ابرمه ، وذلك لان الفكرة السلمية التي تحبذ الصلح والتراضى كان الكثيرون يتخذونها سلاحا ضدنا . ان عدداً كبيرا من الناس كان صادقا في تمنيه انتشارا السلام العام : وهو شعور يتجه الى أمنية سامية شريفة لم يتم الى اليوم تحققها فى هذا العالم الحافل بالصراع الدائم . ولكن هل علم أولئك الناس اذا كان العدو يوافقهم على شعورهم وأمانيهم ، وفي حالة عدم موافقته اياهم هل هم على تمام العلم بما ينجم من المصاب الجسيم عن تحريك ونشر فكرة امكان عقد الصلح في كل وقت بأضعاف عزائم الرجال المستعدين لتضحية نفوسهم في سبيل هذه البلاد الى درجة لا تسمح باعادة تحميسها مرة اخرى ؟ لقد بعثوا فى نفوس شعبنا الرغبة في الصلح ولم يبعثوا بها في نفوس الاعداء . وقد جعلوا عقد الصلح في منتهى الصعوبة لان دول الاتفاق بعلمها بما كان يحدث عندنا استخدمت هذا العلم في مصلحتها . وكذلك جعلوا مجهود القيادة العليا لحمل العدو على طلب الصلح بالوسيلة الوحيدة المؤدية الى ذلك وهي اقناعه بعزمنا على مواصلة الحرب الى النهاية في منتهى الصعوبة والاشكال . فهم اذن على الرغم من تزودهم بامنيتهم السامية مسئولون عما لحق بالوطن من المصاب العظيم !

وما عرفت على اثر ماعلمته من موقف العدو أن قد عنت لنا فرصة تسمح بابرام صلح مؤد الى التراضى بطريقة عادلة معقولة . وكل ماانتشر في هذا الصدد تداولا بالألسنة أو اذاعة بواسطة الصحف لا أساس له من الصحة ، ولم تطلع الحكومة يوما ما القيادة العليا على شواهد تجيز احتمال

عقد الصلح .

ومما لاشك فيه اننا كنا نستطيع في كل آونة ان نحصل على الصلح الذي اضطرنا الى التوقيع على شروطه الآن . فاي مستشار وأي سياسي بل أي رجل ذى عواطف المانية كان يستطيع الرضا بمثل هذا الصلح ؟ أما اي صلح آخر فلم يكن من الميسور التوصل اليه وكل الناس كانوا يعلمون ذلك ، فكان من المحتم علينا اذن ان نكافح لأجل الانتصار ما دامت الحرب قد استطار لهيبها .

ولقد تشبع ذهن الكونت زرنين فى آخر الأمر بهذه الافكار نفسها مثل تشبعى بها على الرغم من كونه لم يشأ ان يبقى متمسكا بها . وفى هذا الصدد يقول فى خطابته التى القاها يوم ١١ ديسمبر سنه ١٩١٨ :

« لقد كان الموقف دائما كما يلي : اننا لو اخترنا فرصة حربية موافقة لاستطعنا ان نقترح شروط صلح اذا قرن بقبول عدة تضحيات ربما كان يصادف حظ القبول لدى دول الاتفاق . ولكن الرجال العسكريين الالمانيين كلما ازداد حظهم من الانتصار ازدادوا توسعا فى مطالبهم ، واذا ما فازوا بانتصارات كبرى صار اقناعهم بالعدول عن تلك المطالب يكاد يصبح مستحيلا

« على انى اعتقد من جهة اخرى انه لم توجد فى تاريخ هذه الحرب سوى فرصة واحدة كان من الممكن ان يتم فيها مثل هذا المسعى وهى : الفرصة التي سنحت بعد معركة جورليس الشهيرة . »

ومعركة جورليس حدثت فى مايو ١٩١٥ ، فلم توجد بعدها اذن — حسب رأى الكونت زرنين — آونة اخرى كان من المحتمل ابرام الصلح فيها مع تقديم تضحيات كبيرة من المطالب الالمانية . وسواء أوجدت فرصة احتمال عقد الصلح فى مايو ١٩١٥ ام فى آونة اخرى فأني اقول

فى هذا الصدد ما يلى :

ليس العسكريون الالمانيون فقط هم الذين كانوا يمتنعون عن قبول صلح على تلك الصفة بل الشعب الألماني بأسره كان يمتنع عنه طالما يشعر فى نفسه بالقدرة على مواصلة الكفاح ! فكان من الواجب اذن على رجال الحكومة ان يقووا هذه الثقة بالنفس وهذه الصلابة ليمكنوا الوطن بالفعل من الظفر وليقوه عواقب الانهزام الفظيعة . ولكن لم تكن موجودة لدينا أوساط لها مثل قوة ارادة اعدائنا . وماذا تهم ارادتنا نحن ؟ انها لم تتغلب على ارادة العدو . فكلما تكللت ارادتنا بأكاليل الظفر الالماني يبتدىء رجال السياسة الألمانيين فى التكلم عن الصلح والتصافي . . .

— ٤ —

لقد لبثنا نحن الاثنين القائد الفيلد مارشال وأنا نعمل مدة اربع سنوات باتفاق تام كأننا رجل واحد . وكان احب شيء الي وأدعى أمر للسرور لدي ان اراه ظاهرا للعيان فى مظهر اعظم رجل فى هذه الحرب امام انظار الشعب الألماني وان يعتبر ممثل الانتصار ورمزه المحبوب .

ولقد أراد الفيلد مارشال ان يشاطرني مجده . فعمد الى الأشادة بذكرى اثناء الحفلة التى اقمناها في ٢ اكتوبر ١٩١٧ احتفاء بعيد ميلاده السبعيني اذ عبر عن شعوره نحوى بالفاظ تدل على تأثره العظيم .

وكان القائد الرئيس يتحمل تبعة مركزه امام العالم اجمع وامام نفسه وامام جيشه وامام وطنه . و بصفتى رئيس اركان حرب ورئيس المعسكر العام كنت كذلك على أتم الاستعداد لأن اتحمل اعظم عبء من هذه التبعة وكان ضميرى عظيم الارتياح الى تحمله ، فكنت اذن مستعدا فى كل وقت ان أبسط تفاصيل اعمالى وان اقبل المناقشة فيها .

لقد كانت آراؤنا فى وضع الخطط والمشروعات الحربية تتفق أحكم اتفاق . فنجم عن ذلك حدوث اتحاد بديع فى تساندنا فى اعمالنا . فبعد ان أتفاوض واتباحث مع مساعدي اعرض بأيجاز على القائد الفليد مارشال آرائى عن الخطط والمشروعات التى يجب ان تتم بموجبها كل الاعمال الحربية واختتمها بالتصميم النهائي ، فكنت أسر بأن أرى القائد الفيلد مارشال — منذ معركة تانينبرج الى يوم ارتحالى فى سنة ١٩١٨ — دائما على اتفاق معى فى الرأي ومؤيداً لى فى كل مشروعاتى .

وكنا نشترك كذلك فى اعتقادنا فى هذه الحرب الوطنية وفى الامور الضروية التى تتطلبها . وكذلك كانت وجهة نظرنا فى مسألة الصلح واحده. فأن القائد الفليد مارشال كان يريد مثلى تأمين حياة الشعب الألماني من كل اعتداء عليها فى المستقبل . ولهذا فقد كان يلقى فى كفة الميزان كل قيمته الشخصية ليجعلها راجحة من جهتنا .

وكان اولئك الذين تحرج نفوذهم سلطة القيادة العليا أو يمكنها ان تؤثر فى مجرى متابعتهم لاغراضهم المشوبة بألأنانية يسعون بالطبع الى فصم عرى الاتحاد المحكمة بين القائد الفيلد مارشال وبينى . ولم يكن احدهم يستطيع ان يتعرض له بل كان يتصور أنه يقدر على اتخاذى هدفا لمرماه. فيزعمون وجود اختلاف وهمي بين حالة القائد الفيلد مارشال العقلية وحالتى ، فيدعون انه يمثل المبدأ القويم وانني امثل المبدأ الذميم ، غير أن أولئك الذين يذيعون مثل هذه الاشاعة يجعلون القائد الفيلد مارشال على الاقل شبه مسئول عن كل مايرونه سيئا ضاراً ، هذا اذا لم يكونوا قد حطوا من شأنه باتخاذهم منه رجلا غير حاصل على المزايا السامية التى يريدون أن يسندوها اليه والتى هى فى الحقيقة مما يتجمل به شخصه المحبوب .

ان مجـد القائد الفيلد مارشال ثابت فى قلوب الشعب الالمـاني ثباتا لايمكن تحويله . وانني لأجله تبجيلا فوق كل حد كما أني أديت الخدمة فى جانبه بأعظم اخلاص . ولقد قدرت شرف نفسه حق قدره كما اجللت فيه عاطفة حبه للملك وتحمله بارتياح التبعات المختلفة .

— ٥ —

ان حياتي كانت برمتها وقفا على خدمة الوطن والامبراطور والجيش . وما كنت أحيي فى سنوات الحرب الأربع الا لأعمل لأنهاء هذه الحرب.

وكانت حياتي سائرة على احكم منوال من النظام . فحينما كنت رئيس أركان حرب فى الشرق وكنت ادير حركات الجنود رأسا كانت كل الاعمال وفاقا لمقتضيات الحالة الحربية . وكنت أبكر الى مكتب عملي من الساعة السادسة او السابعة صباحا وألبث فيه الى ساعة متأخرة من الليل .

وباعتباري رئيس المعسكر العام كنت أباشر أعمالي مدة أوقات الهدوء حوالى الساعة الثامنة . وبعد مضي ساعة يصل القائد الفيلد مارشال فنشرع فى التكلم بايجاز عن الحوادث والمشروعات الحربية وكذلك عن المسائل الجارية .

وكان عرض الامور على جلالة الامبراطور يحـدث فى ساعة الظهر . وفى الساعة الأولى تتناول طعام الغذاء الذي يظل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع الساعة . وفى منتصف السـاعة الرابعة أعود الى مباشرة الاعمال فى المكتب . وفى الساعة الثامنة نجلس على مائدة العشاء وبعد الارتياح نصف ساعة يستمر العمل الى منتصف الليل أو بعده بساعة .

وهذا النظام قلما يعتريه اختلاف . بل الأيام الأربعة أو الخمسة التى كانت معتبرة كعطلة لي لم تخلني مطلقا من تادية العمل .

وكنت على اتصال بالتلغراف وبالتليفون مع كل اجزاء الجبهة ومع المعسكرات العامة الكبرى لسائر حلفائنا . وكانت الجيوش توجه الي صباح مساء بتقاريرها من غير انقطاع وتشرح تفاصيل الحوادث الخصوصية شرحاً وافيا .

وكان الكولونيل لهمان رئيس ادارة تلغراف الشرق الذي صار فيما بعد رئيس ادارة تلغراف الجيوش والقائد هيس مساعدي البارعين القديرين .

وكانت ادارتا التليفونات والتلغرافات تؤديان اعمالهما بهمة فائقة .

فمن جهة كان من الضروري الوقوف على مجرى كل الحوادث التى تقع فى متسع الجبهة الهائل . ومن جهة اخرى كان من الاهمية بمكان عظيم تتبع ادوار الكفاح خطوة فخطوة وبطريقة مباشرة . ومع ذلك كان من الضروري ان يقف المعسكر العام الاكبر فى الحال على كل الحوادث المهمة . وذلك لأن نقص الاحتياطى غالبا ما كان يقتضى أوامر معجلة لما يترتب على هذا النقص من النتائج الخطيرة .

وكانت مسائل سلوك الجنود وكل ما له صلة بالحياة العسكرية والموارد الداخلية مقدمة على سواها من الشئون الاخرى . والمسائل السياسية الحربية لم تكن تعتبر الا فى الدرجة الثانية من الاهمية

وكانت ساعات العمل فى المكتب تقتضى باشتغالى بنفسى خاصة فى الاطلاع على التقارير المقدمة من رؤساء الاقلام ومن رؤساء الادارات التى تحت اشرافى وفى المفاوضات والمباحثات المختلفة .

وانى لأتذكر بابتهاج وانشراح العلائق الجميلة التى كانت تربطنى بالادارات والمصالح المختلفة فى أركان حرب الشرق وفى المعسكر العام الاكبر

وبالنظر لجسامة المهمة المسندة الي وثقل التبعة الملقاة على عاتقى لم يكن يصلح لمساعدتى سوى اشخاص أقوياء العزائم وأكفاء لان يعملوا من

تلقاء أنفسهم و بمحض ارادتهم ، وكنت أتطلب من هؤلاء الرجال أن يطلعونى بصراحة على حقيقة آرائهم وهذا ما كانوا يفعلونه ، وأحيانا بشجاعة . وكان تساندنا فى الاعمال قائما على الثقة المتبادلة بيننا بصفتنا رجالا متساوين وكان مساعدي يعملون بجانبي وهم واثقون من كفاءتهم ومقدرتهم واخلاصهم وكانوا لى أعضادا متفانين فى الاخلاص ومستقلين وممتلئة جوانحهم بأشرف عواطف القيام بالواجب . وبالطبع أن البت فى الامر كان مرجعه الي لأن التبعة يجب أن تكون معينة ومحددة . وكانت الحرب تتطلب عملا سريعاً . غير ان البت فى الامور لم يكن له ارتباط بمسألة التحكم والاستبداد بالامر ، فاذا صادف عدم موافقتى على مشروعات مساعدي فانى لم أستعمل طريقة الرفض الجارحة . وعند ما تتطلب الآراء ايضاحا فاننى كنت أبذل جهدى فى بسط ما يعن لى بصراحة بدون أن أوجد ما يدعو الى الارتباك والتخبط فى الافكار . وانى لسعيد بمجد مساعدي وحسن سمعتهم . وكان اعتقادى الذى لا يتحول هو ان مثل هذه الحرب الهائلة ذات المطالب العظيمة التى لا تنتهى ولا تحد هي فوق مقدرة أي انسان وكفاءته . فهي إذن ميدان فسيح تتبارى فيه القرائح الوقادة والعزائم الصادقة .

وكان مساعدى الاول فى الميدان الشرقى الليوتنان كولونيل هوفمان الذى صار اليوم قائدا ، وهو ضابط حاد الذهن ذو مطامع شريفة مجيدة . وأعظم دليل أظهرته على تقديرى اياه حق قدره هو اقتراحى أن يشغل مركزى فى الشرق عند ما انتقلت فى آخر أغسطس ١٩١٦ الى المعسكر العام الاكبر فأدى خدمات عظيمة باعتباره أقدم ضابط فى أركان حربى

وقد اتخذت فى المعسكر العام الاكبر كمساعد لى فى تحضير الاعمال الحربية الليوتنان كولونيل و يدزيل الذى كنت أعرفه واقدره حق قدره من زمن طويل . وكان يعرف الجبهة الغربية حق المعرفة وقد امتاز بهذه

الخصيصة بصفته أقدم ضابط فى هيأة أركان الحرب ورئيس أركان حرب الفيلق الثالث وعلى الاخص بما امتاز به من العمل الباهر امام فردان . وانه لجندي بارع ذو قيمه عظيمه . ولم أفارقه الا فى سبتمبر ١٩١٨ لجرد رغبتى فى اعادة تنظيم العمل فى هيأه أركان حربى لأتمكن من اصابة قسط من الراحة أكثر من الاول ، ولكننا لبثنا كلانا محتفظين بعواطف الود والولاء أحدنا للاخر .

وبعد الليفتنان كولونيل ويتزيل ادنيت الي الكولونيل هيي وانقومندان فون ستولبناجيل وهما عسكريان حازمان ذكيان مرنان وقضيت معهما أشق الساعات التى يستطيع أن يراها العسكري فى حياته : أي عند ما شعرنا بأننا لانستطيع أن نفوز فى الحرب فوزاً عسكريا نهائيا . ولقد كان من آلم الامور على نفسى أن أجدنى مضطراً الى مفارقتهما فى ذلك الوقت

وكانت مسائل الترتيب موكولة بنوع خاص الى الضباط فون فوللارد بوكيلبيرج والبارون فون ديم بوش وفراهنيرت فهم رجال ذوو مقدرة هائلة على العمل وذوو نشاط عظيم وذكاء نادر المثال ولذلك كان عملهم عظيما جداً

وكان لثلاثة من مساعدي شأن خاص يمتازون به على الآخرين ، ويرجع ذلك الى أهمية الاعمال التى كانت مسندة اليهم .

فالكولونيل باور شخص ذو قيمة جليلة جداً وهو يرى مثلى ان الحرب لاتسير فى مجرى موافق الا اذا كانت حاله البلاد الداخلية مساعدة على قيام الجيش بواجبه ووصوله بسهولة الى الفوز النهائي ولأجل هذا كان يبذل كل مجهوداته فى هذا السبيل . وقد أدى عملا نافعاً فى ترقية واكثار مدفعيتنا . وكانت مهمته الجوهرية توفير الادوات الحربيه الضرورية للجيش والبحث فى الطرق التى تمكن الصناعة من انجاز المقادير المطلوبة منها ، ولاجل هذا الغرض كان متصلا بالمتعهدين وبالعمال . وعمله متصل

من هذه الوجهة بوزارة الحرب .

وكانت آراؤه ومساعداته فى كثير من المسائل المتعلقة بالنظام الاقتصادي والعسكري وبالمسائل الفنية فى منتهى الفائدة لمجرى الحرب

والقائد فون بارتنويرفير وهو ضابط ذو عقل هادىء وذكاء واضح ووطنية راقية فقد كان رئيس الشعبة السياسية . وان من اهم الأمور التى يضطلع بها اركان الحرب العام للجيش المحارب اشرافه على السياسة الحربية فى البلاد الاجنبية والبلاد المحايدة وتخابره مع المستشار الامبراطوري فى المسائل السياسية التى تنجم عن السياسات الخارجية . وكذلك كان الامر فيما يختص بالحوادث السياسية التى تجرى فى الجهات المحتلة من الوجهة المرتبطة بالمعسكر العام الاكبر . وكانت الجهات التى ادخلتها الحرب فى حوزتنا ذات شأن عظيم بالنسبة لسلامة الوطن من الوجهة العسكرية . وكل المسائل التى تعرض من هذا القبيل كانت تتطلب اهتماما عظيما وعملا جديا من قبل المعسكر العام الاكبر . والشعبة السياسية هي الادارة العسكرية التى من اختصاصها النظر فى سائر الشئون المرتبطة بمسألة الصلح .

وثالث اولئك الضباط الثلاثة هو الليبتنان كولونيل نيقولاي وهو رجل ذو جلد على العمل لا مثيل له وفكره متجه دائما الى بث النظام المحكم . واختصاصاته كانت عديدة جدا بل ربما تتخطى حد الكثرة فهو مكلف بالاشراف العسكري على الصحافة وهذا العمل يجعله يراقب باهتمام عظيم فى دائرة الوسائل العسكرية الممكنة حالة البلاد والجيش الادبيه ويحافظ عليها من العبث بها الا ان الغرض المقصود من هذا العمل لم يمكن الحصول عليه . وذلك لأن ادارة الصحافة ونشر الدعوة لم يتم تنظيمهما بطريقة فعالة مع اننا قد حسبنا لهما حسابا دقيقا .

وكان هذا الضابط مكلفا كذلك بالاشراف على ادارة الاستعلامات

السرية وادارة مقاومة التجسس القائمتين على مراقبة البريد والتلغراف والتلفون ومراقبة الحدود ومقاومة التجسس الاقتصادي وتحريض العمال على الاعتصاب . وقد ادى هذا الضابط بالمعلومات التى تلقاها خدما جليلة للمعسكر العام الاكبر . على ان الحرب كانت بطبيعتها تمنع التأكد من أي شيء ولهذا السبب لم يتمكن العدو على الرغم من المصادر العديدة التى كان يستقى منها معلوماته من الوقوف على مقاصدنا ومشروعاتنا . ولهذا فقد كان يؤخذ دائما على غرة الا فى ١٥ يوليه ١٩١٨ اذ سهلت عليه غلطتنا معرفة مقاصدنا .

وكان اليوز باشى فون راوخ وهو ضابط محنك غيور من اركان الحرب يتولى امر استجماع المعلومات المختصة بحركات العدو وقراراته العسكرية بواسة ادارة الجيوش الاجنبيه التى كان برأسها . وهذا العمل جعله يحمل على عاتقه تبعة كبرى وفى هذا الموضوع قد قام أركان الحرب العام بكل ما كان ينتظر منه

وكذلك كان يوجد بين أركان حربى كثيرون من المساعدين الاوفياء الاذكياء أذكر منهم الكولونيلين فون تيبشو يتز وفون ميرتز والقومندانات فون والدوف وجرانتز وفون هاربو وهوفمان و بارتينو برفير وموتهس واليوزباشيه و يفيروغبريال وجيير وفون فيشر ترو ينفيلد وفون جوسلر وفون بوزيك وخلافهم .

وكان روح الولاء والتعاطف يسود على المائدة الكبرى التى كنا نلتف حولها . وكان القائد الفيلد مارشال يحب التفكه بالنوادر المستملحة المفرحة ويهش الى المحادثات المنعشه . وكنت أحب أن آخذ بنصيب منها الا انني لا ألبث أن أجد نفسي مندفعة على الرغم مني الى الخوض فى المسائل الحربيه . مع انه من الواضح توجه الرغبة فى عدم التكلم فى مثل هـذا

المقام فى صدد الحركات الحربيه .

وكان بعض الزائرين يجالسوننا أحيانا على المائدة أو يقتصرون على زيارتنا فى المكتب . بل فى بعض الاحيان كنا نستقبل المدعوين ونحن فى موقف احرج . وأتذكر ان كثيرين من الزوار وصلوا الينا فى اكتوبر ١٩١٤ مصحوبين بقطار مفعم بهدايا للجنود وأخذوا يتحدثون عن قرب الاستيلاء على فرسوفيا فى حين اننى كنت مضطرا إذ ذاك للتفكير فى اصدار أمر بالتراجع الى الخلف ، فكان قدومهم فى مثل هذه الحالة عبثاً الا انهم على كل حال كانوا يدخلون الانتعاش فى نفوس الجنود .

وكنا نعلم من الضباط القادمين الينا من سائر انحاء الجبهه أنباء تفصيلية تفيدنا أكثر من المعلومات التى كنا نستمدها من التقارير المرسلة الينا . وكنت دائما على اتصال مباشر بكل الوسائل مع امتداد الجبهه وكثيراً ما كنت أحصل على المعلومات الدقيقه التى كنت أتطلبها . ولهذا فان زيارات الضباط كانت تهمنى جداً .

وكثيرا ما كان يجىء الينا بعض رجال الحكومه قادمين من برلين أو رجال الدول المتحالفة معنا . وقد زارنا المستشار فون بيتمان هو لويج فى خريف ١٩١٤ ونحن فى بوزين ثم فى فبراير ١٩١٥ ونحن فى لوتزن . وكذلك كثيرا ما رأينا المستشارين الآخرين . وأحيانا كان يزورنا رجال من البرلمان وكنت أعتقد ان هؤلاء الرجال كيفما انتسبوا لاي حزب فهم انما يجيئون بدافع الرغبة فى مشاهدتنا . وكنت التزم امامهم وامام الاشخاص الآخرين بالطبع التحفظ الضروري فى أقوالى المختصة بالمسألة الحربية و بمسألة الصلح .

وكذلك حضر الينا فى عدة مرار ممثلو الصناعه الكبرى والتجارة وجمعيات العمال و دعوناهم الى مائدتنا . ورأينا كذلك ملحقين عسكريين

من البلاد المحايدة ووفوداً من الضباط المحايدين قدموا ليتفقدوا الجبهة ومراسلين المانيين وأجانب وممثلي الصحافة والعلم والفن

وكانت مائدة رئيس قيادة الشرق تحفل فى أغلب الاوقات بممثلي سائر البقاع البروسية الشرقية والغربية . ولذلك حظينا بزيارة عدة امراء

وبالطبع كانت زيارة جلالة الامبراطور شرفا خاصا عظيما لنا . وظلت آحاديثنا فى حضرته حافظة صبغتها الاصلية اذ كنا نعتقد ان جلالته يحب ان يكون بيننا لينعشنا ويبث روح الابتهاج فينا .

وكنت شديد الشغف بأن ارى على المائدة عدداً من المدعوين لأن هذا الأمر فرصة تتيح لي الخوض فى مسائل مختلفة اريد الوقوف على مختلف الآراء فيها . وكنت بعد هذه المحادثات اجد دائما لدي الاوقات الكافية لتأدية اعمالى العسكرية الخاصة بى

— ٦ —

ان ادارة الجيش تتطلب عزما وحكمة كما أنها تتطلب بالمثل علما واسعا بنظام الجيش المتناهي فى التعقد وهذا مالا يتيسر الا بعمل شاق دائم يستغرق اليوم بأسره . وينضم الى هذا العلم أمر آخر وهو : ادراك حالة الجنود العقلية وحالة عقل العدو . وهذا الأمر لا يدرك بالعمل الموصول ولا بالعلم الواسع ولكن بكثير من الشئون الاخرى التى لا تفيد فيها سوى مقدرة الشخص الذهنيه . فالفراسة والحذق وسعة الاختبار لها من الشأن فى هذا الامر اعظم مما لقوة الارادة والجلد على العمل . والثقة التامة والاعتقاد الجازم فى النصر هما الرابطتان اللتان تصل ما بين الرئيس وجنوده .

وكان لنا من اركان حرب مجموعات الجيوش واركان حرب الجيوش مساعدون بارعون ذوو آراء مبتكرة يساعدوننا على تأدية مهمتنا خير

مساعدة . وكنا نتبادل فيما بيننا الآراء بغير انقطاع ، الا ان البت فى الامر كان من اختصاصنا نحن . اذ المعسكر العام الاكبر هو المسئول عن ايجاد التوافق والتناسق ما بين أجزاء الجيش وأعماله المتنوعة التى لا تحصى . وقد جعلت تنقلات الجيوش على التوالى هذه المهمة فى منتهى الخطارة .

وكانت هيأة أركان الحرب ازاء هذه التنقلات مستقلة فى رأيها وعملها استقلالا يعتبر فى حالة الحركات الكبرى وخطط الهجوم أعظم منه فى الحرب المحلية وفى الدفاع . وكانت توجد بالطبع أعمالا خططية تختلف آراء أركان الحرب فى تفاصيلها عن آراء المعسكر العام الاكبر وكثيراً ما كان يحدث ان هيآت أركان حرب تحتفظ عند هذا الاختلاف برأيها الاخير . فكان هذا فى نظرى منبع مشاكل وعراقيل : ففى حالة التوفق والفوز كانت الامور تجرى فى مجار حسنة ، وأما فى حالة الاخفاق فما كان يسعنى الا أن أوجه عبارات المؤاخذة واللوم .

وكنت أجد أهمية عظيمة للمحادثات المفرغة فى قالب مشوب بحدة فى الصوت وللتأثيرات السريعة ، ولهذا فقد كنت أحب أن أذهب بنفسى الى الجبهة ، وباعتبارى رئيس المعسكر العام كان تحت طلبي قطار خاص محتو على مكاتب وآلات تلغرافية خصوصية . وبالطبع ان هذا السفر لم يكن يستدعى مواصلة العمل الاساسى . وفى كثير من المحطات كانت تصل الينا التقارير اليومية كما كان يحدث فى المعسكر العام وعند الاقتضاء يمكن التخابر مع سائر الجهات وكانت علائقى مع هيآت أركان الحرب ومع الجنود على أحسن ما يرجى . وكنت أجتهد فى أن أكون موضع الثقة التامة لدى الجميع .

وأحب شيء الي أن أتذكر العلائق التى كانت تربطنى بالمعسكر الاكبر لولي العهد . لقد كان الامير الوريث ذا نظر مكين من الفن العسكري ،

فكان يطرح أسئلة وجيهة تدل على سعة معلوماته. فهو يحب الجندي ويريد رفاهة الجيش. ولم يكن من أنصار الحرب بل من محبي السلم . وهذه هي الحقيقة الثابتة على الرغم من كل الاشاعات المتناقضة . وكان ولي العهد يأسف دائما على انه غير مستعد استعدادا تاما ليقوم بمهمة الامبراطور فى المستقبل وكان يبذل لاجل هذا الغرض كل ما فى وسعه من الجهد . وقال لى مرة ان مهمته أشق من مهمة أي اختصاصي . وهـذا ما عرضه بالفعل فى مذكرة خاصة رفعها الى الامبراطور والده والى المستشار .

وكان رئيس أركان حرب مجموعة جيوش ولي عهد المانيا الكولونيل الكونت فون درشولنبورج وهو ذكي محب للحركة وذو شجاعة عظيمة خير معوان لى على تأدية أعمالى وكنت أثق به أتم الوثوق

وكذلك كثيرا ما ذهبت الى مجموعة جيوش الامير روبرخت ولي عهد بافاريا . وكان رئيس اركان حربه ذا قيمة سامية وفى منتهى النشاط وهو القائد فون كوهل وهو أحد اصدقائى من عهد الشباب وانى لمعجب برباطة جأشه العظيم فى اصعب المواقف واحرجها

ولو انني استتبعت الكلام عن مجموعات الجيوش الاخرى لطال بى الشرح . الا انني اريد ان اقول كلمة عن القائد فون لوسبرج ، فأن هذا المنظم الماهر كان فى الغالب يفيد الوطن والجيش ، وكان لثقـته بى قيمة عظمى فى نظرى

وعند ما كنت اذهب الى الجبهة كان رؤساء اركان الحرب يعرضون علي الحالة فى حضور قائدهم . وكانوا يخاطبوننى بنفس الصراحة التى يخاطبنى بها مساعدي فى المعسكر العام الاكبر وذلك لانهم كانوا يعرفون رغبتى فى الوقوف على آرائهم بمنتهى الوضوح واننى لا اقبل المخادعة والتستر وكنت اذكر الجيوش احيانا بعدم رغبتى سوى تقارير تتضمن حقائق الوقائع وان

تكون متضمنة المعلومات السيئة كتضمنها المعلومات الاخرى

وكان التقرير يتبع بمناقشة يتداخل فيها قائد الجيش اذا كان لم يقدم هو بنفسه التقرير وهذا أمر مقبول لدي جدا . والمحادثات التي كانت تجرى بعد ذلك كثيراً ما كانت تمكنني من مباحثه قائد الجيش فى شئون جمه .

ولم تكن صلاتى بالجيوش مقصورة على اسفارى الاسبوعية ، بل كنت كل يوم اتحادث صباحاً مع رؤساء أركان حرب الجيوش بواسطة التليفون فيطلعونى على بواعث همومهم ودواعى مسراتهم . وفى الغالب يطالبوننى باشياء . وهم يعلمون انى لا اتأخر عن انجاز كل ما فى استطاعتى فعله . وفى كثير من الاوقات اسرى عنهم شجونهم بكلمات مسلية مشجعة تجعلهم يعاودون اعمالهم الشاقة بعزيمة صادقه . وفى اوقات كثيرة يمكن تلافى الاغلاط وتدارك الاخطار مع شدة الازمة وتعقد الامور بمجرد التأثير الشخصى فى الاشخاص المقابلين للتأثر .

ولم اكن استخدم المحادثات التليفونية الا فى استطلاع مجرى الاحوال . اما الاوامر فلم تكن تصدر بالتليفون الا فى الضرورات القصوى ، وفى هذه الحالة كنا نشفعها بالكتابة ايضا الى اركان الحرب .

وهذه المحادثات بالطبع تصل من تلقاء نفسها الى قواد الجيوش .

وما كنت احبذ البتة طريقة تخويل رؤساء اركان الحرب منتهى السلطة . على ان قواد الجيوش كانوا رجالا ذوى مدراك وصفات سامية لا تسمح بايجاد مثل هذه النزعات .

على انه قد حدث مرارا ان استخدمت سلطة القيادة العليا فى اصدار اوامر لم اكن لاوافق عليها لو استشرت فيها . وعند ما كنت اعلم بامور من هذا القبيل كنت الجأ الى المعاملة الشديدة .

وحينما لا تسمح لى اوقاتى بالذهاب بنفسى الى الاماكن التى تقتضى

النظر فى بعض الشئون المهمة كان المعسكر العام الاكبر يرسل الى اركان حرب أى جيش ضباطاً من هيأة اركان الحرب العامة ليتبينوا بأنفسهم الحالة فى الاماكن التى تجرى فيها امور هامة ويعودون من الساحة التى قصدوها مزودين بالمعلومات الكافية .

وكان تغيير الاشخاص فى القيادة العليا لاينقطع . اذ كانت هيآت اركان الحرب فى الجيوش تتطلب من آن الى الى آخر اشخاصاً معينين وكذلك هيأة اركان الحرب العامة . وكذلك المعسكر العام الاكبر يحدث احيانا تبديلا فى الموظفين بمحض ارادته .

وهذا النقل انما يحدث عندما تتطلب بعض المعارك ذهاب ضباط ذوى خبرة ومقدرة عظيمة الى الميدان . فهنالك يقتضى السماح بارسال بعض الضباط النافعين جد النفع فى المعسكر العام الاكبر للتمكن من ادارة الحركات الحربية بطريقة تضمن الاقتصاد فى الحياة البشرية بقدر الامكان مع تأدية الغرض المنشود فى الوقت نفسه .

واحيانا ينتقل رؤساء من أركان حرب الجيوش أوقوادها وهذا يكون فى حالة طول القتال فى احدى الجهات أو حدوث اختناق فى تلك الجهة وذلك لان مهمة هؤلاء الرجال تصبح عسيرة عليهم اذا طالت مدة أعمالهم ولم تنته بالنجاح المرضي . وكل مرضي تدل رجاله وهو في المعترك يستبدل بسواه . وهذه التنقلات تحدث ارتباكا الا ان ضرره غير جسيم . ولم يكن من الميسور سحب اركان حرب أحد الجيوش بأجمعهم ، لان مثل هذا العمل ينتج اضطرابا عظيما ولا سيما في مسألة تموين الجيش . وانما يقتصر على نقل بعض رجال هيأة اركان الحرب الذين لايترتب على سحبهم ارتباك جسيم .

وقد سحب فى بعض الاوقات قواد جيوش ورؤساء هيئات اركان حرب بناء على اقتراح المعسكر العام الاكبر وكان سحبهم مراعاة لمصلحة

القيادة والجنود . ومن الطبعي انه بسبب طول الكفاح كان لا بد من حدوث ضعف وتراخ في بعض الجهات ، الا ان هذه الحالات ظلت لحسن الحظ متفرقة . وثمت شيء في منتهى الصعوبة ، وذلك انه على الرغم من حسن القصد لم يكن من المستطاع العدول عن استعمال الشدة فى بعض الاحيان بل الامتناع عن ارتكاب بعض ضروب الجور والاعتساف وما كنت ابتغى فى امثال هذه الحالات سوى اصلاح الاغلاط التي حدثت ولكنني عندما كنت ارى ان تساهلي وتلطفي اديا الى عواقب غير ما كانت ينتظر منهما فاني اعود حينئذ على نفسي باشد اللائمة .

وقد حملتني الرجة العنيفة التي حدثت فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٨ الى رفع استقالتي الى القائد الفليد مارشال . وبالتأكيد انني كنت قد أصبحت بقلة الرجاء فى ادراك الفوز النهائي من جراء امتداد امد الحرب ، الا انني لبثت متغلبا على عواطفي مدة طويلة .

ليبيج

أن مهاجمة حصن ليبيج اجمل ذكرى فى حياتي العسكرية . فلقد حدثت بسهولة وارتياح واتاحت لي أن اجاهد اثناءها جهاد الجندي الذي يؤدي واجبه العسكري فى الصف .

اند كنت عند نشوب الحرب قائد لواء من الفرسان فى ستراسبورج وقضيت من قبل مدة طويلة فى هيأة اركان الحرب ، اذ لبثت بها فى المدة الاخيرة من مارس سنة ١٩٠٤ الى فبراير سنة ١٩١٣ خلا هنيهة وجيزة وانا مشتغل فى شعبة خطط الاعمال الحربية التي صرت رئيسها . فعرفت دقائق استعدادنا الحربي والمسائل المختصة بمقادير الجنود الممكن حشدها وكان اهم اعمالي قسم التعبئة . وما يختص بهذا القسم من المعلومات يصدر

من رئيس اركان الحرب العام نفسه .

والتعبئة بالطريقة التى تمت بموجبها فى اغسطس كان ترتيبها بمعرفة القائد الكونت فون شليفين وهو من أعظم العسكريين الذين عرفتهم الجندية النظامية . وقد وضع هذه الطريقة لاتباعها فى حالة اعتداء فرنسا على حيدة البلجيك او فى حالة ممالأة البلجيك فرنسا . فهنالك تحدث الاغارة فى الحال على بلجيكا باهم القوى الالمانية المحتشدة . وذلك لان كل عمل آخر يكون معرقلا مادام الجناح الالماني الايمن مهدداً من جهة بلجيكا : وفى هذه الحالة يصبح من المستحيل الحصول على عمل ناجح من جهة الحدود الفرنسوية . فى حين ان العمل الناجح السريع فى الجانب الفرنسوي ضرورى جداً لاتقاء خطر الاغارة الروسية قبل افلات الفرصة ووصول الروسيين الى قلب المانيا . وقد عرضت فكرة اتخاذ خطة الهجوم على الروسيا والتزام جانب الدفاع ازاء فرنسا فى حالة امتداد مدة الحرب فرفض الكونت فون شليفين هذه الفكرة .

وقد تحققت خطة الكونت فون شليفين عند ما صار من المؤكد أن جنوح بلجيكا الى فرنسا امر واقع .

ولا ادرى الطريقة التى اتبعها القائد فون مولتك للاتفاق مع المستشار فون بيتمان على مسألة اختراق بلجيكا . أن مكتبي لم يكن مختصاً بمثل هذا الشأن ولذا لم تصدر منه تفاصيله . وكذلك لاعلم لى اذا كان بعض رؤساء المعسكر العام قد عهدت اليهم هذه المهمة . على اننا كنا جميعا متفقين على ضرورة اتباع الخطة التى رسمها الكونت فون شليفين . وذلك لانه لم يكن يوجد من يعتقد بامكان حيدة بلجيكا .

ففى مثل مركزنا الكائن فى وسط اوربا ونحن محوطون باعداء متفوقين علينا تفوقا عدديا عظيما لابد لنا من الوجهتين السياسية والعسكرية ان

نحسب حساب هذا التفوق الهائل وان نتخذ غاية الاستعداد فى التحوط والتسلح اذا شئنا الا نستسلم طوعاً الى السحق والمحو . ومن المعلوم ان الروسيا ابتدأت الحرب بطاريقة مخيفة وظلت تعزز جيوشها بقوى متواصلة . وهي تابى الا ان تقهر النمسا وتستولي على البلقان وقد ابانت عدة امور من جملتها اطالة الخدمة العسكرية مقاصد فرنسا الحقيقية . ان فكرة الانتقام قد تجددت فى نفوس الفرنسويين ولا بد لارض المانيا ان تخضع الى فرنسا مرة اخرى . واخذت انجلترا تنظر الى تقدمنا الاقتصادي نظرة التبرم والامتعاض ويروعها رواج سلعنا وحاصلاتنا وما تراه من نشاطنا واقدامنا . وعدا ذلك فان المانيا اصبحت اقوى دولة فى اوربا ولها اسطول عظيم آخذ فى التوسع والتقوى . وهذا ما جعل انجلترا تعتقد بانها مهددة في سيادتها العظمى بين العالم . ان الانجليزي السكسوني اعتاد على ان يرى نفسه سيدا . لقد حشدت الحكومة الانجليزية فى بحر الشمال وفى المانش قواها التي تمكنت من جمعها الى ذلك الحين وعلى الخصوص في البحر الابيض المتوسط . وكانت الخطبة التهديدية التي القاها لويد جورج في ٢١ يوليه ١٩١١ قد افصحت عن حقيقة المقاصد الانجليزية التي كانت مستورة بمهارة فائقة . فاصبح من المعلوم بعد هذه الخطبة اننا سنساق حتما الى الحرب ، وان القتال الذي سيحدث سيبلغ مبلغاً لم يعلم له مثيل من قبل في العالم اجمع . وبتقدير قوى الخصم المنتظر له ان يحشدها كما يستخلص من معلومات بعض الدوائر غير العسكرية يتضح منها انها خطر علينا .

وفي غضون خريف ١٩١٢ حينما انكشفت حقائق المقاصد التي ينطوى عليها الاعداء ولم يبق ثمت ادنى شك فيها وصار الاهتمام فى الجيش بجعله على قدم الاستعداد وعلى أتم نظام بالهمة المعهودة عن الالمانيين اثناء قيامهم بالواجب ، عرضت مشروعاً يتضمن تقوية الجيش بدرجة

عظيمة تحقق آمال الاوساط ذات المعلومات المكينة والأحزاب البرلمانية التى تحسن قراءة العواقب . وتمكنت من حمل القائد فون مولتك على ان يعرضه على المستشار . ولا بد ان يكون المستشار رأى ايضاً حرج الموقف فوافق في الحال على المشروع . وقد فوض الى وزير الحربية امر البحث فيه وتطبيقه على رغائب الامة . وبما ان تنفيذه لم يكن يتقاضى اكثر من مليارمارك فلم يكن في الامر ما يحول دون المضي فيه لان هذا المبلغ لا يبهظ مالية البلاد . وهذا المشروع يتضمن فرض الخدمة العسكرية قسراً على سائر افراد الامة ، وكان لا يزال يوجد عدد كبير من القادرين على تادية هذه الخدمة لم يؤدوها فوجب عليهم بمقتضى هذا المشروع ان يؤدوها وهؤلاء يعدون بالآف العديدة . ولم يكن الأمر مقصوراً على انماء عدد الجيش العامل بل كان لا بد من تقوية حصوننا والاستزادة من الادوات الحربية . وتم ذلك كله بالفعل . ولكن الرغبة التى شددت فى المطالبة بتحقيقها وهى انشاء ثلاثة عرضيات جدد لم يتم تحقيقه بل لم يطلب هذا الامر ، وكان اهماله ذا عواقب غير محمودة . وذلك لان إنقاص هذه العرضيات الثلاثة ظهرت فداحته من اول دفعة عند نشوب الحرب ، والتشكيلات الحديثة التى بدئ في تنظيمها اثناء خريف ١٩١٤ بدت فيها كل العيوب التى ينتظر ظهورها في الانظمة التى لم يتم احكامها . وهذه التشكيلات الجديدة ظهرت فوائدها الحقيقية فما بعد عند ما تم تدريبها وتنظيمها على ابدع واحكم نسق ولكن هذه الفوائد لم تجىء الا بعد أن اصيبت وحدات كثيرة من التشكيلات الاولى باضرار وخسائر فادحة

ولم يكن المشروع باجمعه قد تم التصديق عليه حينما سرت الى دوسلدورف بصفتى كولونيل للالاى التاسع والثلاثين من حملة البنادق . ولقد كان لتشديدى فى المطالبة بانشاء العرضيات الثلاثة تأثير عظيم .

- ٢ -

إن الخدمة العاملة عمل ذو نفع عظيم . فبعد ان قضيت مدة طويلة في المكاتب اباشر اعمالها ارتاحت نفسي جد الارتياح للانتقال الى الخدمة العاملة اذ احتككت بالرجال الذين عهد تدريبهم الي والذين انما كنت أقوم بتأدية اعمالي معهم ولاجلهم فاكون منهم ضباطا وضباط صف وجنودا وبهذه الطريقة اهتم بتثقيف الشاب لاجعله رجلا مثقفا كاملا . وكنت قد لبثت ثلاث عشرة سنة مبعدا عن الخدمة العاملة . اما الآن فالاشراف على تدريب الجنود الشبان مهمتي الاولى . ولقد توليت سبع مرار تعليم الجنود الشبان وانا لاأزال ضابطا شابا ، وذلك في المدة الواقعة مابين ١٨٨٠ و ١٨٩٠ : في الالاى السابع والخمسين من المشاة المقيم في مدينة ويزيل القديمة وفي البحارة المشاة في ولهلمسهافن وفي كييل . وبعد ذلك قضيت عدة اسابيع في الالاى الثامن من رماة القنابل اليدوية في فرانكفورت على الاودير وصرت رئيس بلوك في الطابور الحادى والستين في تورن من ١٨٩٨ الى ١٩٠٠ . وهو العهد الذى لن انساه .

وكنت اشعر بالتبعة العظيمة الملقاة على عاتقي وانا رئيس الاى لما كنت اعتقده من قرب نشوب الحرب التي تتقدم بخطوات واسعة . وقد ذكرت ضباطي في عدة خطب القيتها على اسماعهم بالحالة المتناهية في الحرج في الاوقات التي نجتازها . وكنت اعتبر الجيش دعامة سلامة المانيا ومستقبلها وكذلك كنت اعتبره وسيلة حفظ النظام والامن العام في داخل البلاد . ولم تكن توجد اقل بادرة تؤذن — ولله المنة والحمد — في سنة ١٩١٣ بتحول الجيش عن هذه الخطة السديدة .

وكانت الطاعة في نظرى سواءاً من الضابط أم من الجندى البسيط

هى اساس كل تشكيل عسكرى . وهـذه الطاعة لا يمكن أن تتأصل فى نفس العسكرى الا بعد قضاء مدة طويلة فى الخدمة . وهـذا التأصل لا يحدث الا اذا انتقل وراثة من دم الى دم فانه فى هذه الحالة يحمل المرء على التزام الطاعة طول مدة الخدمة العسكرية حتى ازاء الانفعالات النفسية التى تخرج المرء عن اطواره فى أغلب الاحيان وامام اهوال المعارك وطول مدة القتال . وكان تشكيل جيشنا فى زمن السلم يمثل اقل عدد يمكننا أن نبرزه فى زمن الحرب .

وكنت ابذل جهدى فى أن اجعل هؤلاء الرجال المتجملين بالطاعة جنوداً عاملين ابطالا . والطاعة لا تقضى على الخلق الـكريم بل تجعله متينا و يجب احلالها فى مكان يسمو على كل شاغل شخصي وان لا يتخلى عنها المرء فى كل عمل يتساند فيه مع أي انسان وان يرمي من التمسك بها الى غرض وحيد وهو : الانتصار . وكل ما يطلب من الجندي فى المعترك ان يكون مطيعا . فالقيام والاندفاع الى الامام تحت نيران العدو عمل عظيم . على انه ليس متناه فى الصعوبة فما أجرأ وما اشجع ذلك الذى يتقدم ثابت الجأش الى الموت بل ذلك الذى يقود . . . أو ذلك الذى يرسل جنوداً آخرين الى الموت ! فلا بد للمرء من أن يكون قد كابد هـذه الامور من قبل حتى يستطيع ان يعرف مقدار ما تنطوى عليه من المشقة والصعوبة

وبينما كنت منهمكا فى تدريب وتثقيف الجنود وضباط الصف وتلقينهم حتى ما يلزم لـكل منهم فى مهنته فى المستقبل كنت اجد من اهم واجباتي ان استمر على اعداد هيأة ضباطى وترقية معلومات ضباطى الشبان . اما الضباط العاملون فيظلون حولى ، واما الضباط الاحتياطيون وصف الضباط والجنود فينصرفون متى ادوا مدة الخدمة المفروضة عليهم فهؤلاء الضباط العاملون هم الذين يحتفظون بالروح العسكرى . فيجب اذن

ان يكونوا على تمام العلم بالاعمال العظيمة وبتاريخ الوطن ككل الرجال الذين يشغلون مراكز الرئاسة . ولا يبرح عن البال ان الضابط الذي يؤيده صف الضابط هو الذى يجب ان يحافظ على مراعاة النظام فى وقت الخطر . وهذا هو السبب فى جعل هيأة الضباط فى معزل عن الاختلاط بسواها ومنعها من الاعمال السياسية .

ولقد بذلت كل ما فى وسعى لامكن ضباطى من ادراك حقيقة الحرب الحديثه . وكذلك أجهدت نفسى فى حملهم على القيام بمهمة شاقة وهى تقوية ثقتهم بانفسهم ، تلك الثقة التي لا ينبغى أن تكون محض غرور وخيلاء .

وبذلت قصارى جهدى فى تعليم الالاى وسرنى أن رأيته قائما بواجبه أمام العدو . وشد ماعرانى الابتهاج حينما وجدت نفسي خلف اللواء المنتسب اليه الآلاى بصفتى كولونيل شرف له . وقد أطلق على الآلاى اسمي عندما اضطررت الى مغادرته ومفارقة صفوف الجيش . وانى لأفتخر بالالاى لودندورف .

وفى ابريل ١٩١٤ أرسلونى الى ستراسبورج حيث كان القائد فون دايملنج قائماً بتجهيزات عسكرية مهمة . وأصبح مركزي بصفتى قائد لواء من الفرسان مخالفا للمركز الذى كنت فيه وانا قائد آلاى . فلم أختلط كما كنت أفعل من قبل بهيأة الضباط وبالجنود . وصارت مهام وظيفتى مقصورة على اصدار الاوامر والتعليمات العسكريه . وسررت من تمكنى من عرض لواء فرساني أمام رؤسائي فى ساحة الاستعراض فى بيتش قبل نشوب الحرب .

وقد حدث التفكير فى تعيينى رئيس معسكر لهيأة أركان الحرب العامة . وفى مايو اشتركت فى الطواف الكبير الذي قامت به هيأة من أركان الحرب ذاهبة فى تجوالها من فرينبورج فى بريسجاو الى أن بلغت كولونيا . واشترك

سمو الامير الوريث فى هذه السياحة بالمثل . وكان واقفا نفسه بالفعل على مواصلة أعماله بمنتهى النشاط . وكان ميله الحربي قويا وله نظرة صائبه . وكنت مضطراً فى شهر اغسطس للقيام بما يسمونه « سياحة الدقيق » رغبة فى درس طرق تموين الجيش من وجهة النظر الفني العسكري .

وكنت في ستراسبورج عندما بوغت بنبأ المذكرة التى أرسلتها النمسا الى الصرب كما بغت بها سائر الناس . ولم يجهل أحد ما كانت تنطوى عليه هذه المذكرة من الخطر . وفيما بعد صار الاعتقاد جازماً بنشوب الحرب . ان السياسة أثقلت عاتق الجيش الالماني بمهمة فى منتهى الصعوبة . واتجهت نظراتى الى برلين وحسبت انني في معزل من كل الحوادث العظيمه .

— ٣ —

وصدر الأمر بالاستعداد فى أول اغسطس . وعلى الأثر سافرت زوجى الى برلين وكذلك اضطرت سائر اسرات الضباط والموظفين الى مبارحة تلك المدينة . ولم نستطع في خلال سنوات الحرب الاربع أن نتخذ لنا نظاما بيتيا . ولم أر زوجى الا نادراً أو بمعنى أوضح لم اقابلها الا خلسه . وبما انني كنت مستغرقا وقتى طول مدة الحرب بالعمل الموصول فقد ضحيت صلتي باسرتي ببعض التضحية فى هذا العهد الهائل .

وابحرت بجيادي يوم ٢ اغسطس ثم اجتزت كولونيا ووصلت الى ايكس لاشابيل . وكان أمر التعبئة الصادر الي متضمنا تعييني رئيس معسكر الجيش الثاني الذى يرأسه القائد فون اميخ المكلف بمباغتة معقل ليييج ببضع الوية من المشاة الراكبة صار تجهيزها بسرعة ولم تتوافر أعدادها الكاملة بعد . واريد بهذه الطريقة فتح طريق البلجيك للجيش

واقمت في ايكس لاشابيل بفندق الاتحاد .

ووصل القائد فون اميخ في صبيحة يوم ٣ اغسطس ، فرأيته لأول مرة . ومن ذلك الحين الى وقت وفاته وانا حافظ له عاطفة احترام شديد بصفته عسكريا نابغا . وكان رئيس أركان حربه الكولونيل فون لامبسدورف وهو ضابط بارع قام بعمل ما ثور في الهجوم على ليبج وفي الاعمال التالية.

وفي صباح ٤ اغسطس صار اجتياز التخوم البلجيكية ، بينما يعلن الرايخستاج في برلين وطنيته بهتافه للحكومة ، و بينما يقسم رؤساء الاحزاب الذين كانوا حاضرين اذ ذاك في تلك الجلسة الشهيرة يمين الاخلاص المتناهي للامبراطور في وقتي الرخاء والشدة على اثر القاء الخطبة الامبراطوريه . واشتركت في هـذا اليوم نفسه في اول وقعة حربية في جهة فيزا على مقربة من الحدود الهولاندية . ومن الواضح ان البلجيكيين كانوا يستعدون منذ مدة طويلة لاتقاء شرا غارتنا عليهم . فالطرق اتلفت وسدت بطريقة تدل على انها نتيجة عمل عظيم استغرق وقتا طويلا . وفي الحقيقة اننا لم نر أمثال هذه العراقيل في التخوم الجنوبية الغربية البلجيكية . فلماذا لم تتخذ البلجيك امثال هذه التحوطات من جهة فرنسا ؟

وكان يهمنا جدا الاستيلاء على جسور فيزا (كباريها) بدون ان تصاب باتلاف . فذهبت الى لواء فرسان فون دير مارويتز الذي كان مشتبكا في هذه الجهة ووجـدته لا يستطيـع التقدم الا ببطيء شـديد من جراء العوائق المنبثة امامه . فأرسلت بناء على طلبي فصيلة من الكـشافة الى الامام . و بعد قليل عاد أحد الكشافه : فاشيع ان الفصيلة دخلت فـيزا ولكنها محيت فيها بأسرها . فتقدمت بنفسي ومعي رجلان ولم البث ان امتلأ قلبي حبوراً برؤيتي الفصيلة سالمة : وقائدها هو الذي اصيب وحده بجرح بالغ من جراء رصاصـة اطلقت عليه من شاطيء نهر الموز الآخر. وقد افادتني هذه النادرة فيما بعد : فاني لم اعد اهتم بمـا يطلق عليه لقب

« اشاعات المراحل » .

وكانت الجسور الكبرى البديعة المنصوبة على الموز في فيزا قد تقوضت اركانها وذلك لان البلجيكيين كانوا مستعدين للقتال .

وفي المساء صرت في هرفيه حيث انتقل معسكري لاول مرة الى ارض العدو . فنزلنا فى فندق مواجه للمحطه . ووجدنا كل شيء في المدينة سالما . وبتنا ليلتنا هادئين . واستيقظت في جنح الليل على صوت اطلاق البنادق ، ورأيت الرصاص يطلق بالمثل على مسكننا . فكانت هذه فاتحة حرب الأفراد المتفرقين في البلاد البلجيكيه . وفي اليوم التالي عم هذا النوع من الحرب . فكان هذا الامر مبعث شدة القتال التي دامت مدة طويلة في السنتين الاوليين من الحرب في الميدان الغربي والتي لم يحدث مثلها في الميدان الشرقى . وعلى عاتق الحكومة البلجيكية تقع المسئولية الكبرى من نتائج هذا الحرب غير النظامية لانها هي التي دبرتها بطريقة منظمة . وذلك ان الحرس المدني الذى كان فى زمن السلم يرتدي بلباسه الخاص ويحمل سلاحه تفرق فى مبدأ الحرب لاجل القيام بحرب الافراد وصار رجاله آونة يظهرون بملابسهم النظامية وآونة اخرى في ملابس عادية . بل كان من المحتم بالمثل على الجنود البلجيكيين أن يحملوا فى مزاودهم ثيابا مدنية في اول الحرب . وقد رأيت بعيني في الجبهة الشمالية الشرقية ثيابا مدنية تركها الجنود الذين كانوا يقاتلون هنالك فى الخنادق عند مغادرتها .

ومثل هذه الحرب لم تكن متبعة من قبل ، ولهذا لا ينبغى مؤاخذة جنودنا على اتباع خطة التأديب الشديدة . وربما اوذي اثناء القمع بعض الابرياء ولكن « المظالم البلجيكية » ليست سوى اقاصيص اذيعت بمنتهى البراعة ، وقد اخترعت ونشرت فى كل مكان بغاية ما يستطاع من دقة الحيلة . وما مخترعها ومروجها سوى الحكومة البلجيكية . لقد سافرت

الى ميدان القتال وانا متشبع بفكرة الشهامة ومصمم على انتهاج خطة الانسانية فى الكفاح الذى ستدور رحاه . وحرب الافراد هذه لابد لها من ان تستفز غضب كل جنــدي ، وقد تحملت نفسي العسكرية بعبء ثقيل كاد يقضي على عاطفتي الشهامة والانسانية التى تتجمل بهما .

— ٤ —

ان المهمة التي عهد الى ألوية الفرسان المنفصلة القيام بها عسيرة . اليس من الجرأة التي لم يسمع لها مثيل الرغبة في اختراق خط الحصون المدافع عن معقل من الطراز الحديث والاستيلاء على هذا المعقل ؟ لقد شمل الجنود القلق من هذا الاندفاع . ودلتني بعض الحادثات التي جرت بيني وبعض الضباط على ان الامل ضعيف في نجاح هذه الحركة .

وبدأ السير الى الامام بين معالم الدفاع فى اتجاه لييج فى الليلة الواقعة ما بين ٥ و ٦ اغسطس . وكانت هيأة أركان الحرب العــامة قد وضعت خطة لهذا العمل الحربي الا انى لم أشأ أن اتبع هذه الخطة ، وانما اذكر هذا الأمر هنا من قبيل استعراض ذكرياتي الخصوصيه .

وغادر القائد فون اميخ مدينة هيرفيه حوالى منتصف الليل . فسرنا سوية على متني جوادينا الى حيث يوجــد اللواء ١٤ من المشاة الراكبة الذى يقوده القائد فون فوسوف في جهة ميشير وعلى بعــد يتراوح بين ٢ الى ٣ كيلومترات من حصن فليرون . فوجدنا الجنود ملتفين حول مطابخهم السيارة التى لم يسبق لهم استخدامها والتى أفادت في الحرب فائدة كبرى والظلام الدامس يسترهم عن الابصار وهم على قارعــة الطريق تحت مرمى مدافع الحصن لو تنبه حماته اليهم . فدوت بعض طلقات من جنوب الطريق صوبت على الجنود المجتمعين وكان تراسلها من بيت كائن فى جنوب الطريق

فادى هذا الاعتداء الى حدوث مناوشات . الا ان الحصن التزم جانب السكوت بفضل من الله . وبدأ الزحف حوالى الساعة الاولى بعد منتصف الليل . وكان لابد من المرور بشمال خط الحصون للوصول قبيل منبلج الصباح الى هضاب الشرتريز الكائنة فى ضواحى المدينة . وكان من المحتم على الالوية الاخرى التى ستجتاز خط الحصون من نقط اخرى ان تصل فى الوقت نفسه الى ضواحي المدينة .

وكانت هيأت اركان حرب القائد فون اميخ فى مؤخرة القوي الزاحفة فتوقف صف القوى المتلاحقة فجأة مدة طويلة فاندفعت مسرعا الى الامام ولم أجد مايستدعى هذا التوقف ، وزيادة على ذلك فانه أدى الى اعتقادات مكدرة فى حقيقة الحالة الحربيه . ولم أكن فى الحقيقة سوى مشاهد بسيط اذ لم تكن لى سلطة القيادة ومهمتى مقصورة على تزويد جيشى بالمعلومات اللازمة عما هو جار فى لييج وايجاد تناسق بين الوسائل التى يتخذها القائد فون اميخ والتعليمات التى يصدرها القائد فون بيلوف . وبالطبع جعلت صف القوى الزاحف يعاود السير وظللت سائراً في مقدمته . وفى أثناء السير فقدنا صلتنا بالطريق التى كنا نوالى زحفنا فيها . وأخذنا نبحث تحت جنح الدجى عن الطريق الاولى فاجتزنا بقرية رنيين الا اننا لبثنا نسير على غير هدى . وأردنا الخروج من القرية فسقطنا انا والطلائع فى سبيل ردىء . وسرعان ما انهلت علينا قذائف البنادق . فاخذ الرجال يتساقطون ذات اليمين وذات اليسار . ولست انسى ماحييت صوت الرصاص عن قرب وهو ينغرس فى أجساد الرجال . فقمنا بعدة وثبات على العدو الذى لانعلم له مستقرا والذى أخذت نيرانه الحاصدة تزداد استعارا . ولم يكن من السهل التلاقى فى ظلام الليل اذا ماحدث التفرق . فعسر علينا أن نجمع شملنا ونسير فى الطريق المثلى . واضطررنا عدا

ذلك الى النكوص على الاعتاب امام هـذه النيران الحاميـة معما فى هذا الامر من الغضاضة على النفس . ولقد يحسب الجنود أن الخوف استولى على فؤادي وماذا يهمني من حسبانهم ان آمراً آخر اعظم من اقاويل الناس وظنونهم يصير عرضة للخطر اذا استسلمت الى حماقة الاندفاع المؤذى . وارتددت زحفا على الصـدر مصدرا امرى الى رجالى بأتبـاعى الى حدود القرية .

وعندما بلغت دنيين اهتديت الى السبيل القويم . فرأيت جنود مراسلات القائد فون فوسوف معتلين صهوات جيادهم . وكانوا يحسبون القائد قتيلا فسلكت السبيل القويم مع رجالى القلائل وهو السبيل المؤدى الى طرف الغابة . واذا ببريق يلتمع فى الافق على حين فجأة أعقبه انفجار حدث على طول الطريق ومـع ذلك لم يصب أحد منا . وبعـد أن تقدمنا عـدة خطوات الى الامام التقينا بكومة من الجنود الالمـانيين القتلى والجرحى . وكانت هـذه هى الشرذمة التى خرجت مع القائد فون فوسوف والتى لابد ان تكون قد اصابها انفجار آخر من قبل . فجمعت جنود الطابور الرابـع من الصيادين والالاى السابع والعشرين من المشاة الذين كانوا قد اخـذوا يصـلون تباعا . وعزمت على أن اتولى قيادة لواء الفرسان . وكان أول ماينبغي القيام به القضاء على الاعادى الذين يرسـلون السـنة النيران على الطريق . فـترامى اليوز باشيان فون هاربو و برنـكمان من اركان الحرب بثلتـين من الشجعان على العوائج والمزارع المنتشرة على جانبي الطريق وتمـكنا من الاهتداء الى المدافع المختبئة فاستسلم الرجال العديدون الذين كانوا يستخدمون هـذه المدافـع . وعلى أثر ذلك امكن الاستمرار على السير الى الامام .

ووالينا الزحف حتى بلغنا بعـد مدة وجيزة طرف الغابة التى أنشبنا

وقعة شديدة فى شوارعها وأزقتها . وابتدأت تباشير الفجر تتوضح . وسرنا نحن انيوز باشيين ركني الحرب فون ماركارد الذي يرأس الطابور الرابع من الخيالة البروسية وفون جرايف الذي يرأس القسم الثاني من الاى الحملة ومساعده البارع الملازم نايديه و بعض الجنود وانا معهم زاحفين على جناح السرعة . فلما بلغنا الربوة التى ننشدها اصعدنا اليها مدفعا من نوع الهاون السهلى ثم اردفناه بآخر مثله . فاكتنسنا الطرق ودمرنا البيوت القائمة على الجانبين. وبهذه الطريقة تيسر لنا التقدم ببطىء وحذر . وكنت احيانا ادعوا الرجال المترددين الى السير معى وعدم ترك اتقدم بمفردى الى الغرض المنشود . وأخيرا تخلصنا من القرية وضواحيها بعد ان لاذ سكانها باذيال الفرار . فلم يبق امامنا بعد ذلك سوى الاشتباك مع الجيش النظامي البلجيكى .

و بعد خروجنا من القرية بصرنا بصف مستطيل يتقدم فى اتجاه الموز ووجهته ليبيج . فرجوت ان يكون هذا الصف اللواء السابع والعشرين من المشاة الراكبة . الا انه لم يكن سوى جنود بلجيكية فارة نحو نهر الموز بدلا من هجومها علينا . وكان لابد من مرور وقت طويل علينا قبل ان ندرك حقيقة الموقف . وفى هذه الاثناء كانت القوة الضئيلة التى تحيط بى قد تقوت بما انضم اليها من القوى المتلاحقة على آثارنا . لقد نجحنا فى اجتياز خط الحصون . ووصل الالاي ١٦٥ من المشاة تحت امرة رئيسه المقدام الكولونيل فون أوفين وهو محتفظ بنظامه الاتم . ثم وصل القائد فون اميخ فاستمر الزحف حينئذ على الشرتريز

ووضع القائد فون اميخ تحت تصرفى العناصر المتكون منها اللواء الحادى عشر من المشاة المشتبكة فى الجنوب على فرض انها قد توفقت هى بالمثل الى اختراق نطاق الحصون . واستمر التقدم بدون أن يعترضه عائق . وحينما

تراءت أمامنا معالم الجبهة الشمالية من ليبج اخذنا نصعد السفوح الموصلة الى شرق الشارتريز من وادى الموز . وكانت الساعة الثانية حينما انتهى اللواء من حركة الصعود اليها والاستقرار بها . فصوبت فوهات المدافع الى اتجاه المدينة . وبدئ باطلاق قنبلة من آن الى آخر كعلامة للألوية الاخرى وكوسيلة لالقاء الرعب فى نفس قيادة العدو وسكان المدينة. واضطررت الى الاقتصاد فى الذخائر لانها كانت قليلة جدا . وكانت الجنود منهوكة القوى وقد أصيبت باضرار جسيمة من الوقعة التى اشتبكت فيها وكذلك الضباط فقدوا جيادهم . والمطابخ المتحركة بقيت فى الخلف . فتركت الجنود تغتنم قسطا وافرا من الراحة وسميت فى التماس القوت الكافى لها من البيوت المتفرقة فى الضواحى غير عابئ باي خطر .

وبعد قليل وصل القائد فون اميخ بنفسه وانضم الى اللواء وصرنا نرى من قمم الشارتريز المدينة في اجلى وابدع مناظرها . فهي الآن منبسطة تحت أقدامنا . وقلعتها منفصلة عنها ومستقلة على الشاطى الآخر من الموز . وعلى حين فجأة بصرنا بالرايات البيضاء تخفق فوق معالمها . فأراد القائد فون اميخ أن أن يوفد رسولا اليها . فاقترحت عليه أ ينتظر قدوم الرسول الموفد من قبل العدو . فاصر القائد على تنفيذ ارادته . فانطلق البوز باشى فون هاربو بجواده الى المدينة . وعاد منها حوالى الساعة السابعة مساء : وكانت الراية البيضاء وقد ارتفعت على غير ارادة القائد ولم يبق أمامنا متسع من الوقت يسمح بدخول المدينة . فقضينا ليلتنا على اسوأ ما يكون

وفى هذه الاثناء أمرت الفرقة بان تلم شعثها وترتب شؤنها . وكانت حالتنا فى منتهى الحرج . ولم تصلنا انباء عن بعض الفرق الاخرى ومن جملتها الفرقة الحادية عشره . وذلك لان الرسل الموفدين من قبل تلك الفرق لم تتمكن من الوصول الينا . فالفرقة المذكورة اذن أصبحت محصورة

في وسط دائرة الحصون بمفردها ومنقطعة عن العالم الخارجي فلا بد لها من توقع كرات الاعداء عليها . أما نحن فقد أثقل كاهلنا وجود الف من اسرى البلجيكيين في معسكرنا . ولما لمس بأن الشارتريز عمل تحصيني قديم وهو موجود أمامنا خلواً من جنود الاعادي فقد أرسلت اليه بلكا من جنودنا ومعه هؤلاء الاسارى . ولعل رئيس البلوك ساءل نفسه اذا كنت قد فقدت صوابي

وأقبل الليل فازداد الجند اضطرابا . فطفقت اجوب خلال صفوفهم حاثا على التزام الهدوء والشجاعة قائلا لهم : « غـدا سندخل ليبج ! » فقوت هذه الكلمة قلوبهم .

اما القائد فون اميخ واركان حربه فقد وجدوا لهم مأوى صالحا فى ضيعة صغيرة .

ولن أنسى ماحييت ليلة ٦ الى ٧ اغسطس لانها ستخلد في ذا كرتي ببردها القارس . وكنت قد غادرت امتعتي فى المؤخرة . فأعارني القومندان فون ماركارد معطفه . وأخذت استرق السمع لمـا كان يتبادر الى وهمي من تعالي اصوات البنادق . فكنت آمل ان يتمكن أحد الالوية من اجتياز دائرة الحصون . غير ان اذني ما كانتا تسمعان سوى سكون عميق لايكدر صفاءه التام الا صوت قنابل الهاون التى تسقط فوق المدينة كل نصف ساعة مرة . فبلغ القلق مني اشد مبلغ . وفى الساعة العاشرة مساء امرت بلوكا من الجنود الصـيادة ان يباشر تحت امرة اليوزباشي اوت احتـلال حصون الموز الكائنة فى ليبج لتكون وهى فى قبضتنا وقاء لحركتنا عنـد متابعة الزحف فنظر الى اليوزباشى . . . ثم سار فى سبيله . وادرك هذا البلوك سؤله بغير قتال على اننا لم نستلم تقريره عن هذه المهمة .

واصبح الصباح فقصدت القائد فون اميخ وبحثت معه في الحاله . وانتهى الامر بالتصميم على دخول المدينة ولكن ساعة دخولها لم تعين .

وفيما انا مهتم باصلاح حالة اللواء ومحاولا الوصول الى الطريق المنتظر وصول اللواء الحادى عشر منها واذا بامر القائد فون اميخ صادر الي بدخول المدينة. وكان الكولونيل فون اوفين يقود الطلائع . ثم تبعته بقية اللواء مصحوبة بالاسرى و بعد قليل تقدم القائد فون اميخ واركان حربه ثم سرت انا بالمثل فى مقدمة هيأة اركان حرب اللواء . فسلم الينا عدد كبير من الجنود البلجيكيين انفسهم عند دخولنا المدينة وعهد الى الكولونيل فون اوفين احتلال القلعة .

وقد اتضح من المعلومات التى وصلت الينا فيما بعد انه لم يقم بمهمته بل ذهب الى حصن لونسن فى الجنوب الغربي من المدينة وتوطن عند هذا المنفذ من لييج . ولاعتقادي قبل وصول هذه الانباء بان الكولونيل فون اوفين مقيم في القلعة رأيت ان اتقدم بنفسي الى القلعة فركبت اوتوموبيلا بلجيكيا وصحبت احد الضباط ولم نصطحب جنديا واحدا . ولكننا عند ما بلغنا القلعة لم نجد حولها اثراً للجنود الالمانيين فهى لا تزال فى قبضة العدو . فقرعت باب القلعة الذى كان لا يزال موصدا ففتح من الداخل وسلم بضع المئات من الجنود البلجيكيين الموجودين فى الداخل انفسهم الي بمجرد ان انذرتهم .

وفى الحال تقدم اللواء واحتل القلعة التى رتبت على الاردفاعها .

و بما ان المهمة المعهودة الي قد انتهت فقد صار فى وسعى أن استأذن القائد فون اميخ فى الانصراف . واعتزمت على الخروج من القلعة بالطريق التى سرت فيها لدخول القلعة آملا ان اطلع قائد الجيش على مجرى الامور التى حدثت ، ولأرى الالوية الاخري ولانظم احتشاد المدفعية لمواجهة الحصون . وقبل ان ابارح القلعة وصل اليها بضع مئات من الجنود الالمانيين الاسرى الذين صار انقاذهم من الاسار .

وكان اللواء الرابع والثلاثون من المشاة قد اخترق خط الدفاع بمستكشفيه على الشاطئ الغربي من نهر الموز . الا انه اضطر الى التخلى

عن مواصلة القتال . فالشراذم التى اخترقت الخط سقطت اسيرة فى قبضة العدو . ثم وصل اللواء الحادى عشر و بعد قليل اقبل اللواء السابع والعشرون من المشاة و بهذه الطريقة صار لدى القائد فون اميخ عند مفارقتى اياه قوى لابأس بها . غير انه فى الحقيقة وصل نبأ يفيد زحف الفرنسويين فى اتجاه نامور . فالموقف الحربى اذن لايزال حرجا . ولا يمكن اعتباره مأمونا الا بعد سقوط عدة حصون من جهة الشرق على الأقل .

— ٥ —

كان وداعى للقائد فون اميخ مؤثرا . و فى الساعة السابعة انطلقت فى الطريق قاصدا اكس لاشابيل . وكانت هذه السفرة عجيبة ، فقد تطوع أحد رجال الحرس المدني لكي يكون دليلي . فاختار اتوموبيلا لم ارده . والاتوموبيل الذى كنت قد حصلت عليه طرأ على آلاته خلل قبل خروجه من القلعه . فلم يسعنى سوى ان استسلم الى هذا الجندى البلجيكى استسلاما اعمى . فجرت الامور مع ذلك فى مجار حسنه . فاجتزنا هرفيه ، وكان الفندق الذى أقمت فيه والمحطة قد احترقا . وعندما بلغنا التخم الالماني وقف سواق الاتوموبيل فجأة وصرح لى بانه لايستطيع أن يتجاوز هذه الغايه . و بفضل عدة وسائل نقلية اخرى وصلت متأخراً فى جنح من الليل الى ايكس لاشابيل ومعى الجندى البلجيكى . فاستقبلت فى فندق الاتحاد كاني قادم من عالم الاموات . ووجدت امتعتى مع الجندى مراسلتى رودولف بطرس الذى لبث أمينى مدة ست سنوات طوال . وكان اقصى مطمع له حصوله على وسام الصليب الحديدى . ومع ذلك فما استطعت أن احقق سؤله لان مثل هذا العمل يخالف

مبادئى . فالتهمت الطعام فى ايكس لاشابيل بسرعة ثم خففت تحت اذيال الدجى الى الامام باحثا عن الالويه . وظللت حوالى ٩٠ ساعة لم أطرح عن جسدى أرديتى . والتقيت من قبيل المصادفة بالآبى القـديم الذى كان قد أبحر بسرعة شديدة ونزل الى الشاطىء البلجيكى ليشرع فى الهجوم من جهة لييج ليكون كنجدة للقوى المقاتلة هنالك . وكانت القيادة العليا فى برلين مصابة بالمثل بسوء الاعتقاد فى نجاح عملنا .

ان موقف جنودنا فى لييج كان فى منتهى الحرج . وكنت فى قلق عظيم لاجل هـذا الأمر . الا ان حسن الطالع جعل العدو يلتزم جانب الجمود .

ان وصف بقية الحوادث التى تتابعت ازاء لييج مما يدخل فى اختصاص التاريخ . ولم تسمح لى المقادير بالاشتراك فى تلك الاعمال الا ما كان مختصا منها بالاستيلاء على حصن بونتيس والا أن اشاهد سقوط حصن لونسن . وسبب سـقوط هـذا الحصن اصابته بمقذوف من مدافعنا عيار ٤٢٠ ملليمترا . فالتهبت النـيران فى أماكن الذخائر التى انفجرت بشدة هائلة قضت على سائر وسائل التحصين . وخرج من تحت الانقاض المتداعية جنود بلجيكيون اكتست وجوههم مسحة من السواد وكذلك خرج من تحتها جنود المانيون كانوا قد أسروا فى الليلة الواقعة ما بين ٥ و ٦ اغسطس فرفعوا أيديهم وقد تلطخت ثيابهم بالدماء المتدفقة من أجسادهم وأخذوا يصيحون : « لا تقتلوا ! لا تقتلوا ! » وبما اننا لسنا من الهون (قوم متوحشون اغاروا على اوربا فى القرن الخامس) فقد سارع جنودنا بحمل الماء الى أولئك البائسين فنضحوا وجوههم وأرووا ظماءهم .

وشرعت الحصون تسقط بين أيدينا واحداً فوحـدا وفى أوقات متقاربة تمكن الجناح الايمن من الجيش الالمانى من اجتياز نهر الموز والتقدم

بحرية في البلاد البلجيكيه . وحينئذ شعرت براحة عظيمه .

ولقد اعتبرت اشتراكى في حركة الاستيلاء على لييج كعناية خاصة من القدر لانى كنت في زمن السلم قد اشتركت فى وضع مشروعات الاستيلاء عليها فلما جاء وقت التنفيذ كنت متشبعا بكل مايلزم لهذا العمل الهام . وأنعم علي صاحب الجلالة الامبراطور بوسام « الجدارة » لاجل توفقى فى ادارة حركة اللواء أثناء هذه الحملة ، و بالطبع استلم القائد فون اميخ هذا الوسام قبلى لانه كان الرئيس المسؤل . والاستيلاء على لييج عمل جليل اشترك فى اتمامه عدة رجال آخرون لهم الحق فى مشاطرة مجد التسلط على هذا المعقل المنيع .

وقضيت بقية مدة الزحف فى بلجيكا بصفتى رئيس معسكر الجيش الزاحف . وعنت لى الفرصة التى سمحت بدرس كل دقائق التموين ، وهذا الدرس ساعدنى على القيام باعباء وظيفتى خير قيام فيما بعد عندما صرت رئيس أركان حرب . وساعدنى الوقت على المرور ببلدة اندين : فرأيت فيها ذلك المنظر الرهيب المؤثر الذى يرسم أشكال التخريب والتقتيل التى أحدثتها حرب الافراد .

وكذلك حضرت فى ٢١ اغسطس عبور نهر السامبر من غرب نامور ، والفرقه الثانية من الحرس هى التى قامت بهذه الحركة . ولقد كان منظراً مؤثرا فى النفس أن يرى المرء أولئك الفتيان الاشداء صباح الوجوه المتألف منهم آلاى اوجوستا يتقدمون بعد العبور بقلوب كالصلب الى الهيجاء .

وفى صبيحة ٢٢ اغسطس استلمت امر استدعائى الى الميدان الشرقى

رئيس اركان حرب الشرق

من ٢٢ اغسطس ١٩١٤ الى ٢٨ اغسطس ١٩٢٦

تانينبرج

— ١ —

ان الكتابين الواردين الي من القائد فون مولتك والقائد فون ستاين اللذين ينبئانى بانتدابى رئيس اركان حرب الجيش الثامن المخيم فى بروسيا الشرقية و يستدعيانى الى المعسكر العام الاكبر فى كوبلنس وصلا الى يدى فى الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢٢ اغسطس وانا فى المعسكر العام للجيش الثانى فى منتصف الطريق الكائنة ما بين وافر ونامور. وقد اسلمهما الى اليوزباشى فون روخوف.

اما القائد فون مولتك فكتب الي ما يلى :

« لقد اسندت اليك مهمة جديدة شاقة، وربما كانت اصعب من مهمة الاستيلاء على لييج . . . اننى لست اعرف شخصا يمكننى ان اوليه تمام الثقة كما اثق بشخصك انت . فربما ستتلافى الحالة فى الشرق كما تلافيها هنا . لا تؤاخذنى اذا ما انتزعتك من مركز لا يلبث العمل الحاسم فيه ان يتم فى اقرب وقت ان شاء الله . فمن الواجب عليك ان تقدم هذه التضحية لاجل الوطن . وكذلك الامبراطور له ثقة بك . وبالطبع أنك لن تقع عليك تبعة ما حدث هنالك . ولكن ربما تؤدى شجاعتك الى تلافى ما يعسر الآن تلافيه . فتقبل اذن هذا التعيين المقرون باعظم ما يمكن ان تطمح اليه نفس الجندى الباسل . وآمل ان تحقق الثقة التى صار

توجيهها اليك . »

واما القائد فون ستاين الذى كان اذ ذاك رئيس المعسكر العام والذى صار فيما بعد وزير الحربية فقد انهى كتابه بالكلمات الآتية .

« فمن الواجب عليك اذن ان تسافر . ان مصلحة الدوله التى تقتضى ذلك . ان هذه مهمة عسيرة الا انك ستتغلب عليها فى النهاية . »

وعلمت غدا ما تقدم من اليوزباشى فون روخوف ان القائد فون هندنبورج قد تعين قائدا عاما غير انه ليس معلوماً اذا كانوا سيجدونه واذا كان سيقبل هذا المنصب .

ولقد فخرت بالمهمة التى اسندت الي حديثاً وبالثقة التى احرزتها بموجب هذين الكتابين . وقد استخفنى الطرب من جراء اعتقادى باستطاعتى فى احرج المواقف وفى المكان الذى يقتضى عملا حاسماً ان اكون مفيدا لامبراطورى وجيشى ولوطنى . ان حب الوطن والولاء للملك والتشبع بفكرة القيام بالواجب وان كل امرىء انما يعيش لاجل الاسرة ولاجل الدولة كانت هى كل ما ورثته من البيت الابوي . ان ابوي لم يكونا غنيين . واخلاصهما للعمل لم يكسبهما سعة العيش وتوفر المال . ومع ذلك فقد كنا بفضل الاقتصاد العظيم فى مطالب الحياة نتمتع مع البساطة التامة بعيشة اهلية سعيدة مشمولة بالتمازج والوفاق ولم يكن لابى وامى سوى فكرة واحدة يشتركان فيها وهى : تربية اطفالهما الستة . وانى لاعبر لهما هنا عن اعترافى بجميلهما .

وحاولت وانا لاازال ضابطاً يافعاً ان اعمل لاستفيد من عملى . الاان رجائى من الحياة لم يتحقق . وطفقت اقضى معظم اوقاتى فى ويزين وفى ويلهلمسهافن وفى كييل وانا ملتزم غرفتى بصفتى ملازماً فى تلاوة الكتب التاريخية وتواريخ الحروب والجغرافية . فاخذت معلوماتى المدرسية تزداد

نموا واتساعا . واصبحت فخوراً بوطني و برجاله العظماء . واعظم ما اجللته في بسمارك قوة شخصه وشدة تصميمه على ادراك امانيه . وارتسم عمل اسرتنا المالكة لاجل عظمة بروسيا الالمانية في ذاكرتي بوضوح تام . واصبحت يمين الولاء التي آليتها لهذه الاسرة شعورا قويا قائما على اساس الإخلاص وتضحية النفس . وبدت لي أهمية جيشنا واسطولنا العظمى في سبيل سلامة وطننا الالماني الذي ظل على الدوام ساحة قتال اوربا وكلما توسعت في تصفح كتب التواريخ ازدادت هذه الاهمية خطارة في نظري . وبالقاء النظر على ما حولي كنت ارى عظمة وجسامة العمل السلمي الذي قام به وطننا في سبيل المدنية وفي سبيل الانسانية .

وكان اول نشاطي في الاعمال اللازمة لمصلحة الجيش خاصة في عام ١٩٠٤ حينما تعينت في شعبة تخطيط الاعمال الحربية التابعة لهيأة اركان الحرب الكبرى . وانتهت مهمتي في هذا الصدد بتوسطي لفتح اعتماد خاص لتنظيم الجيش بمليار مارك .

ولبثت مدة طويلة وانا مرشح في حالة التعبئة العامة لان اكون رئيس مكتب الاعمال الحربية في المعسكر العام الاكبر . وهذا الترشيح انتهى بالطبع على اثر تعييني قائد آلاي في دوسلدورف . فصارت بعدي حقاً لخلفي في هيأة اركان الحرب الكبرى . وكنت ارى اهمية ترشيحي في حالة التعبئة لان اكون وانا في وظيفتي الجديدة رئيس معسكر الجيش الثاني منحصرة في مسألة الإستيلاء على لييج من غير ان اجد فيها ما يجتذب النظر بنوع خاص اكثر من ذلك .

وقد اشتركت في عدة سياحات قامت بها هيأة اركان الحرب تحت اشراف القائد فون مولتك الذي وعدني بأن ارى كيف تكون الحرب الكبرى . ان مركزي الحديث اتاح الفرصة التي اظهر فيها اذا كنت سأحقق ولو في دائرة

صغيرة آراء الاستاذ الاكبر لهيأة اركان الحرب العامة القائد الكونت فون شليفين . ليس للجندي ان يؤمل زيادة في الفائدة من وراء الحرب . واني لشديد الاسف لان هذا المركز اسندالي في وقت عصيب على الوطن .

فكل كياني الخاص ونفسي الالمانية كانا يشجعاني على العمل .

وبعد ربع ساعة كان الاتوموبيل يطوى بي بساط الغبراء منطلقاً الى كوبلنس . ومررت بمدينة وافر . ولقد رايتها في اليوم السالف مدينة لطيفة وهي اليوم تلعب فيها السنة النيران . وهنالك ايضا وجدت الاهالي مشتركين في الكفاح . وبهذه الطريقة ودعت بلجيكا .

وفي الساعة السادسة مساء صرت في كوبلنس . وفي الحال زرت القائد فون مولتك الذي لاح لي انه متعب . ومنه علمت حقيقة الحالة في الميدان الشرقي . ذلك ان الجيش الثامن هاجم في يوم ٢٠ اغسطس في جهة جومبينن جيش النيمن الذي يرأسه رينكامف . وعلى الرغم من احرازه بعض الانتصارات الفنية فلم يتتوج الهجوم بالظفر النهائي . فاضطر الجيش الثامن حينئذ الى الكف عن مواصلة القتال . ومن هذه الآونه اصبح هذا الجيش متراجعاً ما بين بحيرة ماوير والبرجيل . فصار ارتداده من جهة الغرب الى ما وراء الاجيراب ومن شمال البرجيل الى ما خلف الدايم اي الى خط الدفاع الأمامي عن معقل كنيجسبرج واقتضى نقل العرضي الاول بواسطة السكة الحديد من المحطات الكائنة في غرب انستربورج الى جوسلرسها وزن ليكون تحت تصرف ذلك الجيش وصار نقل الفرقة الثالثة الاحتياطية من انجيربورج الى اللنستاين . هو هنستاين لتقوية العرضي العشرين .

وكان خط البحيرات ضعيف التحصين ومع ذلك فقد ظل من نيقولايكن الى لوتزن تحت سلطتنا . ولم يسق العدو الى هذا الخط سوى قوى هزيله .

وكان القائد فون شولتز رئيس العرضي العشرين هو الذي يتولى القيادة فى التخم الجنوبى من بروسيا الشرقيه . وقد حشد فرقة وكذلك اللواء السبعين من اللاندويهر وعناصر من حامية تورن ومن حاميات حصون اخرى قائمة على نهر الفيستول فى جهة جيلجنبورج و فى الشرق حيث أخذ يقاتل بلا انقطاع جيش الناريف الروسى المحتشد تحت امرة سامسونوف . وقد اصيب فى هذا النزال بضغط شديد .

فكان الواجب الاعتماد على تقدم جيشي العدو على التوالى من جانبي سد البحيرات . وقال لى القائد فون مولتك ان الجيش الثامن عازم على اخلاء الاراضى الواقعة شرق الفيستول . والمعاقل هي التى ستظل محتفظة بقواها وستدافع عنها هذه القوى . وقد صمم الجيش الثامن بدون ادنى شك على التزام هذه الخطة على اعتقاد ان النصر الحاسم سيتم قريبا في الميدان الغربي واذ ذاك يمكن ارسال نجدات تساعد على استعادة بروسيا الشرقية والتغلب على العدو فى اراضينا وهذا النوع من العمل الحربى كان يتكلل غالبا بالفوز فى خلال التمرينات العسكرية التى كانت تحدث تحت اشراف القائد الكونت فون شلييفين فاذا تم الظفر النهائى في الغرب فأن الجيش الثامن يكون له حظ الاحتفاظ بقواه ليناجز العدو فى وقائع آتية ولكن مثل هذا القرار لا ينظر فيه الى حقيقة ما يجرى في ميادين القتال ولا الى التبعة الهائلة المترتبة على التخلى للعدو عن ارض المانية . ان هذه الحرب العالمية قد القت على الانسانية درسا جديدا فى ضروب البأساء التى تعانيها البلاد المكتسحة حتى لو كان القتال متبعا اعظم طرق الرحمة والشرف . وبعد اظهار الطريقة التى اتبعت فى الحوادث الجارية فى الشرق يمكن القول بأن التراجع الى ما وراء الفيستول مؤد الى نكبه . فنحن اذن لن نتمكن من الاحتفاظ بخط الفيستول ازاء القوات الروسية المتفوقة ،

أو على الاقل لن نستطيع بالمثل أن نساعد الجيش النمسوي فى بحر شهر سبتمبر . ولهذا السبب فان الجيش النمسوي اصبح مهدداً بتداعى اركانه. فالموقف الحربي فى الشرق على هذه الصفة التي علمتها عنه بالتأكيد في شدة الحرج الا انه لاتزال توجد اوجه احتمال لتلافي هذا الموقف .

فبناء على طلبي صدر الامر فى الحال الى الشرق بوقف حركة الارتداد التي تقرر أن يقوم بها فى ٢٣ الجارى السواد الاعظم من الجيش الثامن . وصار من الضروري ان يستريح العرضى الاول من احتياطي حصن كونجسبيرج ولا ينبغي ان ينزل العرضي الاول من الجيش العامل فى جوسلزسهاوزن بل على مقربة من القائد فون شولتز فى جهة دويتش ايلاو . وكل العناصر التي لاتزال مستعدة للقتال من حاميات تورن وكولم وجراودنز وماريئبورج يجب نقلها الى جهتي ستراسبورج ولا وتنباخ . وهذه الحاميات تتألف من فصائل اللاند ويهر ومن اللاندستورم . وبهذه الطريقة تشكل فى القسم الجنوبي الغربى من بروسيا الشرقية مجموع جيش قوي . وبهذا المجموع يمكن اتخاذ خطة الهجوم بينما يستمر مجموع الشمال على القتال وهو منسحب فى اتجاه الجنوب ليشتبك فى الكفاح مع جيش النار يف . واما ما يمكن اتباعه من العمل فلا يمكن تقريره نهائيا الا فى مكان العمل . ولا يتأتى للروسيين ان يفلتوا من هذه الخطة بل لابد ان يلتحموا معنا فى ميدان الصراع . والشيء الواضح الذي يتبادر الى ذهن كل ضابط من اركان الحرب الانتفاع من انفصال كلا جيشي العدو عن الآخر .

وكذلك قابلت جلالة الامبراطور . وكان جلالته اذ ذاك هادئاً مطمئنا . وأخذ يتكلم بصوت قوي عن الحالة الحربية فى الشرق معرباً عن اسفه الشديد لرؤيته قسما من الوطن الالماني معرضا لاغارة العدو . وكان اكبر همه ما يكابده رعاياه من الآلام والاهوال . وانعم علي الامبراطور

بوسام « الجدارة » الذى انما احرزته لاجل العمل الذي قمت به في ليييج ووجه الي عبارات الثناء . وساظـل طول حياتي حافظا اجمل ذكرى ممزوجة بنشوة الطرب و بالافتخار لهذا الشرف الجليل المجيد .

وفي الساعة التاسعة مساء ركبت القطار الخاص المعد لنقـلى من كولونيا الى الشرق .

وقبل ارتحالى بقليل علمت ان القائد فون هندنبورج قبل أن يتولى القيادة العامة فى الميدان الشرقى وانه سيركب هذا القطار من محطة هانوفر فى الساعة الرابعة صباحا . وعندما وصل القطار الى هانوفر كان القائد فى المحطة . فخففت الى لقائه وتعريفه نفسي . وكانت هذه المرة الاولى التى تقابلنا فيها . وكل الاقاويل التى تداولتها الالسنة فى هذا الصدد تدخل فى سلك الاقاصيص الخرافيه .

وعرضت عليه الحالة فى الشرق بايجاز ثم اضطجعنا

وفى الساعة الثانية بعد الظهر يوم ٢٣ اغسطس وصلنا الى مارينبورج حيث كانت هيأة اركان الحرب في انتظارنا . وكان موقف الجيش قـد تحسن . اذ صار العدول عن الارتداد الى ماوراء الفيستول . وأول ماوجب الاهتمام به على أثر التغيير الحديث هو الاستيلاء على الباسارج . فتمكن القائد جرونيرت رئيس معسكر الجيش الثامن واللييتنان كولونيـل هوفمان من القيام بهذه المهمه .

وكان استقبالنا فى مارينبورج بمنتهى الفتور . فحسبت نفسى فى عالم آخر : فقد انتقلت فجأة من ليييج وذلك التقدم السريع فى الميدان الغربى الى هذا الجو المشوب باكدار القلق والاضطراب . غير ان التطور لم يلبث ان تم هنا بسرعه . فعادت الثقة الى النفوس . وتحولت الحيـاة فى دائرة ركان الحرب الى ماوصفتها به فى مبدأ هذا الكتاب .

— ٢ —

لقد سألني القومندان فالديفيا الملحق العسكري الاسباني البارع في ميدان القتال أثناء اكتوبر ١٩١٤ عند زيارته الاولى معسكرنا فى بوزن عما اذا كانت معركة تاننبيرج حدثت بموجب خطة محكمه وضعت بروية وتدبر فى مدة طويله . فكان جوابي كلا . فدهش من هذا الامر لانه وكثيرين سواه يظنونها خطة مدبرة من قبل .

لقد تم حشد قوى كبيرة فى زمن كاف . وذلك لان معارك المواقع المحصنة يقتضى مثل هذا الاستعداد . ففى الحرب المتحركة وفى معركة الحرب المتحركة تتتابع الآراء فى فكر القائد العام بسرعة تتابع الحوادث ازاء عينيه . فليس له فى مثل هذا المقام سوى الاعتماد على حكم الشعور : وحينئذ تتحول المهنة العسكرية الى فن .

ان الفكرة الاساسية للمعركة اخذت تتكون شيئاً فشيئاً بتفاصيلها فى المدة الواقعة ما بين ٢٤ و ٢٦ اغسطس . وكان الأمر الجوهري هو معرفة ماذا كان فى الامكان بالتأكيد ابعاد العرضى الاول من الاحتياطى والعرضي السابع عشر من الجيش العامل عن جيش رننكامف للتمكن من جمع الاجزاء الاخرى من الجيش الثامن وتوجيه ضربة قوية الى جيش النار يف . ان هذا الامر يتوقف على ماسيتخذه رننكامف دون سواه فاذا عرف كيف يستفيد من الفوز الذى احرزه في جومبينن وزحف بسرعة فان مشروعنا يصبح مستحيل التحقق . فلم يبق اذن سوى سوق العرضي الاول الاحتياطى والعرضي السابع عشر العامل الي اتجاه الجنوب الغربي نحو ورمديت بينما يكون المجموع الآخر من الجيش الثامن يناوش جيش النار يف ليشغله الى ان يتم الترتيب المقصود واذ ذاك يصيبه بضربة تلجئه الى الادبار . وكذلك لم يكن من المستطاع القيام بدفاع قوى على

خط ثابت شرق الفيستول وانما يمكن اعتبار الدفاع فى هذا الخط بمثابة مشاغلة وقتية للعدو.

واخذ يتضح بالتدريج ان رننكامف لا يزحف الا ببطء شديد. وعلى اثر ذلك استطاع العرضيان اللذان كانا يتراجعان تقريباً الى خط بارتنستاين جرداون ان ينعطفا بوضوح نحو الجنوب فى اتجاه بيشوفسبورج ونايدنبورج. وصار نقل العرضي السابع عشر أولا تحت حماية الفرقة الأولى من الخيالة والعرضي الأول الاحتياطي من طريق شيبنبايل الى بيشوفستاين فى الجنوب. وبعدان انساب خلف العرضي الأول الاحتياطي وتقدم من بنشوفستاين الى بيشوفسبورج انحدر العرضي الأول الاحتياطي فى دوره الى الجنوب مستديراً حول شيبنبايل فى اتجاه سيبورج. فلم يثبت فى خط القتال الممتد امام رننكامف سوى الفرقة الاولى من الفرسان المستقرة فى شيبنبايل وفى الجنوب. على ان لواءها الأول صدر اليه الامر كذلك فى ٢٦ اغسطس بالتحرك من روسيل الى سينسبورج. وعلى ذلك لم يكن موجوداً فى ٢٧ اغسطس سوى لواءين من الخيالة ما بين بحيرة ماور ونهير البريجيل قبالة ٢٤ فرقة قوية من المشاة وعدة فرقة من الخيالة وهي القوى المؤلف منها جيش رننكامف. فسد البحيرات مفتوح من جهة الشرق ومن الممكن تحويله فتصبح كونيجسبيرج منعزلة بسهولة.

ولقد كان تقرير البدء فى انشاب المعركة نتيجة التباطؤ الذى اظهرته القيادة الروسية فى تحريك جيشها ، وكان الباعث على هذا القرار الامل فى الانتصار على الرغم من قلتنا العددية ، فالقرار اذن فى منتهى الخطورة.

وبمقتضى هذه الخطة اصبحت الفيالق متحركة خلف جيش الناريف الذى كان يزحف من نايدنبورج على اللنستاين. وكانت هي نفسها جاعلة جيش رننكامف خلف ظهورها بدون ان يكون لها وقاء امذكوراً

منه في حين انها على مسيرة يومين او ثلاثة ايام من مستقره . وكان جيش رننكامف يلوح في الشمال الشرقي بقوته الهائلة كسحابة سوداء تتبعها العاصفة عند ما نشب القتال في ٢٧ اغسطس على طول امتداد الساحة وبأشد ما يكون احتداما لا لينتهي في يوم واحد كما كان شأن الحروب في الاوقات السالفة بل ليستمر الى يوم ٣٠ . ومع ذلك فان جيش رننكامف لم يتعد خط اللنبورج جيرداوبن تايد نبورج و بذلك استطعنا ان نحرز انتصارا باهرا .

وقلما يمكن تصور القلق الذي كان يساورني في غضون هذه الايام الطوال وانا ارقب حركات وسكنات جيش النييمن عن بعد .

وليتمكن العرضي السابع عشر العامل والعرضي الأول الاحتياطي من القيام بعملهما بمنتهى الحرية والمقدرة حدث عفوا أن بقية الجيش الثامن اضطرت الى ان تباشر الهجوم هي بالمثل . مع ان الذي كان مرسوما من قبل لهذا المجموع من الجيش الثامن الا يتخذ خطة الهجوم .

وبعد ان وصلت النجدات الى العرضي العشرين العامل مرت عليه ايام عسيرة انهكت قواه . فقد كان في يوم ٢٣ معتليا القمم المحدقة بالجهة الشمالية الشرقية من جيلجنبورج جاعلا جبهته في اتجاه الجنوب في حين ان العدو كان زاحفا من نايدنبورج اي من الجنوب الشرقي . وكانت الفرقة الثالثة الاحتياطية لا تزال تتجمع غرب هوهنستاين . والعرضي الاول العامل قد بدأ ينحدر بالتدريج من القطارات التي تنقل وحداته الى دويتش ايلاو . وقد نجح القائد فون شولتز في رد قوى الاعداء المتفوقة الا انه اضطر مع احتفاظه بالقمم التي يحتلها غرب جيلجنبورج الى اجتذاب جناحه الايسر بسرعة الى الجهة الكائنة غرب هوهنستاين الى امتداد ينتهي عند موهلن . وهذه الحركة مع كونها شاقة على الجنود

الا انها افادت جدا : فقد حسب الروسيون انفسهم ظافرين . ولم يدر في خلدهم اذ ذاك ان الالمانيين سيقاومون فلم ينتظروا منهم بالاحرى ادنى هجوم . ورأوا طريق البقاع الالمانية مفتوحة امامهم شرق الفيستول .

وفي يوم ٢٤ صرنا على مقربة من القائد فون شولتز . والتقينا معاً في تاننبيرج . وقد جعلا هو ورئيس اركان حربه الكولونيل هيل اسميهما مجيدين خالدين بما اتياه من الاعمال الجليلة في اثناء هذه الحرب .

وقد وصف لنا القائد فون شولتز شرحا وافياً دقيقاً الاعمال الحربية الجسيمة التي قامت بها الجنود المجتمعة تحت امرته من مبدإ الحرب وما عانوه من الاهوال التي لم يسمع بمثلها في الوقائع الاخيره . وكان يعتقدان العدو سيوالي ضغطه عليه الا انه كان قوي الأمل في الثبات والتغلب على مجهود العدو .

وفيما نحن نسير في الطريق الموصلة من مارينبورج الى تاننبيرج اذا بنا نلتقط اشارة جوية مرسلة من العدو اطلعتنا على بيان واف جداً عن الوسائل المقررة للايام التاليه . وكان جيش النار يف يتقدم بالتدرج نحو اليسار مع العرضي الثاني العامل الزاحف من اور تلسبورج الى بيشو فسبورج التي يمكنه ان يبلغها او يتخطاها في ٢٦ منه ومع العرضي الثالث عشر العامل الزاحف من نايد نبورج عن طريق باسنهايم الى اللينستاين . ثم يجيء فيما بعد العرضيان الخامس عشر والثالث والعشرون العاملان اللذان قاتل بهما القائد فون شولتز العدو في هذه الايام الاخيرة وكانت آخر مرحلة لهذه العرضيات بلغت في يوم ٢٦ جهة وابليتز الكائنة في الجنوب الاقصى . واقصى تراميها في الخلف نحو اليسار مع الاتجاه في سمت الغرب ، وشرع العرضي الأول العامل يتقدم عن طريق ملاوا وسولداو مستوراً ببعض فرق من الفرسان من جهة لاوتنبورج وستراسبورج .

وكان من المهم مباغتة حركة العدو التي يجارينا بها بمهاجمته من الغرب بمجموعة الجيش الثامن الكائنة فى الجنوب . وهذا المشروع يصير قويا اذا امكن الالتفاف فى الوقت نفسه بسولدوا من الجنوب للاحداق كذلك بالعرضي الأول من الجيش الروسي . فهزيمة جيش الناريف المتوقع حدوثها لدى زحف العرضيين السابع عشر العامل والأول الاحتياطي الالمانيين يمكن حينئذ ان تنقلب الى انحلال عام . الا ان قوانا لم تكن كافية لاتمام مثل هذا المشروع . فاقترحت اذ ذاك على القائد فون هندنبورج الهجوم بالعرضى الاول العامل عن طريق ايلاو ومونتوفو وبالجناح الايمن للعرضى العشرين العامل الواصل اليه مدد حديث عن طريق جيلجنبورج على ارسداو والقاء العرضى الاول الروسى فى اتجاه الجنوب الى سولداو . وعلى أثر ذلك يندفع عرضينا الاول العامل في اتجاه نايدنبورج ليحدق على الاقل بقلب جيش الناريف وهو متصل بالعرضى السابع عشر العامل والعرضى الاول الاحتياطى . فلم يبق علينا الا نعرف كيف ننفذ مشروعاتنا لنفوز بقصدنا .

ولقد ارجىء هجوم العرضيين العاملين الاول والعشرين الى يوم ٢٧ . وكنت احب ان اراه مبتدئا قبل هذا الموعد غير ان الفليق الاول العامل لم يكن قد استعد بعد لان فرع السكة الحديد الذى يخترق بروسيا الشرقية اصيب بعطب بالغ . ولهذا السبب صمم القائد فون فرانسوا المتولى قيادة العرضي الاول العامل على الا يشرع فى الهجوم قبل ان يصير عرضيه باكمله تحت تصرفه .

على ان الامور لم تجر باجمعها فى مجاريها الحسنة كما يوضحه هذا الشرح الوجيز . فان كل الوحدات اصيبت باضرار جسيمة ومتاعب عظيمة وقد اعترى اعدادها نقص فادح من جراء الوقائع المتتالية التى لبثت تخوض

غمارها . ونهضت عقبات متعددة فى سبيل الاوامر المرسلة الى العرضى الاول الاحتياطى والعرضى السابع عشر العامل . ولبثنا نحن فى انزعاج من حملات شراذم الفرسان المعادين . بل لقد طفقنا نتساءل اذا كان العدو سيدع لنا من الوقت ما يسمح بتنفيذ مشروعاتنا .

وقد احرجنا الاهالى المدنيون الفارون من وجه العدو بنوع خاص لانهم كانوا متجمعين خلف مجموعة القائد فون شوانز . وكانوا يعدون بالآلاف مشاة وفى المركبات وهم يسدون منافذ السبل . وظلوا ملازمين الجنود . فلو حدث تراجع فجائي من مجموعة هذا الجيش لنجم عنه مصاب هائل يلحق بالاهالى وبالجنود فى آن واحد . الا انه لم يحدث شيء من ذلك . ولم يكف رجال الجندرمة القلائل لتصريف هذه الامواج المتلاحقة فصار من المحتم تركها تسير كما تشاء . ولقد بقيت من تلك الايام ذكريات مؤلمة ماثلة فى ذاكرتي

— ٣ —

وقضى معسكرنا العام يومي ٢٤ و ٢٥ اغسطس فى روزنبيرج ويوم ٢٦ فى لوبار . ولقد استخدمنا يومى ٢٥ و ٢٦ في الاختلاط برؤساء الوحدات وبالجنود .

وقد صار الموقف فى مساء ٢٦ كالآتى :

القائد فون موهلمان — الملحق بالعرضى الاول العامل — ومعه عناصر من حاميات حصون الفيستول فى لاوتنبورج وستراسبورج وهو محتك بخيالة العدو احتكاكا شديداً . والعرضى الاول العامل نفسه محتشد في مونتوفور فى الجنوب وقد اخذ يقترب مع موالاته الكفاح من اوسداو

وقد التحم اشد التحام مع العرضى الاول الروسى . والقائد فون فرانسوا متهيء للاستمرار على الزحف فى يوم ٢٧ .

وعهد الى الجناح الايمن للعرضى العشرين المعضد بقوى اخرى ان يهاجم اوسداو من جهة الشمال وان ينضم بعد ذلك الى العرضى الأول ليستمر زاحفين على نايدنبورج . ووجب على الفرقة ٤١ من المشاة التقدم من جاردبينن الى وابليتز وعلى يسارها لواء من اللاندويهر ، وكذلك الفرقة الثالثة الاحتياطية والفرقة ٣٧ من المشاة تهاجمان عن طريق موهلن في اتجاه الشمال وابليتز وهو هنستاين . وبهذه الطريقة صار الاشتباك مع العدو على طول الجبهة : واللنستاين صار احتلالها بالمثل .

وكانت فرقة فون درجولتز اللاندويهرية التى جعلها المعسكر العام الاكبر تحت تصرفنا لاتزال قادمة الى اوسترود وبيسيلين . وقد جاءت من سلميسفيج هولستاين حيث بقيت محافظة هنالك الى هذا الوقت على القناة والشواطىء . فوجب عليها ان تكتسح هوهنستاين من الشمال الغربي .

وفى ٢٦ اغسطس بلغ العرضى الاول الاحتياطى جهة سيبورج ، وحمل العرضى السابع عشر العامل على لاوتزن وبوساو فى شمال بيشوفسبورج فاشتبك بفرقة من العرضى السادس الروسى وقذف بها فى اتجاه بيشوفسبورج وخاض المعركة بنجاح اللواء السادس من اللاندويهر الذى اقترب فى يومي ٢٤ و ٢٥ من لوتزن حتى صار فى الجهة الشمالية الغربية من بيشوفسبورج .

وصار من المحتم الهجوم على اوسداوفى الساعه الرابعة من صباح ٢٧ واردنا ان نشاهد هذه الوقعة الحاسمة التى يدور عليها محور المعركة الكبرى لنتمكن من الاشراف فى مراكز الكفاح على عمل العرضيين العاملين الاول والعاشر الذى تم ترتيبه وصدرت به الاوامر من قبل . وفيما نحن مرتحلون من لوباو الى جيلجنبورج وصل نبأ سار يفيد سقوط

أوسداو . فاعتبرت المعركة مكسوبة من هذه الساعة . ولكننا لم نكن قد كسبناها بالفعل بعد . واذا كنا قد حسبناها سقطت فان جنودنا لم تحتلها فعلا الا فيما بعد فى ضحوة النهار . واذ ذاك صار جيش الناريف مشطورا من الوجهة الفنية . فقذف العرضى الاول العامل العدو الى سولداو وتقدم هو الى نايدنبورج .

اما العرضى العشرون العامل فقد أصيب بخسائر فادحة ولهذا فان فوزه فى القتال كان اقل من سواه . ولم تتقدم الفرقة ٤١ من المشاة الي جارديينن وبالجملة لم يحدث اى تقدم فى جهة الشمال .

واحتشدت فرقة فون درجولتز على مقربة من هوهنستاين .

والخلاصة اننا لم نكن على تمام الارتياح عند ما تلاقينا بعد الظهر في لوباو .

وعند وصولنا نمى الينا ان العرضى الاول العامل انهزم والبقية المتخلفة منه آخذه فى الانسحاب الى مونتوفو . الا ان هذا النبأ كان غير قابل للتصديق . فخابرنا المندوب الحربي الموجود فى محطة منتوفو : فافاد بانه يوجد حقيقة جانب من جنود العرضى الاول العامل وهم شارعون فى التجمع هنالك . غير انه ظهر فيما بعد ان المسألة لا تتعدى حدان احد الطابير الذى وجد نفسه في موقف حرج اضطر الى التخلى عن مركزه وكذلك كانت فصائل تجتاز لوباو بسرعة متجهة الى الخلف فاحدث مرورها بهذه الصفة شيئا من الاضطراب . لقد بوغت الرئيس من كل الجهات فى آن واحد . فلا بد له من اعصاب حديدية تتحمل هذه الصدمات القوية . لقد يذهب الظن بسهولة جدا الى ان الحرب ليست سوى عملية حسابية ذات نواتج عظيمة . على ان الحرب هى كل شيء سوى هذه العملية الحسابية . وما هى الا تصارع القوى الهائلة المجهولة ما بين

طبيعية وأدبية مصارعة هائلة ذات مشقة عظيمة يزيد في هولها مايعتور احد الجانبين المتكافئين من قلة العدد . وما الحرب الا تساند بين رجال متفاوتين فى متانة الخلق وفى الآراء المتباينة أشد تباين . وارادة الرئيس هي النقطة الوحيدة التي تتجه اليها الانظار فى وسط هـذا الاختلاف العظيم .

وخير لاولئك الذين ينتقدون القيادة ، اذا لم يباشروا القيادة بانفسهم اثناء الحرب ، ان يدرسوا قبل كل شيء التاريخ العسكري . وآمل ان يتهيأ لهم ان يديروا بانفسهم رحى القتال فى احـدى المعارك فان تزعزع المركز والمطالب الجسيمة المتتابعة بجعلهم ينوءون بفداحـة العبء و... تحملهم على الغض من غلوائهم . ولا يوجـد سوى رئيس الحكومـة او الرجل النافذ امره فيها من تضاهيء تبعته ، عنـد اشهاره الحرب وهو على تمام العلم بما يترتب على اشهارها ، فى فداحتها ثقل التبعة الضاغطة على عاتق القائد . فأما تبعة الاول فهي واحدة وذات فداحة هائلة ، واما القائد فالتبعة رازحـة على كتفه كل يوم بل كل لحظة ، فهو يحمل أعباء مـلايين من الرجال بل اعباء شعوب باسرها . فليس ثمت ماهو اعظم من هذه المهمة لدى العسكرى ، الا انه لايوجد بالمثل ماهو أصعب من تولى رآسة جيش او الاضطلاع بمهمة القياده العليا .

ونمى الى علمنا مساء فى ساعـة متأخره ونحن فى لوباوان العرضى الاول الاحتياطى بلغ فى زحفه وارتنبورج . واصيب العرضى السابـع الروسى بهزيمة تامـة امام عرضينا السابـع عشر العامل ونكص على اعقابه عن طريق اورتلسبورج . الا انه اخـذ يتجه مرة اخري الى الجهة الجنوبية من بيشوفسبورج واقتفت آثاره قوات على شيء من الضعف في حين ان السواد الاعظم من العرضى السابع عشر خيم في

عشية ٢٧ بجهة منسجوت و في شمالها .

ولم يبق علينا في ٢٨ الا ان نامر العرضى الاول العامل بالاستيلاء على تايدنبورج . على انه اتجه من تلقاء نفسه الى هـذه الجهة . ووجب على العرضى العشرين العامل ان يقوم بالهجمة المعهودة اليه في يوم ٢٧ ودفع الفرقة ٤١ من المشاة خاصة بسرعة شديدة الى الامام . ووجب على فرقة فون درجولتز اللاندويهرية ان تهاجم هو هنستاين . وتحتم على العرضي الاول الاحتياطى والعرضي السابع عشر العامل ان يرحفا في اتجاه الغرب الى اللينستاين باسنهايم جاعلين جهة اورتلسبورج غطاء لهما .

وفى صباح ٢٧ ارتحلنا الى فروجيناو ونصبنامضاربنا في العراء عند مدخل القرية الشرقى . وكان القائد فون شولتز على مقربة منا . ومددنا خطا تليفونيا غير منتظم لايجاد رابطة بيننا والعرضى الاول العامل . ولم نتمكن من التخابر مع الفيالق الاخرى .

ولم تكن المعـلومات الاولى الواصلة الينا داعية الى الارتياح . لقد تم الاستيلاء على نايد بنورج . وهاجمت الفرقة ٤١ العاملة وابليتز الا انها ارتدت على اعقابها ، واصيبت بخسائر فادحه . وهى موجودة الآن فى الغرب وخوفها شديد من احتمال كر العدو عليها . فارسلت اليها ضابطا بالاتومبيل . فعاد الى منبئا بان حالة الفرقة لا تدعوا الى اليأس . وفرقة اللاندويهر الموجودة فى جهة موهلن لم تستطع التقدم . وموقف الجناح الايمن للعرضى العشرين فى هذه الجهة يصير حرجاً اذا هجم العدو بقواه المحتشدة هنا لك . وعلى الاقل تستغرق المعركة وقتا طويلا . وحينئذ يتسنى لرننكامف ان يزحف . الا ان العدو التزم الجمود ازاء الفرقة ٤١ من المشاة ولم يزحف جيش النيمن .

• وحلق اليوزباشي بارتنور فر من هيأة اركان حرب العرضى السابع عشر العامل فى الجو حتى استشرف خطوط الاعـداء وآب منها بانباء

خسارة عن زحف عرضيه على مؤخرة العدو .

واستمرت الحالة تزداد تحسنا في مصلحتنا بعد ظهر ذلك اليوم . ففى غرب هو هنستاين استولت الفرقة الثالثة الاحتياطية ثم بعدها الفرقة ٣٧ من المشاة على اراض ودخلت فرقة فون در جولتز هو هنستاين . فبدأ حينئذ تزعزع جبهة العدو . واراد القائد فون هندنبورج ان يذهب بالاتومبيل الى موهلن . فوصلنا اليها فى وسط الذعر القصير الذي تسبب من قدوم الاسرى الروسيين الذين يجيئون افواجا عديدة . وهذا الرعب احدث تأثيراً سيئاً وتردد صداه بقوة فى المؤخرة .

وفى المساء مضينا الى او ستيرود . وكان الحكام الاداريون قد غادروا البلاد على أثر ما حدث من الامور السيئة الناجمة عن امر التعبئة . وكان هذا سببا فى زيادة اضطراب الاهالى .

ولم نعلم بالتحقيق حالة كل فيليق على حدته ، ويبدو انه لم يكن ثمت أدني شك في اننا كسبنا المعركة . والذى كان يستحيل ابداء رأي قطعى فيه هو ماذا كان هذا الانتصار تاماً نهائيا أو مقصوراً على هذه المعركة . وعلى كل حال فقد صدر الامر الى العرضي الاول العامل بارسال قوى الى جهة ويللنبيرج حيث يرتمى العرضى الثالث عشر بالمثل عليها . فقد اصبح من اللازم قطع خط الرجعي على الروسيين .

ووصلت انباء اخرى أثناء الليل تفيد ان العرضى الثالث عشر الروسى سار من اللنستاين الى هو هنستاين حيث ضغط بشدة على اللاند ويهر وكان العرضى الأول الاحتياطى قد بلغ الجهة الجنوبية الغربية من اللنستاين فأدى تقدمه الى التحام حلقة الحصر حول العرضى الثالث عشر الروسى والى انهاء المعركة ، بينما كان العرضيان الاول والسابع عشر العاملان الالمانيان يقطعان طريق القهقرى على عناصر روسية اخرى .

فصممت حينئذ على ان اذهب فى صبيحة ٢٩ الى هو هنستاين لأوزع

منها الوحدات التي كانت تضغط عليها . واصبح من الواجب اعداد الاعمال الحربية اللازمة لمنازلة جيش رننكامف ، سواء اتقدم أم بقي في مكانه .

على ان حادثا جديداً كاد وجدامامنا مشكله اخرى تحول دون وثوقنا من احراز الفوز النهائي في هذه المعركة .

وذلك ان محلقة اعلنت فى صباح ٢٩ ان عرضيا روسيا آيتا من الجنوب اخذ يزحف على نايدبورج ويوشك ان يدنومنها . فهو متجه اذن الى ظهر الفيلق الاول العامل الذى كان مستقبلا الجهة الشمالية وهو مستمر على مكافحة الروسيين المتراجعين امامه . وفي الوقت عينه تقريبا وصلتنا مخابرة تلفونية من نايدنبورج تفيد ان قذائف من قبل الاعداء تسقط على المدنية وانتهت المخابرة عند هذا الحد . فأمرنا في الحال كل القوي المستعدة بالزحف في اتجاه نايدنبورج لتعضيد العرضي الأول العامل في الوقعة الجارية . الا ان القائد فون فرنسوا تلا في الأمر بنفسه مستعملا نشاطه ومهارته ، ولم يستفد العدو من حرج الموقف بسبب تردده وتخوفه .

وبعد اصدار الاوامر شخصت الى هوهنستاين . واجتزت فى اثناء سفرى مجال العراك وكان له تأثير شديد فى نفسى . وكان الاختطلاط سائدا شرق هوهنستاين على صفوفنا والاسارى الروسيين الذين لا يدخلون في دائرة الحصر . ولم يكن ايجاد النظام بالامر الهين . وكان العرضيان الاول الاحتياطى والعشرون العامل منتشرين على طول الطريق الموصولة مابين اللنستان وهوهنستاين . وعلى ذلك أصبح الجيش أو على الاقل عرضي منه تحت تصرفنا .

واصبحت المعركة وشيكة الانتهاء . وبلغ من شدة تغلغل الفرقة الثالثة فى جموع العدو الكثيفة انها وصلت الى موشاكن شرق

نايدنبورج . وحاول الروسيون المنهزمون عدة مرار ان يخترقوا دائرة الحصر الالمانية من جملة نقط . وظلت الوقائع دائرة بشدة وعلى الاخص حول موشاكن حتى تهيأ النصر المبين فى ٣٠ اغسطس .

وعلى اثر ذلك انتحر القائد سامسونوف . وقد ووري التراب من غير ان يعلم بأمره أحد على مقربة من ويلانبيرج . وقد استدلت زوجه من حلية ذهبية كانت لا تزال محفوظة في ثياب القائد وكان قد استبقاها معه تذكاراً لزوجه على قبره . وكانت قد حضرت الى المانيا لتستدل على زوجها من الاسرى .

وحمل القواد الاسرى الى اوسترود حيث عرضوا على القائد فون هندنبورج .

وعلمت اعداد الاسرى ومقادير الغنائم . وكانت اعداد وخسائر الاعادى من قتلى وجرحى بالمثل عظيمة جدا . وقد انتشرت اشاعة فحواها ان الروسيين اندفعوا بالآلاف الى البرك والمستنقعات وغرقوا فيها بالآلاف وهذه الاشاعة مع شدة انتشارها لا نصيب لها من الصحة لان هذه الجهة خالية من البرك والمستنقعات .

لقد حدثت معركة من ابدع ما عرفه التاريخ . وقد قاتل فيها جنود كانوا قد جاهدوا من قبل بضعة اسابيع ، واحيانا كان القتال فى غير مصلحتهم . والفضل فى نجاحهم النهائي يرجع الى طرق تعليمنا العسكرية فى زمن السلم . وستظل هذه المعركة عنوان مجد للقيادة وللجيوش وللضباط وللجنود بل للوطن الالماني باسره .

فالمانيا والنمسا هتفتا بتهليل الابتهاج . . بينما التزم العالم باسره السكوت ولقد اطلق على هذه المعركة كاقتراحى لقب معركة تاننبيرج تذكاراً للوقعة التى سحق فيها جيشا ليتوانيا وبولونيا المتجمعان التشكيل التوتوني . فهل

يسمح الالمـانيون اليوم كما سمحوا فيما سلف للتوانيين وعلى الاخص للبولونيين ان يستفيدوا من ضعفنا ليعاملونا بالشده ؟ وهل ينبغى ان تمحي المدنية الالمانية التى مرت بها الاعوام الطوال ؟

على انى لم يستخفنى الطرب من نتائج هذا الانتصار العظيم ، لان القلق الذى كان يساورني من جانب جيش رننكامف احدث تأثيراً شديداً فى اعصابي . بيد اننا كنا فخورين على كل حال بهذه المعركة . فان اختراق قوى العدو والاحداق بها ناجمان عن قوة ارادة فى الانتصار لا تغالب وقد يسر لنا الظفر التدبر فى التحوط وعدم الاغترار بالظواهر . وعلى الرغم من قلة اعدادنا فى الشرق فقد استطعنا ان نواجه العدو فى المعترك بقوات تكاد تعادل قواه . وانى لاوجه أفكارى وتشكراتي الى استاذى القائد الكونت فون شليفين .

وقد حمدنا الله القدير القائد فون هندنبورج وانا فى كنيسة اللنستاين البروتستانتية على ما اتاح لنا من الظفر ونحن فى أشد ما نكون من التأثر .

ولم أجد من وقتى دقيقة واحدة للراحه . فقد وجب على ان الم شعث الجيش واعده لمعاودة الطراد . وما أشق هذه المهمة التى تحتم الاستعداد للمعركة الجديدة فى الوقت الذى خرجنا فيـه من المعركة المنتهية . وكان لابد لنا من اخلاء هذه الجهة من الاسرى لان وجودهم عبء ثقيل امام قلق الموقف وعدم التأكد من النتيجة .

ووصل الي وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية فحملته بافتخار . ولا يزال قلبي مفعماً حتى اليوم بالحبور من تذكر ليبيج وتاننبيرج . وقد قلت قيمة وسام الصليب الحديدى من الطبقة الثانية على طول مدة الحرب ، وهو أمر موجب للاسف الشـديد وان كان في منتهى البساطه . وعلى كل حال فان حمله كل شارة مجد وشرف .

— ٤ —

واستمر زجف الجيوش الالمانية الظافرة فى الساحة الغربيه . فارتأى المعسكر العام الا كبر استطاعته امداد الجيش الثامن بثلاثة عرضيات يقتطعها من الجبهة الغربيه . فوصل التلغراف المتضمن هذا المدد عند الابتداء فى معترك تاننبيرج . ثم سئلت فيما بعد اذا كان من المستطاع استبقاء احد هذه العرضيات . وبما اني لم اطلب مددا فقد كان من الطبعى ان اقبل استبقاءه . فلم يجىء اذن سوى عرضيين وهما عرضى الحرس الاحتياطى والعرضى الحادى عشر العامل ومعهما الفرقة الثامنة العاملة من الفرسان . وهذا القرار القاضي بانتقاص قوة الساحة الغربية كان عملا غير محكم . ومن سوء الحظ اننا لم نكن ونحن فى الميدان الشرقي ندرك مغبته . ان الانباء الواصلة عن الغرب كانت حسنة جدا . ولكن نقطة الحرج العظيم تنحصر فى اقتطاع الامداد التى ارسلت الى الشرق من الجناح الايمن الذى كان يجتهد فى ادراك النصر الحاسم ، ولم تؤخذ من الجناح الايسر الذى اصبح بعد معركة اللورين فى منتهى القوة . وقد ترك العرضي الثالث الذى كان على وشك المجيء الى الشرق فى اللورين .

وقد صارت الحالة فى غاليسيا سيئة . فقد ترامى السواد الاعظم من الجيوش الروسية على النمسا وقهر جيوشها شرق لمبيرج . ولم يكن الجيش النمسوى فى بادىء الحرب آلة قتال ناجعه . ولو كانت لنا مقاصد اعتدائية حقيقية قبل نشوب الحرب لكننا الزمنا النمسا باصلاح جيشها . بل لاكملت هي من تلقاء نفسها خطوط مواصلتها الحديدية التى لا تكاد تفى بالحاجة الضرورية . وعلى كل حال فان هذه المسألة اصبحت حملا باهظا على كاهلنا وما التحالف الثلاثي الا تحالف سياسى فقط . وأما التحالف الفرنسوي

الروسي فكانت صبغته حربية بحته . فاستفاد منه خصومنا فائدة عظمى .

وكانت اتفاقاتنا المبرمة مع النمسا لاجل حالة الحرب المشتركة غير وافية بالغرض المقصود كذلك . وكان القائد الكونت فون شليفين يخشى نقض العهود كما حدث شيء من ذلك من احدى الدول . ولم توضع خطة اعمال حربية مشتركة الا بطريقة تحضيرية فظة خالية من كل فطنة . واحتشاد الجيش النمسوى فيما يلى الصان لم يكن قابلا للتحقق الا اذا شعر هذا الجيش بأن قواه متفوقة على الجيش الروسي وهذا ما كان يعتقده ضباط نمسويون عديدون او اذا استطعنا فى الوقت نفسه ان نعبر النارييف بقوة هائلة . وهذا ما لم يكن فى وسعنا القيام به لان الاعتماد الذي فتح لنا لم يسمح لنا بالحصول على العرضيات الثلاثة التي كان قد وعدنا بها اركان الحرب العام . وفضلا عن ذلك ينبغي ان نحسب حساب خروج ايطاليا من صفنا فى الميدان الغربي .

وبمقتضى اتفاقاتنا القديمة مع ايطاليا كان ينبغي ان تجتمع ثلاثة عرضيات ايطالية مع فرقتين من الخيالة فى الالزاس بينما يكون سواد الجيش الايطالي مع قيامه بالدفاع عن الشواطىء محتشداً على مقربة من حدود فرنسا المتاخمة لايطاليا العليا . وفي الوقت عينه يقوم الاسطول بمهمته قطع موصلات فرنسا مع مستعمراتها الكائنة فى شمال افريقيا . وقد بقي الاعتماد على هذه الاتفاقات مدة من الزمن ، ثم صارت مهملة . وبناء على رغبة رئيس اركان حرب ايطاليا القائد بوليو صار الاهتمام بدرس وسائل اخرى .

وقد مات القائد بوليو فى صيف ١٩١٤ قبيل نشوب الحرب بايام معدودة . ولم تحتج فرنسا لابقاء جندى واحد على تخمها الجنوبي الشرقى . بل تهيأ لها ان تشغل كل جنودها بمقاتلتنا ، لعلمها حق العلم بان ايطاليا

ابن تنحاز الينا . فالضرر الذى الحقته بنا حليفتنا القديمة بهذا العمل جسيم . ولا يمكن انكار حرج موقفها ازاء انجلترا . وظل الخلاف القائم بينها والنمسا : وهو خلاف قديم لم يمنع تحالفها مع النمسا ومعنا . وقد استجرت عدة فوائد من جراء هذا التحالف . وكنا نرجو على الاقل أن تشعر ايطاليا بارتباطها بنا . الا ان العظمة الوطنية ابت الا ان تظهر فى أجلى مظاهرها ، وهي عاطفة لا مناص من وجودها فى سائر الامم . ولكن الشرائع الادبية التي تربط بعض الامم ببعضها لا ينبغى الاعتداء على حريتها . فاعتدت ايطاليا على حريتها . ولذا لا يجرز لها ان تدهش لنقمنا من الخطة التي اتبعتها اثناء سنوات الحرب الاربع .

ولا يبرح عن البال الموقف العسير الذى وقفه الجيش النمسوى فى اخر اغسطس ازاء القوات الروسية المتفوقة عليه جد التفوق . وكان رئيس اركان الحرب النمسا القائد فون كونراد محقاً فيما ارتآه من وجوب تقدمنا الى ما يلي الناريف . بيدان قواتنا التى كانت اضعف من قوى رننكامف التى تواجهها لم تسمح للجيش الثامن بالقيام بهذه المهمة . فكل زحف فى اتجاه مالوا بولتوسك يمكن تعطيله فى كل آونة بزحف رننكامف على خط اللانستاين البنج . فصار من الضروري اذن ان ننهى قبل كل شيء حسابنا مع جيش النييمن الروسي .

وقد اضطر رننكامف تحت تاثير معركة تاننبيرج ان يسترجع بعض عناصر جيشه التى كانت قد تقدمت بضعة كيلومترات . الا انه على ما يظهر اردان يظل ضارباً ما بين مجرى البريجيل وبحيرة ماوير . فوجب على الجيش الثامن ان يحشد كل قواه لينشب معركة ثانية .

ولتنفيذ هذا المشروع انزلت الامداد القادمة من الغرب فى جهة اللانستاين البنج والجيش الثامن القديم تجمع ليزحف على خط

و يلنبيرج اللنستاين .

ولم يبق في جهة سولداوسوى بضعة عناصر تغطي الحدود ، ووجب عليها ان تزحف في بولونيا في اتجاه ملاوا

وعند ما انتهى حشد القوى اردنا مهاجمة جبهة رننكامف الواسعة الممتدة بين بريجيل و بحيرة ما و ير مع الاحداق بجناحه الايسر من جهة وتزن بانحدار الى الجنوب . وعهد الى جناحنا الجنوبي الاقصى القيام بتغطية الجيش من جهة اغسطوف واوسوفيتز حيث كان ينتظر نزول جنود معادية هناك . وصار من الحتم على القوى التي تجمعت الى هذا الوقت من الجيش الثامن ان تقاتل وهي متوزعة على ثلاث مجموعات : احداها بين البريجيل و بحيرة ما و ير ، والثانية شرق لوتزن ، والثالثة في اتجاه ليك

والقوى التي تم احتشادها الى منتصف ديسمبر هي : فرقة فون درجولتز اللاندوهرية في نايدنبورج ، وحاميات معاقل الفيستول في سولداو ، والفرقة الثالثة الاحتياطية والعرضي الاول العامل في و يلنبيرج وفي اورتلسبورج واللواء الاول من الخيالة غرب جوها نيسبورج ، والعرضي السابع عشر العامل في باسنهايم والعرضي العشرون والعرضي الحادي عشر العامل والعرضي الأول الاحتياطي في اللبستاين وفي جانبي اللنستاين ، وفرقة خيالة الحرس القادمة من البنج في الباسارج الاسفل ، وتقدمت الفرقة الثامنة من الفرسان في اتجاه لوتزن ، وكذلك الفرقة الاولى منها وقفت ازاء جيش النيمن ، ومن الواجب ان تتقدم هي بالمثل في اتجاه لوتزن ، واحتل احتياطي كونيجسبورج خط الدايم ، واحتياطي بوزن وهو فرقة الكونت فون بريدوف اللاندويهرية كان لا بد لها من المجيء الا انها لم تجيء مبكرة للاشتراك في المعركة

وقد اضطرت وسائل نقل العرضي الاول الاختياطي والعرضي السابع

اعشر العامل وادواتهما الحربية التى تراجعت فى المبدأ الى ماوراء الباسارج
ن تقوم بحركات عسيرة جداً . على أنها تمكنت من الوصول اخيراً بغـير
ضطراب عظيم الى بلوغ منطقة احتشادها .

وردت الخيالة الروسية فرقتنا الاولى من الفرسان واستمرت فى
اغارتها الى الباسارج على مقربة من ورمديت ولكن ضررها من الوجهة
العسكرية لم يكن هائلا . فلم تقطع خط السكة الحديد الكبير الممتد من البنج
الى كونجسبيرج ، وهذا ما لم ندرك له سببا .

وبالطبع كان من المهم لنا ان نعود الى استعمال هذا الخط فى اقرب وقت ولا
سيما المكان الذي قطعناه عند انسحابنا من جومبيـنن . وكانت محطـة
كورشن مهمة بنوع خاص . فكان من اللازم استئصال شأفتها . وبعد
مضى ٤٨ ساعة من استعادتها صارت كعهدها من قبل . ومن حسن حظنا
ان التدمير كان اقل وطأة ممـا كنا نتصوره . وذلك لان الجنود لم يكونوا
متدربين على هذه الاعمال تمام التدرب . وكان لابد للقيام بمثل هذا العمل
من اسناده الى رجال فنيين . وان فى هذا لدرساً للمستقبل .

— ٥ —

وبدأ الزحف لمنازلة جيش رننكامف فى ٤ سبتمبر . فتوطنا يوم ٧ مع
فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الاول الاحتياطى والعرض الحادى
عشر العامل والعرضى العشرين العامل امام العدو على خط وهلاو —
جيرداوين — نوردنبورج — انجيربورج الممتد مابين البريجيل وبحيرة
ماوير ، وهاجمناه بطريقة محكمة فى الايام التالية . ولم تكن الوقائع التى
اشتبك فيها العرضي العشرون ناجحة . اذقابلها الروسيون بكرات عنيفة
وكانت مواقع الإعداء منيعة وعلى اعظم استحكام ومن المستحيل علينا

التغلب على هذه المواقع المستحكمة بالوسائل والذخائر التى لدينا اذا لم ينجح الاحداق المتوقع من جهة لوتزن وسد البحيرات المستحكم نجاحاً تاماً .

وكذلك موقفنا فى لوتزن لم يكن حسنا على الرغم من الدفاع الجريء الذى قمنا به شرق لوتزن ازاء هجمات الاعداء . ولم يتقدم العرضى السابع عشر والفرقة الاولى العامة والفرقة الثامنة من الفرسان التى زحفت من جهة هذا الحصن في يومي ٨ و ٩ سبتمبر فى الاتجاه الشمالى الشرقى من جهة البحيرات الا ببطء . وقد اضطرت الى الاشتباك فى وقائع حامية فى جهتى كروجلاوكين و بوسيسين والعرضى الاول العامل الذي اندفع الى الامام فى اتجاه نقولاين وجوها نيسبورج اضطر الى التقدم السريع فى جهة الشمال شرق خط البحيرات . فأسعف فى مساء ٩ العرضى السابع عشر العامل اسعافا ناجعا . واستمرت الفرقة الثالثة الاحتياطية وخلفها فرقة فون درجولتزا للاندويهرية على التقدم فى اتجاه بيالا — ليك . فاصطدمتا فى يوم ٨ سبتمبر على مقربة من بيالا بقوى معادية متفوقة عليهما .

وهذه الحركة الحربية كانت بالمثل جرأة لامثيل لها . فان جيش النيمن كان مؤلفا من ٢٤ فرقة من المشاة تسمو كثيراً على ١٥ أو ١٦ فرقة المؤلف منها الجيش الثامن . وكانت الفرق الروسية محتوية على ١٦ طابورا فى حين ان فرقتنا لا تحتوى الا على ١٢ . وتنضم الى القوى الروسية ايضا اربع فرق أو ست سائرة في طريق الاحتشاد على مقربة أو سوفييتز واوجو ستوف . وهذه القوى يمكنها ان تجتمع في كل آونة وفى أى مكان لتصيبنا بضربة هائلة . وكان جناحنا الايمن المنتشر شرق البحيرات معرضا للخطر بنوع خاص . وفى الممكن سحقه . على اننا مع مثل هذا الموقف المحفوف بالمكاره لم نتردد لحظة عن خوض غمار المعركه . وكنا نمتاز على العدو بمهارة

جنودنا فى التعليمات العسكرية ، وهذه التعليمات اكسبتنا فى تاننبيرج تفوقا عظيما ظل اثره ظاهرا الى نشوب هذه المعركه .

وكنا نودلو ان جناحنا الايمن اقوى مما هو عليه ، ولكى نكسبه باية طريقة قوة اخرى جعلنا فرقة من العرضي العشرين العامل قائمة على قدم الاستعداد تحت تصرفنا غرب البحيرة . ولكن كان لابد من ردها الى عرضيها . وقد اصبحت العرضيات الاربعة التى تهاجم جبهة العدو شاغلة امتداداً مقداره ٥٠ كيلو مترا وهذا شيء كثير . وزيادة على ذلك فان فليق الحرس الاحتياطى لخوفه من هجوم الروسيين عليه شرع يندمج فى نفسه بشدة . وكان من الضرورى ان يثبت الجناح الشمالى على مجرى البرنجيل ثباتاً مكينا وبغير ذلك فان الجيش الثامن يمكن ان يلتوى من هناك . ولا ينبغى تقوية جناح الاحداق اكثر مما هو مقدر له . بل الواجب يقتضى انتظار النجاح الذى ستتكلل به هجمتنا . وعلى السلاح الفصل فى هذا الامر . اما نحن فليس علينا سوى ان نعد كل شيء للعمل بطريقة مؤدية الى الانتصار .

وفى صباح ١٠ سبتمبر ورد النبأ العظيم المعلن اخلاء العدو موقعه اثناء الليل متراجعاً امام العرضي الاول الاحتياطى فى شمال جيرداون وتم ذلك بلا شك على اثر تقدم العرضى الاول والعرضى السابع عشر العاملين فى مساء ٩ سبتمبر . وقد احتل العرضى الاول الاحتياطى هـذا الموقع وعزم على موالاة الزحف . ويمكن تصور مقدار ما استولى علينا من الحبور فى المعسكر العام . فقد حصلنا على انتصار عظيم جديد ، ولكن فصل الخطاب ليس فى هذا الانتصار ، فان الجيش الروسى لم يغلب بعد على أمره ، فضلا عن كوننا لم نحصل فى الشمال الشرقى من لوتزن الا على انتصارات محليه . ومن الواجب متابعة العدو باقصي الشدة وموالاة مهاجمته

في تقهقره بغير انقطاع فى حين ان جناح الاحاطة يتقدم فى شرق سهل رومينت قاصداً طريق فيرباللن - - كوفنو . وبهذه الطريقة اردنا أن ندفع العدو بقدر المستطاع في اتجاه النييمن . غير انه ينبغى التنبه في الوقت نفسه الى ان رننكامف لايزال قادراً بمعونة الامداد المتتابع وصولها اليـه على اتخاذ خطة الهجوم بعنف على اية نقطة من خطوط زحفنا . وكانت خطوطنا شديدة الضعف الا ان مجموعتينا الشماليتين اللتين كانتا الى هذه الآونة منفصلين بعضهما عن بعض بواسطة بحيرة ماوير اصبحتا متصلتين . ومع ذلك فقد ظل الموقف في منتهى الحرج .

وشرعت الجنود فى تأدية مهمتها الحديثة ، وهى تعقب العدو بغير هوادة ومهاجمته كلما حاول التمهل فى هزيمته بالالتفاف حوله من سائر الطرق والمحافظة على اتصال الوحدات بعضها ببعض . ولتنفيذ هذه الخطة كان لابد من انتظار قيام الصفوف المجاورة بحركة الاحاطة المحلية تفادياً من فداحة الخسائر . وقد استمر العرضي السابع عشر العامل وعلى الخصوص العرضي الاول الاحتياطى الموجود فى اقصي الجناح الايمن وكذلك الفرقتان الاولى والثامنة من الفرسان على الزحف بغير تمهل الى المرتفع المنشود . وكانت وجهات السير التى تتوخاها العناصر المختلفة مبتدأة من اليسار تكاد تكون على النحو الآتى

احتياطى كونيجسبيرج : فى طريق كونيجسبرج تيلسيت . فيلق الحرس الاحتياطى : فى طريق جروس اندوفوهنن . العرضى الاول الاحتياطى : فى طريق انستر بورج — بيلكاللن . العرضى الحادي عشر العامـل : فى اتجاه شمال داركهمن وفى طريق جومبين — ستاللوبونن العرضى العشرون العامل : فى اتجاه داركهمن وفى منتصف طريق فيرباللن الى بحيرة فيشتيت : العرضى السابـع عشر العامل : في الطرف الشمال من

سهل رومينت على الو يشتينيتز . والعرضى الاول العامـل : فى الطرف الجنوبى الشرقى من سهل رومنيت على ماريمبول . والفرقتان الثامنة والاولي من الفرسان : امام العرضى الاول على مقربة من طريق فيرباللن — روفتو .

ولم تنفذ الحركات وفاقا لما كنت آملة تماما . اذ كان من المتعذر التفريق مابين الاحياء والاعداء ونجم عن ذلك ان صفوفنا اخذ يطلق النيران بعضها على بعض واخذ الجنود يندفعون على الجبهات بغيرحساب بدلا من انتظار تداخل الصفوف المجاورة . ولكن الذى استوجب اكبر القلق ماخامر العرضي الحادى عشر للعامل من حسبانه فى ١١ سبتمبران العدو يهاجمه بقوى متفوقة عليـه . وكان هـذا الحسبان محتملا ومن الواجب التوقى منه .

وبالنظر لعدم تناسب قوى الجيس كان لابد للجبهة من تعضيد قائم على خطة سريعة التنفيذ مـدارها بعض فيالق تنجز حركات الالتفاف فاضطررنا بحكم هذه الخطة الى توجيه العرضي السابـع عشر العامل والعرضى الاول العامـل الى اتجاه فى الشمال ابعد مما كانا يحاولان الوصول اليه . وبعـد مضي بضع ساعات تبين العرضى الحادى عشر العامـل انه كان واهما فى حسبانه . ولكن الامر كان قد صـدر لفعـل لجناح الاحداق فاقتضى استدعاء الفيالق المتقدمـة الى مكانها الاول ، فاستغرق هـذا العمل نصف يوم على الاقل .

لقـد قام الجيش السابع بمهمته خـير قيام . فتقدم بطريقة باهرة فى اربعة ايام اكثر من مائة كيـلو متر فى حين ان جنوده منهوكة قواهم من جراء الوقائع الطويلة ومن ضروب المتاعب الاخرى . وكانت اهم الاعباء لاحقة بالوحـدات القديمة من مجموع الجيش الثامن فانها لم تتمتع بالراحة

اما فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الحادى عشر العامل فقد قاتلا قتالا باهراً تحت اسوارة مور الا انهما بعد ذلك أصابا قسطاً من الراحة بضعة ايام .

ولم تكن نتيجة هذه المعركة مدهشة بقدر ما كانت نتيجة تاننبيرج . اذ لم يتيسر العمل فى ظهر العدو وكما حدث فى الدفعة الاولى لانه فى هذه المرة استطاع ان يتقهقر . ولم يكن الضغط عليه الا من الجبهة ومن الجنب . ففي تاننبيرج احتجزنا اكثر من ٩٠٠٠٠ أسير فى حين اننا لم نأسر فى هذه المرة اكثر من ٤٥٠٠٠ . بيد انه قد صار الحصول على كل ما كان يمكن ادراكه فى مثل هذه الاحوال

ويظهر ان رننكامف في الحقيقة لم يكن معولا على مقاومة عتيدة . وعلى كل حال فانه عجل بتراجعه قبل الاوان واتخذ الليل ستاراً لنكوصه على الاعقاب . لقد أنبأ طيارونا انهم رأوا صفوفا تسير في الطرق الا ان هذه المعلومات كانت شديدة الغموض . ان الروسيين عرفوا كيف ينفذون خطة التراجع فسيروا صفوفهم فى وسط الحقول وتنكبوا الطرق العامة .

واذ رأى الجيش الروسي اننا نتعقبه وانه مهدد بالتطويق عمد الى اجتياز النيمن فى حالة هرج وفوضى . فلم يعد فى الامكان اعتباره مدة الاسابيع الآتية كنظام عسكري متين الا اذا وصلت اليه امداد قويه .

ان معركة بحيرات مازوريا لم تصب قيمتها الحقيقية . وما هى الا حركة حربية صار ترتيبها في منبسط واسع ونفذت ضد قوى متفوقة بدرجة لا حد لها . فكانت بهذه الطريقة عرضة لاخطار عديدة لوان العدو كان على ثقة وطمأنينة من قوته : ولكنه لم يقبل الاشتباك حتى فى الوقعة الختامية وعمد الى الدفاع وهو مرتد الى الوراء ، وانقلب ارتداده تحت

ضغطنا الى هزيمة شنعاء .

وقد حدث خارجا عن دائرة ميدان المعركة ان الفرقة الثالثة الاحتياطية المشمولة برآسة القائد المقدام فون مو رجن وفرقة فون درجوابز اللاندويهرية قاتلتا في يوم ٨ سبتمبر بنجاح باهر في جهة بياللا قوات معادية مفوقة عليهما جداً وقهرت الامداد الروسية الوصلة حديثا . فهما بعملهما هذا قد تلافينا خطراً عظيما كان على وشك ان يصيب قوانا المقاتلة في الشمال الاقصى. واقام القائد فون در جولتز بجوار اوسوفييتز . اما القائد فون مورجين فقد استولى بعد وقائع حامية على او جستوف وسووالكى . فنجم عن هذه الاعمال اخفاق مسعي الجراندوف نيقولا في انقاذ رننكامف من هذه الجهة اخفاقا تاما .

وفي ١٣ سبتمبر كانت المعركة قد انتهت عمليا . واصبح ترتيب المعركة على الوجه الآتي تقريبا .

حاميات للمعاقل تحت امرة القائد فون موهلمان في ملاوا ، فرقة فون درجولتز اللاندويهرية امام اوسوفيتز ، الفرقة الثالثة الاحتياطية فى طريق او جستوف — سوفالكى ، والفرقة الأولى والفرقة الثامنة من الخيالة — والعرضي الأول العامل موالية التقدم بسرعة فى اتجاه ماريمبول ، والعرضيان السابع عشر والعشرون العاملان متخطيان خط ويشتينيتز — ويربالن والعرضي الحادى عشر العامل في شمال فيرباللن ، والعرضي الاول الاحتياطى في فلا ديسلافوف ، وفيلق الحرس الاحتياطي منسحب الى الشمال الشرقى من وهلاو ، واحتياطي كوينحسبيرج في تيلسيت .

فكانت توجد اذن فى وسط الهيجاء عدة فيالق متدانية بعضها من بعض . وبعضها لم توجد لها اماكن في المعترك فاضطرت الى البقاء تحت الطلب عند القيام باعمال حربية اخرى . ولم يكن ثمت مجال للشك منذ البدء بالزحف على رننكامف فى ان تقدم وحداتنا لن يصل

فى أية حالة من الاحوال الى اجتياز النيمن . وكان رأيي اننا بعد الانتهاء من رننكامف نزحف بالقوى المتأهبة الى ماوراء التخم الجنوبي في اتجاه الناريف مع المحافظه التامة على حد بروسيا الشرقيه . ولقد اردت بهذه الطريقة الاشتراك مع النمسا وفقا لمقاصد القائد فون كونراد . ولم اكن قد اعلمت فى هذه الاثناء بالهزائم الشنعاء التى اصيب بها الجيش النمسوى . واصدرت الاوامر حسب ماذكرت لا انها لم تنفذ .

— ٦ —

وقد كانت هيأة اركان الحرب تتبع خطوات الجنود مباشرة اثناء زحف الجيش الثامن المقرون بالظفر من جهة اللنستاين الى الدحول في أراضى العدو . والتزمت فى كل وقت الاحتكاك بهيأة أركان حرب العرضيات و بالوحدات المكافحه . وكان اصدار الاوامر الى المقدمة وتلقى الانباء الوارة من الامام بسرعة يقتضيان هـذا الاحتكاك ، وذلك لان وسائل الارتباط الفنية لم تكن محكمة ووافية بالمرام . فالخط التليفونى المنتشر فى بروسيا الشرقيه واف بالمرام ، الا ان كثيرين من المستخدمـين كانوا قد غادروا مراكزهم ومحطات التلغراف الجوى ادت خدما جليلة الا انها لم تكن خاضعة الا للخيالة و لاركان حرب الجيش . فاضطررت لهذه الاسباب الى الاعتماد على استخدام الاوتوموبيلات والى ارسال ضباط من اركان الحرب وقد أدى فيلق الاتوموبيلات المتطوع خدما عظيمه . وقد قطع مسافات شاسعة ومسالك وعرة فاشبه بعمله هذا الشق مغامرات الفصائل الخيالة . وكان الطيارون القلائل الموجودون تحت تصرفي يفيدوننى فوائد لاتقدر فى اعمال الاستطلاع ولئالم اتمكن من استخدامهم فى نقل المعلومات والاوامر . وعلى الرغم من قلة وسائل الانصال السريع فقد توصلنا الى الوقوف بقدر اللزوم على المعلومات الضرورية والى تبليغ أوامر القيادة فى

الاوقات المناسبة الى الجهات المختصة . وكنت كثيرا ما اعتمد على التليفون في استنهاضهم الرجال حيث تدعو الضرورة الى الاستنهاض وفى التداخل في الامر حيث يستدعى نجاح مجموع الاعمال الحربية ذلك . وهذه المخابرات الشخصية مع رؤساء اركان الحرب كانت مفيدة ، لانها تسمح بالوقوف على المعلومات الدقيقه وبالعمل بطريقة مباشره .

ولقد تنقل المعسكر العام عدة مرار . ففى نرردنبورج وصلنا لاول مرة الى ناحية لبثت مدة غير قليلة من الزمن تحت سيطرة الروسيين . فكان حالة القذر فيها مما لا تصدقه العقول . فالاسواق غاصة بالقمامات والغرف ملوثة بسائر ضروب الاقذاء الدنيئه .

وعند ما انتقلنا الى انسترنبورج سكنا فى دساورهوف حيث كان رننكامف نازلا مع اركان حربه بالمثل ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على مغادرة الجراندوق نيقولا نيقولا يفيتش هذه المدينة كذلك .

وسمحت لنا الفرصة بمشاهدة المواقع الروسية عن قرب . وهنانا أنفسنا على عدم الاستيلاء عليها بالوثب لاننا كنا فى هذه الحالة نصاب بخسائر فادحة .

وقد حافظت وحدات روسية عديدة على الاستقامة اثناء توطنها فى روسيا الشرقية في شهرى اغسطس وستمبر . فبقيت المخازن وكهوف البيوت سليمة . وشدد رننكامف على جنوده اثناء اقامتهم باستربورج فلم يعبثوا بشيء ما . ومع ذلك فقد جلبت الحرب اهوالا شدادا لاتدخل في دائرتي الوصف والحصر . فان القوزاق ارتكبوا من ضروب القساوة بل من انواع التوحش ما يتخطى كل حد . فكم اقترفوا من حوادث النهب والاحراق . بل لقد قتل عدد عديد من الاهالي وعبث بصون النساء وانتزع قسم من السكان من منازلهم . وانها لاعمال الحماقة والجهل . وكثيراً ما

حدث التساؤل على غير جدوى عن البواعث على أمثال هذه الاعمال . قان الاهالي لم يقاوموا الروسيين بتاتاً لانهم فى منتهى الهدوء . وقد عملوا بمقتضى وجهة نظرنا فلم يشتركوا فى القتال . وعلى ذلك فالروسيون هنا مسؤلون عن أعمالهم السيئة .

ولقد عانت بروسيا الشرقيـة ضروب الآلام من جراء الاحتلال الروسي . واننا لا لنفخر الآن بتحرير شطر من الارض الالمانية . وقد أعرب لناالاهالي عن امتنانهم وحبورهم العظيمين . وما كنا منقذى هذه البلاد لتعود الى الخنوع للنير الاجنبى . فلتقنا العناية الالهية وصمة هذا الخزي !

ولقد غمرنا الابتهاج جميعا ونحن فى انستربورج يوم ١٤ سبتمبر لما ادركناه من الظفر في حملاتنا الموفقة العظيمة . وما كان أعظم دهشى عند ما نمى الى علمى تعييني فى منصب رئيس لاركان حرب جيش الجنوب الذى شرعوا فى تاليفه فى برسلاو تحت امرة القائد فون شوبيرت .

— ٧ —

انتهى الزحف الالماني فى الميدان الغربى بالتراجع ، وذلك لان الجناح الايمن للجيش الالمـاني كان ضعيفاً جداً فلم تتم حركة التفافه بالاتساع الكافي فكان انتقاصه فيلق الحرس الاحتياطي والعرضي الثامن العامل شؤما عليه بل لقد كان اللازم تعضيده بفيالق تستجر من اللورين ومن الالزاس . وهذا ما كانت ترمى اليه أعمال القائد الكونت فون شليفن . وما كان لهذا الجناح ان يتقدم فى زحفه الى مثل هذا المدى السحيق متجهاً نحو لونفيل ـ ابينال حيث بقيت الجنود الالمانيـة التى جرى احتشادها فى الالزاس واللورين محتجزة هنالك . ومثل هذا الاحتجاز

كان يصيب الجيش الالماني باسره لوان جناحنا الايمن بدلا من اكتساحه البلجيك بقى فى جنوب لونجوى . و فى الوقت الذي كنا سنستخدم فيه قودانا فى خط الحصون الممتد ما بين فردن و بيلوفور كان جناحنا الايمن يصير عرضة لهجوم الجيوش البلجيكية والفرنسية والانجليزية المجتمعة الزاحفة من بلجيكا وكان لا بد له من النكوص على الاعقاب . وكنا نفقد بهذه الطريقة جهتنا الصناعية وهى الرين السفلى . وكانت هزيمتنا اصبحت مؤكدة .

لقد صدر الامر بالتراجع عن المارن ولم تتوفر الوسائل التى تمكننى من معرفة ما اذا كان هذا القرار صوابا . ومن ذلك العهد صار من المحتم ان سيطول أمد الحرب . ولا بد لامتدادها من تحميل وطننا اعباء الضحايا الهائله . فكان من الواجب فى هذه الآونة وضع كل وسائل الحمية والنشاط المتوفرة فى المانيا تحت تطلب القتال والبدء فى نشر دعوة قوية لاجل هذا الغرض فى داخل البلاد . ولكنى دهشت من الحالة العقلية التى تبينتها فى برلين فى آخر اكتوبر ١٩١٤ اذ وجدتها غير حافلة بالحرج العظيم الذى يهدد موقفنا العسكرى .

ولقد كان من أسوأ ما أصاب المانيا الا يغتنم التحالف الثنائي وأعضاده الفرصة السانحة له في مفتتح الحرب و يتغلب على اعدائه بضربة قوية صادرة عن جرأة وخبره مستفيداً من تفوقه فى العلم والترتيب على أولئك الاعداء المتفوقين في الكثرة العدديه . فينبغى الآن الاعتماد فى سير القتال مع توقع طول الحرب على قوة السلاح وكثرة الذخائر ولو ظل العنصر الالماني حافظاً فى جيشه التفوق فى بعض الخصائص والمواهب المتأصلة فيه من قديم الزمن . وان فقد العدد العظيم من الضباط النظاميين فى الوغى لما يدعوا بلا شك الى الانزعاج . وعلى كل حال فيجب الاستفادة من كل

موارد المانيا الصناعية والطبيعية للاحتفاظ بتفوقنا من الوجهة العسكرية لاجل مواجهة التفوق العددي الآخذ فى الازياد والظهور لدى اعدائنا .

و وجب علينا ان نتوقع بنوع خاص ان تقوى انجلترا نفسها من الوجهة الحربية بايجادها جيشاً برياً قوياً لها الى جانب اسطولها . ولديها من موارد الرجال ما يفى بهذه الحاجة . وعلى كل حال فلا ينبغى لنا ان ندع اية وسيلة توصلنا الى كسب هذه الحرب على الرغم مما يعترضنا من الصعاب والاخطار . فيجب ان تتحول المانيا الى معسكر عظيم كامل التسلح . وهذه كانت الامنية التى بسطتها فى احدى الصحف فى اول يناير سنة ١٩١٥ بمناسبة حلول العام الجديد . فلقد حشد المعسكر العام الاكبر فى خريف ١٩١٤ والشتاء الواقع ما بين ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ من ١٨ الى ٢٠ فرقة . وأنشأنا نحن بالمثل فرقا اخرى مؤلفة من اللاندويهر واللاندستورم . وبدأنا فى انقاص عدد طوابير الفرقة من ١٢ الى ٩ والقنا بالطوابير المنقصة والتى اصبحت مستعدة تحت تصرفنا فرقا اخرى متصلة بالمدفعية و بالاسلحة الفنية . لقد قمنا باعمال كثيرة الا انها ازاء المطالب المتعددة لاتكاد تكون وافية بالمقصود

لقد اصبح الجيش الثامن في هذه الاونة على تمام الاستعداد لان يتنازل عن عدة فيالق للميدان الغربي . ولست ادري اذا كان قد جرى البحث فى هذه الفكرة فى المعسكر العام الاكبر او اذا كانت حالة الجيش النمسوى لاتسمح بالبحث فيها . أن هذا الجيش على ما صرت أعلمه الآن كان قد مني اذ ذاك بهزيمة تامة وقد أخذ يقاتل وهو ناكص على اعقابه وخسائره متجاوزة حد التصور منسحبا الى ماوراء مجرى السان وأخذ الروسيون يقتافون آثاره . وصار من المحتمل اغارة المطاردين على مورافيا ثم على سيليزيا العليا . فوجب الاسراع باسعاف الجيش النمسوى

لانقاذه قبل فنائه . فتقدم الجيش الثامن الى مايلي الناريف كما كنت اريد فى سبتمبر ما كان يعتبر الاطمئنة فى الهواء . وذلك لان الجيش النمسوى انما يتطلب النجدة فى ساحته وهذه النجدة لايتحتم ان تكون عظيمة جدا . وعلى ذلك لم يعد فى وسعنا ارسال جنود الى الغرب

لقد ذكرني فى الامر الوارد الي فى مساء ١٤ فى انستربورج ان فيلقين من الجيش الثامن يكونان جيش الجنوب الذاهب الى سيليزيا العليا . فلم يتراءى لي هذا الترتيب الا من قبيل الدفاع ووسيلة من وسائل الوقاية وما كان هذا العمل كافيا على اية حالة كانت لحماية غاليسيا . فليس المطلوب لادراك مثل هذه الغاية الاقتصار على الدفاع بل يجب الشروع فى العمل الناجع . فاقترحت فى الحال على المعسكر الاكبر العام اثناء مخاطبتى القائد فون مولتك شخصيا بالتليفون ارسال الجيش الثامن تحت قيادة القائد فون هندنبورج الى سيليزيا العليا و بولونيا . والاقتصار على عناصر ضئيلة لحماية بروسيا الشرقية حتى لوغدت عرضة بهذه الطريقة لغارة جديدة . على انني كنت ارى ان مثل هذه الغارة تستلزم وقتا طويلا قبل ان يتمكن الروسيون من شنها على هذه البلاد المحروبة .

ومع ذلك فقد صار تحصين لوتزن وتقويتها وتنظيم موقع دفاع البحيرات فى اثناء هذه المدة من قبيل الحيطة وتلافيا لكل خطر مفاجىء وقد شددنا فى عدم الاقتصار على اقرار هذه الخطة بل الشروع حالا فى القيام بالاعمال الحربية . وكذلك صار من الضرورى تقوية خط انجيراب . وهذه الوسائل التى انما اريد بها اتقاء ما ينجم عن اعمالنا فى حالة اخفاقها قد كانت لها فيما بعد فائدة عظيمة .

فقال لى القائد فون مولتك ان اقتراحى سيدرس . وفادني بكلمات وجيزة بتطور الحاله فى الغرب . ولم يكن عندنا من ابناء ذلك الميدان الا

ما تناقلته الاشاعات . وكان القائد فون مولتك شديد الاضطراب . وكانت هـذه محادثتي الاخيرة فى الشؤون الرسمية مع هـذا الرجل الشهير . وهو ذو ادراك عسكرى عظيم ، وله نظر واضح فى المواقف الخطيرة . ولـكنه لم يكن متصفا بقوة المراس وعقله كان متجها دائما الى السلم اكثر من جنوحه الى الحرب ، ولا ازال اتذكر عـدداً جماً من احاديثـه . وقد اصيبت صحته بضعف شديد في بدء الحرب من جراء اقامته مرتين فى كارلسباد قضى فيهما بضعة شهور .

ففى ذلك الوقت ابتـدأ القائد فون فالـكنهاين وزير الحرب يدير الشؤون الحربية .

وفى مساء ١٤ سبتمبر ودعت القائد فون هندنبورج وزملائي وشق على نفسي فراق القائد وهيأة اركان الحرب . فان القائد هندنبورج لبث بعد معركتين متوجتين بالنصر موافقاً على مقترحاتي التى كان يقررها بصفته رجلا يحب ان يتحمل تبعات قراراته . وقـد حدث تمازج بديع بين أفكارنا نحن الاثنين ، وبذلك اصبح الاتفاق سائداً في سائر المسائل العسكرية بين وجهة نظره ووجهة نظر اركان حرب جيشه

وفى صباح ١٥ سبتمبر غادرت انستربورج متبوأ اتوموبيلا ذاهباً في اتجاه برسلا وعن طريق جراودنزوتورن . وكنت على تمام الجهل بمهام وظيفتى الحديثة . وانما كنت احسبها اقل شانا من الاعمال التى تركتها . الا انني لم البث ان وجدت امامى ميدان عمل فسيحا .

الحملة البولونية فى خريف ١٩١٤

- ١ -

لم تكن الرحلة الى برسلاو داعية الى الابتهاج . فقد اجتزت باللنستاين وتناولت بها أكلة الغذاء فى نفس الفندق الذي كنت مقيما به وكانت الحياة قد عاودت فيها سيرتها الاولى قبل الحرب . وفي العصر كنت في جراودنتز وواصلنا سيرنا بين عصف الريح وهطول الغيث مارين ببرومبيرج حتى بلغنا بوزن التى دخلناها في ليل حالك الظلام وبت فيها . وكانت علائق عدة تربطنى بمقاطعة بوزن ومدينتها . فأبي الذي ينتمي الى أسرة بوميرانية من التجار توطن بها الى حرب ١٨٧٠ الفرنسوية الالمانية . بل لقد اقمت انا بالمثل في بوزن وكنت اجدني سعيدا برؤيتها ومن سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٤ قمت بوظيفة أقدم ضابط بين اركان الحرب فى العرضى الخامس العامل . ففى هذه الوظيفة وفي وظيفتى التى تقدمتها وهي ضابط من اركان حرب الفرقة التاسعة من المشاة الخيمة فى جلوجاو اتيح لي ان ارى الحالة العسيرة التى اجتازتها هذه المقاطعة . فقد ساقتنى مدة التمرينات العسكرية الى الجهة الواقعة ما بين جاروتشين وبليشن . ان البولونيين لم يعترفوا لنا بالجميل فيما فعلناه لاجلهم . وان أولئك الذين ما فتأوا يوالون انداراتهم الى المانيا بغير انقطاع لمصيبون فيما يفعلون . واني لانظر بتالم بالغ المستقبل المحزن الذي يتكون فى احشاء الغيب لهذه المقاطعة التى نشأت فيها .

ووصلت في صباح ١٦ سبتمبر الى برسلاو . وبعد قليل استلمت

تلغرافا ينبئني بقبول المعسكر العام الاكبر اقتراحي المعروض في مساء ١٤ سبتمبر فالقائد فون هند بنورج وأهم عناصر الجيش الثامن ستنتقل الى سيليزيا العليا لانجاد الجيش النمسوي في موطن الكفاح . وهذه العناصر ستكون الجيش التاسع .

والعناصر المختلفة في بروسيا الشرقية ستبقى حافظة اسم الجيش الثامن وهي : الفرقة الاولى من الفرسان ، والعرضى الاول العامل ، والعرضى الاول الاحتياطى ، والفرقة الثالثة الاحتياطية ، وفرقة فون درجلتز اللاندويهريه ، وبعض الوية لاندويهرية ، واحتياطى كوينجسبيرج ، وكذلك حاميات معاقل الفيستول ، ما خلا الفرقة ٣٥ الاحتياطية التى تتألف غالباً من حامية تورن . وتولى القائد فون شوبيرت قيادة هذا الجيش .

وتكون الجيش التاسع من الفرقة الثامنه الخيالة والعرضيات الحادى عشر والسابع والعشرين العاملة ، وفيلق الحرس الاحتياطى ، والفرقة ٣٥ ، وفرقة الكونت فون بريدوف اللاندويهريه . فوجب اصدار الأوامر القاضية باحتشاده . وهذا الاحتشاد يمكن تغطيته باللانه ويهر الذى انتشر لاجل تغطية الحد الممتد مابين كاتوفيتزوتورن فى الارض البولونيه .

وارادت هيأة أركان حربنا حشد الجيش من باب التفضيل فى الجهة الكائنة مابين بوتن و بلشن ، الا ان المعسكر العام الاكبر ارتأى ان من الضرورى مراعاة للجيش النمسوى تقديم الاحتشاد الى جهة الجنوب الغربي لتكون النجدات الالمانية اظهر للنمسا وللجيش النمسوى فصار مركز الجناح الايمن للجيش التاسع وهو العرضى الحادي عشر فى كراكوفيا ، واما الجناح الايسر فامتد الى مدى سحيق فى اتجاه الجنوب . وكان لابد من أن ينتج التماس الشديد بالجيش النمسوى تحديد نطاق الجيش التاسع

فى حرية أعماله الحربية بطبيعة الحال . على انه لم تنجم عن هـذا الامر مضار جسيمه .

و فى ١٧ سبتمبر وصل القائد فون هنـد نبورج مع شطر من اركان الحرب الى برسلاو . و بهذة الطريقة عدنا الى التساند من جديد في العمل المشترك فى ساحة حربية عظيمة الشأن . و زرت فى يوم ١٨ المعسكر العام للجيش النمسوى في نوفوساندك . وهذه السفرة التى قمت بها فى وقت مكفهر ممطر تمت بغير حادث مكدر . وكنت الى ذلك الحين جاهلا سيليزيا العليا بلاد المدنية العليا . وقد اكتشفت في غاليسيا اعظم بلد مهمل في اوروبا ووقفت فيها على العادات البولونيه . فاليهود البولونيون متأخرون هنا بدرجة شديدة عن اخوانهم في العقيدة الموجودين في بولونيا . وليس الذنب في هذا الانحطاط واقعاً عليهم وحدهم بل على مدبرى شؤونهم بالمثل .

وقد تعرفت في نوفوساندك بالارشيدوق فردريك وهو رجل يضم بين جوانحه قلب الماني صميم و ينطوى على عواطف جندى قح . فأصاب منى شعور الاحترام . وكان القائد فون كونراد عقل الجيش النمسوى ، وهو قائد قدير ذكى و ذو مرونة عقلية على الاخص . وما هو لا رجل حربي ذو عقل شديد الخصب يكسب الجيش النمسوى في كل آونة نشاطـا جديدا . وستلبث هذه الميزة عنوان جدارته الخالده . بيدان الجيش النمسوى لم يكن في مستوى خططه الجرئيه . فان تنظيم هذا الجيش في زمن السلم لم تكن كافية فقد كان الجيش مهملا بتاتا ، فلم تكن له فى بلاده القيمة الادبية التى تحمل على العناية به كعنايتنا بجيشنا الالمانى . ان زهرة باقة الضباط العاملين بين الجنود الذين كانوا حافظين الجيش من الاختلافات الجنسية سقطوا صرعى في مواطن الذود عن الوطن والذين سدوا فراغهم في الصفوف لم يخلفوهم فى القيام بسائر اعمالهم الجليلة ولم تتكون منهم

مادة امتزاج الجيش . وكذلك خبرة الاجناد ضروا لجندلين في بقعة المتحم.
وعلى كل حال فان تعليم الجيش النمسوي يخالف تثقيف جيشنا تمام
المخالفة .

ولم يكن القائد فون كونراد راضياً عن نظام جيشنا في زمن السلم وهو
الآن يعترف لى بانه كان محبذاً لتعاليمنا . وقال لى انهم لم يكونوا يعنون جد
العناية بامر الطاعة المفروضة على الجندى ويحسبون لها شانا خطيرا .
وكانت هيأة اركان الحرب النمسوية العامة تهتم اعظم الاهتمام بالمسائل النظرية
فظلت فى معزل عن الخدمة العاملة . فكانت الاوامر تصدر بكثرة من
المراجع العليا اما مبدأ الابتكار الشخصي فقضوا عليه القضاء المبرم .

وتأدية الخدمة فى المراحل كانت حسنة الترتيب الا انها كانت تشغل
عدداً لا يمكن تصوره من الضباط

وبقيت علائقى مع القائد فون كونراد مرضية . وكان من المحمود ان
نتلاقى من وقت الى آخر . وكنت غالباً ما اشعر بان ضابط الارتباط
النمسوى الموجود في ادارة اركان حربى لا يقتصر على عدم تبليغ الاعمال
الجارية ، بل لا ينقل بالمثل الاشاعات . ان ضابط الموصلات المنتدب
من احد الجيوش المتحالفة يقوم بدور فى غاية الخطارة . ومن السهل ان
يصير مضرا . فلا بد من ان يكون رجلا قويم المبدأ كريم الخلق .

ودار البحث فى الاعمال الحربية المنتهية والتى توشك ان تحدث .
ولم يقتصر الجيش النمسوى فى حركة انثنائه على عبور السان ثانية بل
لقد عبر الفيسلوكا بالمثل . ولست أدرى كيف يستطيع هذا الجيش ان يثبت
فى مثل هذه الحالة وهو الان محصور بمرقه الاربعين بين جبال الكاربات
ونهر الفيستول على الشاطىء الغربى من مجرى الفيسلوكا . وقد ابان لى
مقدار الخسائر الجسيمة من الاسرى فيما بعد حقيقة حالة الجيش النمسوى

بجلاء تام . فان هذا الجيش أصيب بافدح الارزاء . فكان من المجازفة ان يصمم القائد فون كونراد اعتمادا على العضد الالماني على اتخاذ خطة الهجوم مرة أخرى فى مستهل اكتوبر مع ان الجيش النمسوي لايزال مضطرا الى استتباع التراجع تحت تأثير الضغط الروسى المتوالى .

ولقد غطى الجيش التاسع بتعبئته الجناح الشمالى من الجيش النمسوى فحال بهذه التغطية من أى تطويق يخشى حدوثه وانتظر فى بادىء الامر ان يتم تأهبه حتى اذا ما اتمه شرع فى زحفه الى شمال الفيستول واخذ الجيشان المتحالفان يهاجمان الروسيين حينما التقيا بهم .ووجب على الجيش التاسع ان يتيقظ لجناحه الايسر المكشوف ولجانبه الايسر المفتوح

ولم يكن موجودا من الجانب الروسي في المنبسط الفسيح المفتوح في اتجاه غرب منعطفات الفيستول سوى بضع فرق من الخيالة وبعض الوية من المشاه . وهذه القوة لاتستطيع ان تمنع الجنود الالمانيين المخصصين للتغطية من التوطن فى الارض البولونية . وفيلق فوايريش اللاندويهري من اختراق بولونيا عن طريق رادوم والتقدم الى الفيستول وعبوره من نقطة تلاقيه بمجرى السان .وقد اتم هذا الفيلق اتصاله شرق النهر بالجيش النمسوي قبل انهزام هذا الجيش.

وكان السواد الاعظم من الجيش الروسي لايزال في الجانب الشرقى من السان وقد تقدمت عناصر ضئيلة منه الى الجانب الغربي والعناصر المغلوبة منه في بروسيا الشرقية على الناريف الاعلى وعلى النييمن . ولم تصل بعد جميع الفيالق السيبيرية الى التخوم الروسية الغربية اذ لايزال شطر منها فى الطريق . ولقد كانت لهذه الجنود قيمة خاصة ولا بد لنا من ان نعانى ضروب الشدائد فى منازلتها .

ان اخفاق سياستنا فى منع اليابان من الانضمام الى صف اعدائنا كان

اذا تأثير مؤلم فى نفوسنا : وانها لنتيجة سوء تصرفنا السياسى الذى جعلنا بعد صلح شيمو نوزكى المبرم فى سنة ١٨٩٥ نحابى الروسيا ونمنع اليابان من الاستيلاء على بورت ارثر . وبالطبع ان اليابان لم تفقد الفائدة التي تعود علينا من العمل على اضعافها . والظاهر ان الانذار الذي وجهته الينا اليابان في سنة ١٩١٤ كان نصاً حرفياً لانذارنا الذي وجهناه اليها فى سنة ١٨٩٥ .. فماكيا وتشيو والابديلا من بورت آرثر وبهذا العمل أخذت اليابان بثأرها

وكان استتباع الاعمال الحربية يستدعى انتظار تعقب الجيش الروسى آثار الجيش النمسوى على الرغم من كل الصعاب التى تعترض التقدم . اما هـذا الجيش فالبراح الكائن فى جنوب الفيسـتول بين ساندومير وكراكوفيا ضيق عليه جدا ولا يزال بعيداً عن التفكير فى اكتساح المجر لما يتعرض له من خطر الانهزام فى شمال الـكاربات. فوجب اذن ان ترقب اقتراب الروسيين من مصب السان . وما هى الوسائل والقوى التى سيتقدمون بها ؟ هذا أمر مرجعه الى العلم بما اذا كانوا يعرفون طريقة توزع القوى الالمانية ويقدرون هزيمتهم في بروسيا الشرقية حق قدرها

على ان الروسيين لم يجتازوا السان الا بعناصر ضئيلة مغيرين على برزيميسيل . وكان المهم لديهم تقوية وحداتهم النازلة على ضفة النييمن . الا انهم بعد انتهائهم من هـذه [المهمة] حسبوا للزحف الالمانى الجديد أعظم حساب وأخذوا يستجمعون كل قواهم بما فيها العرضيات السيبيرية الواصلة حديثاً ليشرعوا في زحف قوي وضغط شديد فيما وراء الفيستول ابتداء من فارسوفيا الى منشعب السان. وفى ابان مفاوضاتنا فى نوفوسا ندك كانت الحالة فى المستوى الاعلى . فكان لا بد من اتخاذ الوسائل اللازمة لمواجهة الضرورة القصوى وهى تقدم الروسيين فيما يلى السان بعناصر

من الموجودة فى شمال الفيستول الاعلى . وللقيام بهذه المهمة ولاتقاء ما يمكن توقعه من الهجوم على الجنب من جهة فارسوفيا رؤي من المستحسن نقل عناصر الجيش النمسوى الى ضفة الفيستول الشمالية وكذلك فيلقنا اللاندويهرى ومع ذلك فقد بقي الجيش النمسوى الخيم فى جنوب الفيستول قوياً

وكانت لفيالقنا ومهماتنا عربات اغلبها ثقيلة جداً لا تكاد تصلح للجبهة البولونية وعددها غير كاف . فطلبت من القائد فون كونراد عربات نقل خفيفة واجاب سؤلى . وهذه العربات مؤلفة من صناديق خفيفة تجرها جياد سراع لا تتناول من العلف الا قليلا يقودها فلاحون . وقد تداولت الالسنة اسم هذه الوسائل النقلية « بابخ » في الحال . فالجياد بابخ والعربات البابخ ادت بالمثل عملا نافعة فى الميدان الغربى . واسمها آت من كلمة « بابخ » التى معناها « سيد » وهى الكلمة التي كان الحوذيون يتنادون بها فيما بينهم فتلقفها جنودنا منهم

وقد تم ابرام الاتفاقات الحربية في نوفوساندك بما يرضى الطرفين وباتحادنا فى الآراء ولم يتقرر توحيد القيادة لاننا القائد فون هندنبرج وانا آثرنا الاحتفاظ باستقلالنا فى اعمالنا الخاصة

وكانت مسألة تحديد مناطق المراحل بدقة داعية الى الاختلاف فقد كانت النمسا دائما غيورة على مصالحها وكانت مطالبها فى الغالب لاتتفق مع مقدرتها العسكرية على انها كانت محقة في عملها هذا من وجهة رأيها الخاص الا ان رجال السلطة فى برلين كانوا مخطئين في تركها حرة في عملها هذا . وما كان تساهلهم معها ناجماً الا عن تخوفهم من ابرامها صلحاً منفرداً مع دول الاتفاق . وهذا ما يتراءى لى من الوجهة العملية غير قابل للتحقق . ومع ذلك ففى هذه المرة اي في سبتمبر سنة ١٩١٤ أخذت

مسألة تحديد مناطق المراحل شكلا ينطبق على ما تمس اليه حاجة المانيا تمام الانطباق بدون ان ترى القيادة النمسوية العليا نفسها مجبرة على هذا الاقرار .

- ٢ -

وأصبح الجيش التاسع في ٢٧ سبتمبر مستعدا . واستقر معسكره العام في باوتن . وصدر الامر بالدخول فى المعركة على النسق الآتي :

العرضى الحادي عشر العامل في الشمال الشرقى من كراكوفيا مباشرة . وفيلق الحرس الاحتياطى ، والعرضى العشرون العامل ، والعرضي السابع عشر العامل ، والفرقة ٣٥ الاحتياطية بين كاتوفيتز وكراوزبورج . والفرقة الثانية من الفرسان ، وفرقة الكونت فون بريدوف اللاندويهرية بين (كامين وكاليش) .

وهذه الفرق الاخيرة تكون منها فيلق تحت امرة القائدفون فروميل . والتشكيلات اللاندستورمية المكلفة بحماية الحدود تألف منها لواء وزودت عدافع انتزعت من المعاقل فاصبحت بهذه الطريقة قابلة لتأدية اعمال نافعة في القتال .

وكانت اقرب الوحدات الالمانية الكائنة على الفيستول من الجيش الثامن مقيمة في ملاقا . وفرقة فون درجولتز اللاندويهرية تطلق مدافعها على اوسوفييتز . واندفعت بقية عناصر الجيش الثامن فى تقدمها حتى بلغت خط جرودنو — كوفنو . وقد أريد افهام العدو بهذا الزحف اننا نريد الشروع فى هجوم جديد .

وفى ٢٩ سبتمبر كان رننكامف قد تقوي بما وصلته من النجدات القوية فاتخذ خطة الهجوم ودفع الجيش الثامن خلال الاسابيع التالية الي الحدود بل الى ليك فيما وراء الحدود .

ومع ان الجيش الثامن تحت امرة القائد فون هنديبورج الا اننا كنا

من شواغلنا الخاصة فيما يلهينا عن الاعمال الحربيــة التي يقوم بها جيشنا القديم فضلا عما سببه سوء المواصلات من فقدنا كل نفوذ على ذلك الجيش. ولم نستطع ان ندير شـؤون ذلك الجيش الا في نوفمبر عنـد ماتولى قيادة الجيش التاسع رئيس خاص وتخلص القائد فون هندنبورج من تولي ازمة جيش مخصوص . على ان الحملة التي باشرها الجيش التاسع لم تصب باي تاثير مما اصاب الجيش الثامن .

فعلى جناحنا الايمن تحسنت حالة حلفائنا بدرجة عظيمة . ولم يتقدم الروسيون فيما يلي الفيسلوكا الا بتردد . فاستطاع الجيش النمسوي ان يستروح نسمة الراحة وان يبدأ بالزحف في اوائل اكتوبر . واصبح الجيش الاول النمســوي الذي يقوده القائد فون دانكل والمتأهب للزحف الى شمال الفيستول الاعلى وفيلقنا اللاندويهري موجودين في جنوب النهير بين مجري الدوناجيك تركرا كوفيا على استعداد للاشتراك في حركة الزحف القائم بها الجيش التاسع .

ان هذا الفيلق اللاندويهري يستدعي ان يكون في موضع خاص فهو يحتوي فرقة لاندويهرية سيليزية وفرقة لاندويهرية من مقاطعة بوزين. وهو مبدئيا لايجوز استخدامه الا في المحافظة على الحدود ولكن من المعتاد دائما استخدام كل مايتفق وجوده في ساعة القتال . وهـذا هو الذي دعا الى زحف الفيلق اللاندويهري في شـهر اغســطس في بولونيـا وعبوره الفيستول . لقد اضطرت الفرق الى اتيان امور كثيرة ليست من اختصاصها . وبعد عبور الفيستول اندفع هذا الفيلق في الوقائع الشاقة التي أشبها الجيش النمسوي في جنوب لوبلين . واضطر فيما بعد ان يشترك في حركة التراجع التي اجبر عليها الجيش النمسوي في وسط جهة تانيف وهي جهة غاصة بالمستنقعات والاجمات وخالية من الطرق وموقعها في شرق السان الاسفل.

وقد وضع الفيلق اللاندويهري منذ شهر اغسطس تحت امرة القائد فون هندنبرج . ولقد اخطأنا فى تداخلنا فى شئون هذا الفيلق فى حين انه كان من الواجب علينا ترك الحرية الكاملة لاركان حربه ليفعلوا مايشاؤن . وكان هذا من اسهل الامور علينا بالنظر لمعرفتنا كفاءة رئيسه البارع القائد فون فويرش ورئيس اركان حربه المقتدر الكولونيل هابى

وقبل مبارحتي انستربورج بمدة وجيزة كان قد وصل سائق سيارة ومعه مستندات ، فأعلن أنه يحمل سجلات وأوراق الفيلق اللاندويهرى التي امكن انقاذها فالفيلق . اذن قد امحى برمته والقائد فون فويرش ورئيس اركان حربه قتلا . ولم نقف على الحقيقة الابعدبضعة ايام اذ تبين لنا ان هذه الاشاعة لانصيب لها من الصحة

ولقد تمكن الفيلق من التخلص . واستطعنا ان نتخابر معه في برسلاه وبذلنا كل ما فى وسعنا لا كمال عدده ولتزويده بكل ما يلزمه وارسلنا اليه بناء على طلبه مدفعية ثقيلة وهذه المدفعية لم تتعد طابوراً من اللاندويهر مصحوباً بمدفعى هاون سهليين قديمين . وكانا ثقيلين جداً على الجر فى السبل الرديئة ولكن هذا شأن كل المدافع الغليظة التي لابد لاجل نقلها من التغلب على كل الصعاب . وفى اغلب الاوقات يحسب حساب انتقال المدفعيات ازاء الفوائد الناجمة عن مفعولها

ان الحملات التى قام بها الفيلق اللاندويهرى ستلبث ذكرى مجد وفخار لكل الذين اشتركوا فيها . وانها لخير دليل على براعة جيشنا وسمو أنظمتنا العسكرية وكذلك على القيمة الجليلة الحاصل عليها تكوين جنودنا وتدريبهم وتربيتهم قبل الحرب . وهذا هو السبب الذى مكننا من ان نقاتل فى الشرق شيئاً فشيئاً بتشكيلات من اللاوندويهر ومن اللاندستورم .

- ٣ -

بدا الزحف فى شمال الفيستول يوم ٢٨ سبتمبر . فامتد الجيش الاول النمسوى يمنة فى اتجاه القسم الاسفل من مجرى النيدا واستمر فى امتداده نحو خط ساندومير ـ او بتافو . واتخذت فيالق الجيش التاسع الالمانى اتجاهات الزحف الآتية : فيلق اللاوندبهر فى اتجاه بروشفيتز ـ للتشوف ـ او باتوف والعرضى الحادي عشر العامل عن طريق اندرتشجيف ولاجوف فى نفس الاتجاه وفيلق الحرس الاحتياطى عن طريق خنزينى وكيليكل واوستروفتز ، والعرضى السابع عشر العامل عن طريق نوفوراد ومسك وكوسك رادوم . والفرقة ٣٥ الاحتياطية عن طريق بيتروكوف فى اتجاه توماشوف ، والفرقة الثامنة الخيالة ، وفرقة الكونت فون بريدوف اللاندوبهرية فى الطريق العامة الموصلة الى محطة كوليشكى شرق لودز

ولم تصلنا معلومات حديثة عن العدو . ولم يبد فى بادىء الامر اية مقاومة بل اخذ ينثنى امام تقدمنا

وانتقل المعسكر الالماني العام الى فوللبر وم ثم الى ميشوف فالى جاندرتشيف والاولى لم تكن سوى مصنع . والمدينتان الاخريان كانتا حافلتين بمظاهر الاقذار المأثورة عن البولونيين . وكانت الامراض المعدية منتشرة فيهما . وقد صرنا فى ميشوف متقدمين جداً حتي ان القوزاق كانوا يتقدمون الى جوار البلده . واراد القائد فون فويرش ان يتعرف بالقائد فون هندنبورج فقام بحركة استدارة ليفلت منهم

وحصلنا فى كييلس على معسكر حسن ومكاتب بديعه الترتيب فسهل علينا اداء العمل

واضطر جنودنا الى بذل مجهودات فرق العادة ليتيسر لهم الزحف وذلك لان الطرق غير قابلة للسير فيها والجو عبوساً ممطراً ومع هذا فقد كان لا بد من التقدم بسرعة مسافة ٣ كيلو مترات فاكثر لادراك العدو عند عبوره الفيستول . او للاشتباك به على الضفة الاخرى من ذلك النهر

وبدأت الفكرة العامة عن الاعمال الحربية تتضح شيئاً فشيئاً : فالواجب علي الجيش النمسوى ان يلتحم فى الوقعة الفاصلة فى جنوب الفيستول وهذا تخلص من برزيميسل واجتاز السان ، بينما كانت مهمة العناصر المنتشرة فى شمال الفيستول مقصورة فى الواقع على مشاغلة العدو وهذا ما لم يكن ميسورا الا بادراك العدو على الفيستول واذا ما تمكن من التعرض بقوى جسيمة على ضفة الفيستول الغربية كما يحتمل ذلك فاننا نصبح اضعف من الثبات على مقاومته بنجاح الا ان المنظر بدأ يتغير بعد المصادقة على اتفاقات نوفوساندك . فوجب احداث تعديلات على المجموع وعلى التفصيلات ان هذه الجملة تتضمن عدة مناظر متضاربة فهى لاجل هذا السبب جديرة بان تشغل احد الاماكن الاولى فى صحائف التاريخ الحربى

واضطرت القيادة الى اصدار قرارات جديدة خطيرة فى كل يوم . ووجب على الرؤساء التابعين لها ان يفكروا فى مشروعات مبتكرة فما هى الا وثبة مقهورة فى موقف مجهول فمصارعة عاتية لم تلبث ان تحولت الى ارتداد مقرون بالحكمة . وذلك ان قوى الجيش الضعيفة تفرقت فى متسع عظيم . الا ان ارادة وحيدة جلية مقرونة بالثقة بالنفس اخذت منذ البدء فى العمل تنعش هذه القوى

وكانت حركات الجنود مرتبطة باعظم همة تبذل فى التموين . الا انه

حالات التموين كانت على غير ما يرام من جراء حزونة الطرق ورداءة الجو . بل لقد كانت الطريق الكبرى الموصلة من كراكوفيا الى فارسوفيا مفعمة بالوحول التى تصل الى الركب . واصلاح هذه الطرق الى حد ان تصير قابلة للسير فيها بسهولة أمر فوق المستطاع فى هذه الآونة العسيرة فضلا عن كون وسائل العمل قليلة الى درجة هائلة . ومع ذلك فان الجنود وفصائل العمال لم يتغلب عليها التعب وانجزت شيئا عظيما . وعند ما شرعنا في التراجع فى النصف الاخير من اكتوبر كانت الطرق قد اتخذت منظرا آخر . ولقد كنا نعمل ونحن متشبعون بروح الرقى المدني .

وكانت حالة السكك الحديدية صعبة بالمثل لان خط كييلس الحديدى وهو أهم الخطوط لدينا يمر من نفق ميشوف الذى تقوضت اركانه . فاقتضى الامر ترميمه ، واخذت اعمال الترميم تنجز بسرعة نسبية . وهذا النفق له سيرة مأثورة فان جنودنا هى التى اتلفته وجنودنا نفسها هى التى رممته فى هذه المرة . وهدمناه مرة اخري فى نوفمبر ثم اعاد الروسيون ترميمه ليعيدوا تقويضه فى صيف ١٩١٥ ، وفى هذه المرة الاخيرة اصلحناه اصلاحا نهائيا . وحدثت كذلك اعمال اخري جسيمة كتحويل الخطوط الحديدية الروسية الواسعة الى خطوط عادية وانشاء عدة جسور وقناطر . ولقد قمنا عدا ذلك بعمل باهر . فان خط كييلس الحديدي وما بعده كخط رادوم تمت اشغالها فى مدة اقصر بكثير مما كنت اقدره لها . وحدث بالمثل الشروع فى مد الخط الثانى الممتد من فينا الى فارسوفيا فى طريق عادية مارة بتشنستوخوفو ونوفورادومسك فى اتجاه محطة كوليوشكى وانتهى بسرعة . وكذلك استخدمت بعض الخطوط التى تجتاز المناطق الحافلة بالمياه الا اننا لم نستطع اتمام جسر سبيرادز الكائن فى خط كاليخ —

لودز وايجاد الوسيلة التى تصل الفرع البولوني بالفرع الالماني فى الجهة الغربية .

وبفضل همم بعض الضباط من اركان حربي الذين لايعرفون الكلل وهم القومندان درخسيل واليوز باشيان فون والدوف وسبير تمت مواصلات مؤخرة الجيش بسرعة . وصار تذليل كل العقبات بقدر المستطاع من العجلة حتى لاتتأثر الاعمال الحربية بما يعترض انتظامها ونجاحها .

وظل ايجاد وسائل الارتباط اعسر منه فى بروسيا الشرقية . فقد اتلف الروسيون بضعة السلوك التليفونية الموجودة وخلعوا الاعمدة التى كانت تحملها . فمدت سلوك الميدان التى اكتفينا بها . ولم نكن فى الحرج الذى لاقيناه فيما بعد اثناء حرب المواقع . وكانت اضمن وسائل مواصلاتنا السيارات وسعاة المسافات وقد ادت لنا بضعة المحطات التلغرافية الجوية مرة اخري خدما جليلة . وهنا ايضا صرت قادرا على استجماع المعلومات اللازمة فى كل وقت واتصال الاوامر في الوقت المرغوب .

ولم يتسبب الاهالى فى اقامة العراقيل فى وجوهنا . فقد كانوا حسني النوايا ونفذوا الاوامر الصادرة اليهم . ولكن الفكرة التى عنت بحشدهم لمقاتلة الروسيين كانت غير قابلة التنفيذ وما كان يطلق عليه اسم التشكيل البولوني فى الجيش النمسوي لم يكن سوي مجموع مؤلف على الاخص من بولوني غاليسيا وهم رعايا نمسويون . ولم ادرك هذه الحقيقة الا بعد مضى مدة من الزمن .

— ٤ —

وفى ٤ اكتوبر بدأت قوى الجيوش النمسوية وهي الجيوش الثانى والثالث والرابع تزحف بالمثل ، فعبرت يوم ٥ مجرى الفيسلوكا . فلم يبد

الروسيون مقاومة عنيفة وتهيأ للجنود النمسويين بلوغ السان فى يوم ٩ ودخلوا برزيميسل

ونازل الجيش الاول النمسوي والجناح الايمن من الجيش التاسع الالمانى يوم ٤ اكتوبر فى كليمنتوف واوباتوف الوية المشاة الروسية والقت عليها درساً مفيدا . ومن هذا الحين اتخذ الجيش الاول النمسوى ساندومير كنقطة ارتكاز اساسية ، فى حين ان الجناح الايمن للجيش التاسع استمر على سيره نحو الفيستول

ووصل العرضى العشرون العامل الى الجهة الشمالية الغربية من كيلس وبلغ العرضى السابع عشر العامل رادوم بعد مكافحة خفيفة واستقر بها ووصل فيلق فروميل الى توماشوف محطة كوليوشكى ، وفرقة الفرسان الثامنة صارت على مقربة من رافا وكانت تشكيلاتنا المحلية تتقدم بين كالبش وتورن تتقدم ببطء فى بولونيا ، واما بقية الجيش فقد استخدمت فى مواصلات المؤخرة

فى هذه الأثناء تضاعفت المعلومات القائلة بان العرضى السيبرى وصل الى فارسوفيا وان قوى جسيمة اندفعت الى ضفة الفيستول اليمنى عند منشعب السان فى اتجاه الشمال . وكنا نشعر بان العدو يعد عملا حربياً كبيراً يباغت به الجيش التاسع وقد جاءت آرائى فيما يختص بعملنا الحربى مطابقة لعمل العدو . اذ صار من اللازم ان نستولى على خط الفيستول وان نثبت فيه بينما ينشب الجيش النمسوى النازل على ضفة السان اهم وقعة حاسمة يهاجم فيها الروسيين ويتغلب عليهم

وفيما يختص بالشؤون الفرعية فقد كان من الواجب علينا قبل كل شيء ان نستولى على نقط المعابر الحصن المعبور منها الكائنة ما بين مصب السان وايفانجورود والاحداق براس جسر هذا الحصن والاستيلاء عليه

اذا ساعدت الاحوال والوصول الى الضفة اليسرى . وقد كان من الواجب فضلا عما تقدم ان نراقب الفيستول من ايفانجورود الى فارسوفيا واخيراً كان من الضروري ان نضرب العرضيات السيبيرية التي كانت تحتشد في جنوب فارسوفيا والاحداق بعد ذلك بالحصن والاستيلاء عليه عند التيسر . والجيش التاسع بمفرده اضعف من القيام بكل هذه المهام العديدة . والجيش الاول النمسوي كان مقرراً توزيعه ومخصصاً بنوع اخص لمساعدة القوى الشمالية

وكان من الواجب على الجيش التاسع ان يبدأ بالزحف في اتجاه الشمال

فصدر الامر للعرضي السابع عشر بالزحف في اتجاه فارسوفيا تحت امرة القائد ماكنزن . ووضعت مجموعة فروميل تحت قيادته

والعرضي العشرون مكلف بمراقبة ايفانجورود ومنع عبور الفيستول من شمال الحصن

وعهد الى فيلق الحرس الاحتياطي بمراقبة مجرى الفيستول من جنوب الحصن الى نوفو الكساندريا لمنع كل عبور

واختص فيلق اللاوندبهر بمنع العبور من جنوب هذه النقطة

وارسل العرضي الحادي عشر في اثر الجيش الاول النمسوي مدداً له وهذا الجيش مكلف بالاستيلاء على خط الفيستول من الجهة الجنوبية الى انوبول وعبور النهر من هذه الجهة اذا ما تم اجتياز السان من جانبه الجنوبي . وقد وضع القائد كونراد تحت تصرف فرقتين من الخيالة اسندت مقاليد احداهما وهي الفرقة الثالثة الى قيادة العرضي العشرين وعهدت اليها حراسة الفيستول ، والاخرى وهي الفرقة السابعة الحقت بفيلق فروميل

وادى تنفيذ هذه التعليمات الى حدوث وقائع حادة في بعض الجهات

وتقدم العرضى السابع عشر من رادوم عن طريق بجالو بر سهينجي فالتقي فى ٩ اكتو بر عند جروجيتز و فى الشرق بالجنود السيبيرية التي كانت محتشدة في هذين المكانين و بعد وقائع شديدة قذف بها الى فارسوفيا . وتعقبها القائد مكنزن بعنف واستقدم القائد فروميل الى ميسرته ومنذ يوم ١٢ اصبح في جنوب الحصن مباشرة

وقد اهتدينا الى اوامر روسية ذات معلومات فى منتهى الخطارة وجدت في ثياب ضابط روسي اسير او قتيل فى معركة ٩

واشترك لواء العرضى العشرين في شمال ايفانجورود عند كوسجينيتز ببعض عناصر معادية فلم يفز بصدها

وهاجم فيلق الحرس الاحتياطي عند نوفوالكزاندريا العدو الذى عبر من هذه النقطة والقاه في الضفة الاخري بعد معركة شديدة اشترك فيها فيلق اللاوندبهر ولم يكن الروسيون قد اجتازوا النهر من الجهة الجنوبية وتوطن معسكرنا العام فى رادوم

— ٥ —

ان المرسوم الذي وجد فى جروجيتز اوضح لنا مقاصد العدو . فقد كانت خطة الجراندوق من الطراز الاولى وذات خطر عظيم علينا . اذ كان اكثر من ثلاثين عرضة روسيا محتشدا على الميمنة لاجتياز الفيستول فيما بين فارسوفيا ومصب السان بينما تجتاز قوى أخرى السان من الجهة الجنوبية . وقد خصصت ١٥ فرقة لمكافحة الفرق الخمس المؤلفة منها مجموعة ماكنزن. فكان الجراندوق يريدان يطوق الجيش التاسع بقوي عظيمة من جهة الشمال ثم ينازله بمهاجمته من الجبهة ومهاجمة الجيش النمسوى بالمثل مع توجيه جناحه الايسر للاستيلاء على القمم الكائنة فى شرق زبيسل. وقد استخدم لهذه الاعمال الحربية الجراندوق كذلك عناصر من جيس

رنكامف . فلونجح هذا المشروع اتم انتصار الروسيا الذي كانت تعول عليه دول الاتفاق فى حساباتها الخططية العسكرية

ولم اقنط من تغلب النمسويين على الروسيين فى شرق برزيميسل بجرى السان على الرغم من كون العساكر الموجودة في شمال مصب السان محتاجة الى تلقى نجدات ولو قليلة والي ان يعاد حشدها من جديد ما بين فارسوفيا وابفانجورود . وكذلك تقدمت العرضيات الخامس والثانى والسابع عشر اللاندويهرية فى الاتجاه الشمالى الغربى من بولونيا واستمر فى تقدمه نحو مجرى البزورا الاسفل

وقد درست المواصلات مع المؤخرة درساً خاصاً اذ كان من المنتظر حدوث تقهقر فاذا ما حدث تم بسهولة .واعدت وسائل نسف السكك الحديدية بوضع مقادير جسيمة من المواد المنفجرة فى الاماكن المهمة.

وبينما كان القائد ماكنزن يقاوم منذ ١٥ اكتوبر قوى معادية عظيمة تواتيه كان الروسيون يحاولون عبور الفستول مرة اخرى من جهة الجنوب.. فاضطررنا الى ارسال الفرقة ٣٧ من المشاة التابعة للعرضي العشرين الى الامام فى اتجاه كالافريا فحالت دون اجتياز النهرين من هذا المكان الا ان فيلق العدو الذي كان قد نقل بعض عناصره الى الضفة اليسرى امكنه ان يستردها وينسحب من هذا المكان بغير خسارة كبيرة . وبقيت الفرقة فى هذه النقطة ووضعت تحت امرة القائد ماكنزن.

واتجهت الفرقتان النمسويتان ٤١ من المشاة و ٣ من الخيالة الى مصب البيلنزا ثم انحدرتا فى اتجاه الجنوب الى كوسجينتز.

واتجهت الفرقتان النمسويتان ٤١ من المشاة و ٣ من الخياله الى مصب البيلنزا ثم انحدرتا فى اتجاه الجنوب الى كوسجينيتز.

وشرع فيلق الحرس الاحتياطي فى اكتساح ايفانجورود . واراد القاء ما تبقى من قوى الاعداء على الضفة اليسرى من الفيستول عند كوسجينيتز

فطلب لاجل هذا الغرض لواء من العرضي الحادى عشر فسمح الجيش به له.

ولست انسي وقعة كوسجينيتز اذ سيرت اربعة الوية صوب المنعطف الضيق من الفيستول الذي حولته الامطار الغزيرة الى مستنقع . وقد ارتد اللواء المتقدم من امام ايفانجورود على اثر الهجوم الشديد الذى قام به الروسيون الذين تقدموا من هذه المدينة . وكنت أخشى ان يهاجم الروسيون هذه الالوية الاربعة من الجنب فيصبح موقفها في منتهى الحرج بسبب ضيق المكان الذى يدافعون فيه . وقضيت الليل ساهرا ، وفي الصباح كان الموقف ازاء ايفانجورود اقل خطرا . واستمر القتال في بركة كوسجينيتز لان الروسيون دأبوا على الهجوم . ولا يزال الجنود الذين اشتركوا في هذه الملحمة يتذكرونه بارتياع . وعلى اثر زحف فيلق الحرس الاحتياطي في اتجاه الشمال تكفل الفيلق اللاندويهرى بحراسة معبر نوفوا الكسندريا . وفى اثناء هذه الملحمة انباء طيار بان قوي عظيمة من الاعداء عبرت الفيستول من جنوب ايفانجورود فاذا صح هذا النبأ حرج مركزنا لان الجيش لم تبق لديه قوي احتياطية الا انه لحسن الحظ لم يكن حقيقيا فان الطيار عين مكان القتال حول كوسجينيتز الواقعة فى جنوب ايفانجورود .

ولقد تحقق الاستيلاء على خط الفيستول الا ان فارسوفيا وايفانجورود ظلتا فى قبضة العدو ، ولا يزال لديه معبر فى شمال ايفانجورود وان كان سيئا .

— ٦ —

لم يتمكن الجيش النمسوى الكائن فى القسم الجنوبي من الفيستول من عبور السان والاستيلاء على بقاع جديدة في شرق برزيميسل ،ومع ذلك

فلم ييأس القائد كونراد من احراز انتصارات .

وكلما امتد امد الكفاح في جنوب السان اشتدت الحاجة الى تقوية الجناح الايسر من الجيش التاسع بالنظر لازدياد حرج موقفه باطراد . وهذا الموقف شديد الارتباط بسلسلة الحوادث الجارية على ضفتي السان. واذا ما تقدمنا في الزحف على السان كان من نصيب قواتنا مواجهة بعض الاخطار في جهة فارسوفيا ولكننا اذا لم نتقدم كان نصيب قواتنا المحق في هذه الجهة . واذا ما جاءت الامداد فانها تمكننا من المصابرة مدة ما . ولكننا لم نكن ننتظر شيئا من جانب المعسكر العام الاكبر لانه شغل القوى المؤلفة حديثا في وقائع ايبر وارسل العرضي الخامس والعشرين الاحتياطي الي بروسيا الشرقية التي تحرجت الحالة فيها

وارتأى الجيش ان يستعيض عن فيلق الحرس الاحتياطي والفيلق اللاندويهري والعرضي الحادي عشر والمكلف بالدفاع عن الفيستول بجنود نمسوية ودفع هذه القوى الالمانية الى الشمال وامداد الجناح الايسر بها وهذا ما استصوبناه . والفيالق التي اعتادت على الفيستول بقيت بجانبه وبهذه الطريقة اصبح الفيستول منيعاً

وكذلك القائد كونراد ارتاي تقوية جبهة القتال من جهة بيليتز الا انه لم يشأ امدادها بجنود نمسوية خلا فرقتين من الفرسان فخابرنا المعسكر العام الاكبر الذي خابر جلالة الامبراطور ففاوض الامبراطور فرانسوا يوسف الذي اجاب بالموافقة الا ان القياده النمسوية العليا صممت على رأيها فصدر الامر حينئذ برفع الفيالق الثلاثة من خط الفيستول وقد صار رفع عناصر الجيش الاول النمسوي من ايفانجورود بامر من القائد كونراد فبقيت نقط المعابر خالية من الحراسة . وكان لابد للجنود النمسويين ان يلقوا بالعساكر الروسية التي تجد خلفهم في الفيستول،

وقد كررنا نصحنا للجيش النمسوى الا انه كان لابد من نفاذ المقدور . ولم تجيء الفرق النمسوية المخصصة من الجيش الاول لاخلاف الفيالق الالمانية اللازمة قبل ٢٠ اكتوبر . وفى خلال هذه المدة اشتدت الحالة امام فارسوفيا ، وفدح الخطب ، فان قبلنا الاشتباك بالعدو تعرضنا لاعظم الخطر . فلم يكن اوفق من استرجاع القائد ما كنزن الي الخلف . الا ان رجوعه لايكون مبكرا ولا بعد فوات الوقت. وانه لقرار عسير اذ ماعسى ان يقال فى داخل البلاد ؟ وفى ١٧ اكتوبر ارتأيت البدء بالتراجع . فطلبت من القائد هندنبورج ان يستقدم مجموعة القائد ما كنزن من فارسوفيا متبعا اتجاه غرب الجنوب الغربي فى خط رافا سكييرنييفيتس لوفيتيخ . ورجونا ان توصل فى الوقت المنشود الفيلق اللاندويهرى الذى سحب من مكانه الى موقع كائن مابين نوفى مياستو ورافا فى شمال البليتزا ، فتتألف بهذه الوسيلة جبهة جديدة تستجر الروسيين اليها . ومع ان جناح هذه الجبهة الايسر مغطى باللاندستورم وبالخيالة تغطية غير محكمة الا انه من الميسور اجتذابه الى الخلف . فاذا هاجم الروسيون بجموعهم فمن الممكن مهاجمتهم من الجنب بحشد العرضيين العشرين والحادى عشر وفيلق الحرس الاحتياطى في المكان المناسب اذا لم يكن المكان الموجودة فيه وعبور البيليتزا من شرق نوفى مياستو والالتحام معهم . وهذه الاعمال الحربية تكسب الوقت بينما تعرف نتيجة حركات الجيش النمسوي المحتشد فى الجنوب وما اذا كانت مقرونة بالظفر . الا ان هذا الظفر بدأ يدخل فى دور الشك. فقد اجتاز الروسيون السان نفسه في الليلة الواقعة بين ١٧ و ١٨ اكتوبر مقدمين على ما عجز عن اتيانه الجيش الرابع النمسوى .

وفي ليلة ١٩ اكتوبر غادر القائد ما كنزن فارسوفيا . فتمت الحركات المدبرة من مدة طويلة بنظام تام فلم يحصل العدو على غنيمة ما كما انه

لم يشتد فى المطارة الا بعد التدرج فيها .

وفى ٢٥ و ٢٦ هوجم بشدة متناهيـة فى المواقع الجديدة الكائنة فى شمال نوفى مياستو القائد ما كنزن وتفيلق اللاندويهري الواصـل فى وقعته وكذلك الفرقة ٣٧ من المشاه . فاضطر الجناح الايسر الى الانثناء فى اتجاه لوتز وكذلك الفرقة ٣٧ من المشاة نقلت الى الضفة الجنوبية من البيليتزا . ومع هذا كله فقد ظللنا متحكمين فى الموقف على الرغم من الملاحم القاسية التى حدثت فى الايام التالية . ولم يقع هجوم على البيليتزا . اما النمسويون فقد أصيبوا بهزيمة فادحة فى ايفانجورود وارتدوا الى رادوم .

لقد وقع ما كان معسكرنا العام يخشاه ولم يقو الجيش الاول النمسوي الذى تولى الحراسة امام ايفانجورود منذ ١٢ اكتوبر على منع كثيرين من الروسيين من عبور الفيستول وبدلا من قذف العدو الى الضفة الاخرى انهزم هو

وحاولنا بكل مستطاعنا على ميسرة الجيش النمسوي ان نمنع بفيلق الحرس الاحتياطى هزيمة ذلك الجيش فلم نجد سبيلا الى ذلك ، فقد تقدم الروسيون من نوفوالكساندريا وايفانجورود وكذلك عبروا النهر من مصب البليتزا . ولم اعلم الا مصادفة بتصميم الجيش الاول النمسوى على الارتداد الى رادوم من احتجاج الليتنان كولونيل هوفمان فى الحال على هذا العمل الذى يحرج مركز فيلق حرسنا الاحتياطى فتمهل الجيش الاول بضع ساعات تمكن فيلق الحرس الاحتياطى فى اثنائها من التخلص الا انه لم يستطع ان يهاجم من جهة البيليتزا متنحياً صوب الجنوب الشمالى نظراً لانكشاف الغطاء عن جنبه

وقد ارسل العرضى الحادى عشر بسرعة قوية الى جهة الشمال الشرقى من لودز لتعضيد جناح ما كنزن الايسر

وادى تراجع النمسويين الى رادم الى طروء تغيير تام على الموقف باسره ولا بد من حدوث ضغط شديد من الروسيين على جبهةالفيستول ومن المشكوك فيه ثبات النمسويين امام هذا الضغط. وكذلك بدأ موقفهم فى جنوب الفيستول يشتد حرجاً فلم يبق امل فى الحصول على نتيجة حاسمة مرضية . واذا بقى الجيش التاسع فى هذا المستقر حصر وانهزم فكانما اصابه نصيب من حظ الجيش النمسوى . فلا مندوحة اذن من رد الجيش التاسع الى الخلف ليكون حراً فى اعماله الحربية ، وبالطبع ان هذه الحركة ستشمل الجنود النمسوية التي ستضطرها هجمات الروسيين على كل حال الى الانثناء .

ولقد اذيع فيما بعد في الجيش النمسوي ان النمسويين لم يتراجعوا الا من جراء ارتداد الجيش التاسع . وهذه الاشاعة تتضمن الصواب والخطأ . فلا يقال ان الجيش التاسع تراجع لمجرد عجز الجيش النمسوى الذى كافح بشجاعة فى مستهل الحرب ولكنه لم يكن قد تماسك بعد معركة لمبيرج

- ٧ -

ان فكرة التراجع كانت موجودة منذ عدة ايام وقد صدرت بها الاوامر فى ١٧ . لقد اصبحت الحالة حرجة جداً لان عمل اكتوبر الحربي وان كان اكسبنا فسحة من الوقت الا انه لم يتكلل بالفوز . والآن يمكن التخوف مما كان يحسب حسابه عما نحشد له فى آخر سبتمبر فى سيليزيا العليا وهو زحف الروسيين الى الامام للاغارة على بولونيا وسيليزيا ومورافيا اذ اصبح قابلا للتحقق .

وكانت التعليمات العامة الصادرة بشأن التراجع معلومة لدى الجنود

الالمانيين ، اذ امروا عدة مرار بارسال كل ما يمكن الاستغناء عنه الى الخلف وقد روعيت هذه الاوامر بوجه عام ، الا انه فى بعض الاحوال بقيت اشياء جمة فى المقدمة . ولقد شغلت فكري كثيراً قوافلنا ذات الاعباء الثقيلة التى تسلك طرقاً شاقة . وكان لابد من تحريك حركات الارتداد بقدر الامكان صوب الغرب للافلات من التطويق .

وقد تم « تراجعنا الفني » كما يلقبه جنودنا ، بطريقة فنية محكمة النظام. وسيظل هذا الارتداد على طول الازمان مثلاً للحرب المطابقة لمباديء الانسانية مع سلامة الاعمال الحربية.

وكان على فيلق الحرس الاحتياطي الكائن فى الميمنة ان يقوم باعمال عظيمة لان الجيش الأول النمسوى اخذ يفقد على التوالى قوة مقاومته ويتراجع امام كل هجوم .وتراجعت الجيوش النمسوية من جانبي الفيستول الى قمة كراكوفيا بل تراجعت بعض العناصر الى الكاربات فى الجنوب الغربي من برزيميسل

والعناصر المتراجعة من الجيش التاسع هى : فيلق الحرس الاحتياطى والعرضى العشرين وفيلق اللاندويهر عن طريق كييلس توماشوف الى منتصف خط كراكوفيا ـ تشينستوخوفو الى شمال تشينستوخوفو وعلى الفييلون وانطلق العرضى الحادى عشر فى الجهة الجنوبية من سيرادز . واجتمعت ما بين البروسنا والوارتا تحت امرة القائد فروميل الذى تخلى عن رئاسة الفرقة ٣٥ الاحتياطية فرقة لاندويهر الفون بريدوف والفرقة الخامسة من الفرسان القادمة من الجبهة الغربية والثامنة من الخيالة والسابعة من الفرسان النمسويين . وتراجعت التشكيلات اللاندستورية فى خط كالنج ـ فريشين ـ تورن . واخذ الروس يتتبعون آثارنا بكل قواهم كما انهم اندفعوا الى المواثبة فى بروسيا الغربية وفى مالافيا بقوى جسيمة ، فاصبح

الموقف شديد الحرج . فاخذنا نتلمس فرصة تجيز لنا الانتقال من التقهقر الى الموائبة ، الا ان مجاورة الجنود النمسوية كانت فى كل حركة حربية عاملا داعياً الى التردد وعدم الاطمئنان الى الفوز ، وفضلا عن ذلك فان كل حركة تؤدى من سوء الحظ الى اشتباك جبهى ، وهتان الحالتان لاتسمحان بالانتصار .

على انه كان لابد من اصدار قرارات اخرى حاسمة . ثم عن لى بعد التفكير انه لايمكن القيام بعمل مفيد الا اذا نقلنا قوات من جنودنا بواسطة السكة الحديد فى منطقة هوهنسالزا و تورن لتتقدم من هنالك على امتداد الفيستول فى اتجاه لودز ـ لوفيتخ ضد جناح العدو المتقدم ومنع تقدمه . ولكن ما هو مقدار القوى التى يمكن الحصول عليها لاجل هذا العمل الحربي ؟ هذه مسألة اخرى

وصار أهم أمر وقف زحف العدو باسرع ما يمكن والحيلولة دون استخدام السكك الحديدية الالمانية . وقد اعد اتلاف طرق المواصلات باحكام عظيم . وقد دلتنا التجارب على ان الجيش المنظم على الطراز الحديث يستطيع ان يبتعد الى ١٢٠ كيلو مترا من نهاية خطوطه الحديدية . فاذا كان الأمر كذلك واذا تهيا لنا اتلاف الخطوط الحديدية كما آمل فن الممكن ان نعيق الروسيين مدة من الزمن قبل بلوغهم حدودنا بدل الاشتباك فى معركة شديدة . وعلى الرغم من كل الوسائل المعدة فلم يكن من السهل تدمير السكك الحديدية حسب المرغوب لان الجنود تريد دائما الانتظار الى الساعة الاخيرة . وعلى كل حال فقد أصدرت التعليمات وراقبت تنفيذها .

وكان الكابتن سبير خير مساعداً لي . فنسفت الجسور بغير تردد . وقام الجنود باعمال جسيمة . وسرنى ما رأيته من تلكؤ العدو في مطاردته ثم وقوفه نهائياً عند المكان المعين . على اننا كنا قد تركنا مقادير عظيمة من الازواد فى البلاد التى اخليناها ولم نشأ اعدامها .

- ٨ -

وفى آخر اكتوبر استقدمني القائد فالـكنهاين الى برلين . وذلك لان القائد كونراد أشار عليه بنقل قوى عظيمة من الغرب الى الشرق وكان القائد فالكنهاين يتكلم باطمئنان عن الهجوم على الايبر واراد ان لا يبدي حكمه القاطع قبل الوقوف على فكرى. الا انى لم استطع ان اكون له فكرة عن حالة جيشنا ومقاصدنا لان الامور مرهونة باوقاتها وتراءى لى وانا فى برلين كاني فى عالم آخر. فان التناقض بين المجهود العظيم الذى عهدته منذ مفتتح الحرب والحياة البرلينية كان عظيما جداً. فانى لم ارسوى عيشة تلاه والتذاذ ولم يبد اثر لما كان يجب ابداؤه من الاهتمام بموقفنا العصيب فاستأت واستوحشت من هذه الحياة. وسررت عند عودتي الى تشينستوخوفو وتواجدي فى وسط من الزملاء

وفى ٣ نوفمبر صباحاً صممت على تنفيذ مشروعى. وكان لا بد من القيام بعمل جديد. وطلبت من القائد هندنبرج الموافقة على الفكرة التي تم البحث فيها من قبل وهي تقتضى حشد القوى فى اتجاه هوهنسالزا . فصدرت الاوامر فى الحال واحيط المعسكر العام الاكبر علماً بذلك . واخذ المعسكر العام الاكبر يراقب مجرى حوادث الشرق بقلق عظيم فان الموقف عند مالفا وعلى تخم بروسيا الشرقية اخذ يزداد تفاقما يوماً فيوماً .وقد ارسل العرضى الخامس والعشرون الاحتياطي المؤلف حديثا مددا لجبهة بروسيا الشرقية فقاتل بشجاعة . ولكن ظهر فيما بعد ان قيمة التشكيلات الحديثة أقل من قيمة الفيالق المؤلفة من جنود طال مرانهم يقودهم ضباط قويو الارادة عظيمو الاقدام . ورجال هذه الانظمة الحديثة اشداء الا انهم لم يصيروا بعد جنوداً . ولم تتغلب شجاعتهم واخلاصهم

على قلة خبرتهم العسكرية . والضباط العديدون الذين كانوا قد التزموا السكون مدة طويلة ثم عادوا فى هذه الآونة الى العمل بذلوا كل ما فى وسعهم الا ان الممارسة كانت مفقودة منهم . على انه كانت توجد حالات استثنائية ، ان الجيش لا يمكن ان يخلق في بضعة اسابيع . اذ لا بد له من مران طويل ومن اعتياد على الحياة العسكرية وخير مثال على ذلك التشكيلات الانجليزية والامر يكية المستحدثة التى بذلت ثمن عنادها واقدامها ضحايا عظيمة من الدماء .وعلى ذلك فلم يستطع العرضى الخامس والعشرون ان يغير حالة الجبهة البروسية الشرقية فكان لا بد للجراندوق ان يضرب المانيا والنمسا ضربة حاسمة بالانسياب من جهة منعطف الفيستول ومهاجمة الارض الالمانية الكائنة شرق الفيستول فى الوقت نفسه وهو ينشد النصر المبين هنالك ايضاً او على الاقل يمنعنا من تحريك جنودنا

وكان لابد من حدوث وقائع متسلسلة متضامة بعضها الى بعض على طول حد المملكة البروسيةالشرقى . فلا بدلهذه الجبهة من قيادة وحيدة ذات عزم . وقد جري البحث فى هذا الصدد مع القائد فالكنهاين عند ما كنت فى برلين . وفى اول نوفمبر عين صاحب الجلالة الامبراطور القائد هندنبورج رئيسا عاما للقيادة الشرقية . واسندت قيادة الجيش التاسع كاقتراحنا الى القائد ماكنزن . وبقيت رئيس اركان حرب القائد هندنبورج. واغلب مساعدي تحولوا الى هيئات اركان حرب جديدة .

واصبحت سلطة القيادة العامة الشرقية ممتدة بشكل فعال على الجيش الثامن والتاسع وعلى هيئات اركان حرب الجيوش الاول والعاشر والسابع عشر والثانى والخامس والسادس الموجودة فى بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية والبوميرانيا وبوزن وسيليزيا والمعاقل المنبثة فيها .

ثم فيما بعد انتقل فيلق زاستروف الموجود فى جهتى سولداو وملاوا الذى كان تحت امرة الجيش الثامن الى امرة رئاسة القيادة الشرقية العامة.

ولقد صار نظام القيادة على هذا النسق حسنا . وهو يرفع رئاسة القيادة من الاعمال التفصيلية التي يقوم بها كل جيش . اللهم الا اذا دعت بعض الاحوال تداخلي بشكل اصدار تعليمات تندمج فى اختصاص قيادات الجيوش . ولم يكن مثل هذا التداخل سهل علي . ولقد اهملته فى بادىء الامر ، الا انني اخذت اوجي التوفق الى وضع قاعدة له .

-٩-

ولتأثرنا بالتبعة الهائلة كنا نعلم جميعنا فى المعسكر العام حرج موقفنا. ولقد صرنا ونحن فى ولاية بوزن نشعر اكثر مما كنا فى بولونيا بخفقان قلوبنا خوفا من اغارة العدو وما يتبعها من العواقب . وكان هذا الخوف يزداد من جراء الوسائل الحربية المتخذة لان نتائج الوقائع المنتظرة لم تكن مؤكدة . فالتفوق الروسى عظيم وجنودنا شديدو التعب وحلفاؤنا قليلو التأثير .

وقد اخليت مقاطعات الحدود من الشبان الذين فى سن الخدمة العسكرية ورؤى انشاء مواقع حربية فصدرت الاوامر بانشائها . وقد أتلفت المناجم فى بعض جهات بولونيا ، واتخذت التدابير اللازمة لاتلاف السكك الحديد الالمانية والمناجم الموجودة فى جهات التخوم . وقد خابر حاكم المنطقة العسكرية السادسة بناء على طلبي احدى سلطات المناجم فى سيليزيا العليا لاجل تدابير اتلاف المناجم في هذه الولاية واتفق معها على اقتراحات صودق عليها . فنجم عن ذلك استيلاء الرعب على الولاية . وكان من واجبي ان احول دون انتفاع الروسيين بهذه المناجم اطول مدة

ممكنة ، لان المصلحة العسكرية تتطلب ذلك . ولقد اتلف الانجليز فيما بعد بمنتهى الشدة آبار البترول الرومانيــة ، فالفحم ليس باقل خطارة فى فائدة الحرب من البــترول . على انه صار الاقتصار في الواقع على اتخاذ الوسائل التمهيدية بناء على رأى احدى سلطات المناجم المالية .

ولم يكن سكان ولايتنا التي على الحدود من العنصر البولوني مجاملين لنا . بل التزموا خطة التحفظ الشديد منتظرين مجري الحوادث . ولم يكن ليندهش من سلكهم هذا أى انسان بصير .

وبما ان قلتنا العددية واضــحة فقد كان من المهم ازاء المعارك القريبة الحاسمة اخراج كل الجنود والمواد الحربية القابلة للافادة في حرب العراء من حصون بروسيا الشرقية وحصون الجهات الخاضـعة لقيادتنا . وكنا بدأنا منــذ اغسطس ١٩١٤ نشــكل مع مرور الوقت من اللاندســتورم واللاندويهر وانظمة المعاقل المتنوعــة عددا من الفرق مساويا للفرق التي كان اعدها القائد مولتك لمعركة كونيجراتز وتممنا تشكيلها بالفعــل . وقد اطلقت على هذه الفرق ارقام مماثلة لما يطلق على الفرق النظامية ، ولكن هذا العمل لم يغــير جوهر نظامها . ولا يمكن على الخصوص مطالبتها من جهة السير ومن جهة القتال بما يطلب من الوحدات المكونة من الطبقات الحديثة سنا . وغالبا ما كانت تقضي الساعات الحرجة بعدم التمييز . ولقد قامت هــذه الجنود باكثر مما كان ينتظر منها ، فهي جاءت بانفس مالديها في سبيل الذود من بلادها أي عن املاكها ومساكنها .

وضمت الى الجيش الثامن الرابض على تخم بروسيا فرقا من اللاوندبهر وتنظم في سولداو فيلق لحراسة التخم بحاميات حصون الفيســتول وباللاندستورم وهو فيلق زاسترووف المؤلف من فرقتين والذى صار فيما بعد العرض في السابع عشر الاحتياطي . واخذ معقل تورن الذى ذهب احتياطيه العام ـ الفرقة ٣٥ الاحتياطيةـ الى تشنستوخوفو ينظم بالتدريج

احتياطيا عاما جديدا مطلقا عليه اسم فيلق فون ديكهوته . وقداستخدم فيما بعد على شاطيء الفيستول الايمن في اتجاه بلوتزاك . واحتياطي تورن الآن هو لواء الفون وسترنهاجن اللاندستو رمي الذي كان متقدماً في اتجاه بزورا ثم ارتد اثناء تراجع الجيش التاسع الي فلوسلافك

وكذلك معقل بوزن قدم بالمثل احتياطيا عاما وقاده القائد الكونت بريدوف وابلى به بلاء حسنا مع فيلق فروميل في معترك بولونيا . ولم تكن لجنوده اللاوندبهر يه مطابخ سيارة. فهاجموا الروسيين للحصول على هذه المطابخ وحصلوا عليها بحد الحسام ... ويقدم معقل بوزن وولاية بوزن الآن قوى جديدة . وكان احتياطي بوزن الموجود في جهة كاليخ مؤلفاً من فرقة قوية جدا ومزودة بكل ما يلزمها . وقد استخدم حاكم بوزن القائد كوخ ورئيس اركان حربه الكولونيل ماكارد هذه الفرقة بنشاط عظيم

وجب على المنطقة السادسة ان تكون فيلق بريسلاو لاجل حماية التخم شرق كسين . وكان لا بد من مضي وقت على تنظيم هذا الفيلق واستعداده لاقتحام بهرة القتال . ولقد ساعدني القومندان بوكليمبرج مساعدة جليلة في نظم هذه الوحدات الحديثة

- ١٠ -

كلما انعمت التفكير في حل المسألة الجدديدة التي تصدينا لها ازددت بصرا بحقيقة الموقف والخطر الهائل المحدق به وازداد تصميمي وضوحا فيما يختص بالعمل الحربي الذي تقرر في تشنستوخوفو وهو القيام بضربة كبرى تؤدي الى انقاذنا نهائيا من الخطر الهائل . ولا يكفي وقف العدو فقط بل لا بد من افنائه . ولم تجيء هذه الفكرة دفعة واحدة وانما تكونت

بالتدريج . ولقد جمع كل ما استطاع رئيس قيادة الشرق جمعه للهجوم ما بين فريشن وتورن . وبذل القائد كونراد كل ما في وسعه لاعانتنا . وبلغ من ضعف الجيش الثامن انه لم يعد اهلا لتغطية تخم بروسيا الشرقية وقد انشأ له خط ارتكاز مدعم بالموقع المستحدث بين بحيرة سبيردنج وبحيرة ماوير و بالموقع المنظم في انجيراب . وقد تخلى هذا الجيش شيئا فشيئا عن العرضى الخامس والعشرين الاحتياطي الذي كانت خسارته عظيمة ولم نعلم بحقيقتها الا فيما بعد وعن العرضى الاول الاحتياطي والفرقتين الاولى و٣٦ من المشاة . وقد نقلت هذه الجنود الى تورن في اتجاه فلو زلافيك . فاضطر قائد الجيش الثامن منذ هذه الآونة الى ان يعتني بجنوده اشد العناية ليتسنى له الاستيلاء على المواقع الملزم باحتلالها عند مسيس الحاجة . وهذه المواقع من الواجب الاستيلاء عليها بأي مجهود خارق العادة يتحمله الرؤساء والجنود . ومن الواجب ثبات فيلق زاستروف في سولداو لان حياة الجيش الثامن وحظ بروسيا الشرقية متوقفان على هذا الثبات

وكان من المهم جداً ايجاد قوى هائلة هنالك . واذا ما حدث تقدم عظيم من ملاقا في اتجاه خط الناريف روخان — بولتوسك فانه يؤيد تأييدا ناجحا الاعمال الحربية الجارية على ضفة الفيستول اليسرى . ولكن يجب علينا الوقوف عند حد معين لتأكيد نجاح الهجوم الجنبي الحادث على الضفة اليسرى . وبغير ذلك تتمزق القوى . ونكون قد توصلنا الى غرض مهم اذا امكن تقوية فيلق زاستروف الى حد يسمح له بالقيام بحركة ضغط تتمشى فى اتجاه بولونيا الشمالية وايهام العدو الى مدة ما على الاقل بانه سيوالى زحفه. وقد احتشدت قوى روسية عظيمة فى شمال نوفوجيور جيفسك . فمن المهم احتجاز هذه القوى فى مكانها

لنجاح معركة شاطيء الفيستول الايسر . وفى استطاعة معقل تورن ان يجود لتحقيق الزحف المنوى على ضفة الفيستول اليمنى بلواء وستزنها جن الذى صار فيما بعد قسما من الاحتياطي العام الجديد. وهذا اللواء يجب استخدامه فى اتجاه بلوسك بالاتصال مع فيلق زستروف في مشاغلة العدو. ومن الممكن استدعاؤه من بلوسك للاشتراك فى معركة ضفة الفيستول اليسرى .

واستقرت هيئة اركان حرب الجيش التاسع فى هوهنسلزا. وعناصر الجيش الثامن القادمة الى تورن ـ وهي العرضى الاول والعرضى الخامس والعشرون الاحتياطيان ـ تظل تابعة لقيادته . والعرضى العشرون العامل والفرقة الثالثـة من الحرس القادمـة من سليزيا العليا تستقران فى جنوب هو هنسالزا والعرضى السابع عشر العامل فى جنيزن . ويقوم العرضى الحادى عشر بحركة قدمية مابين اوستروفو وجهة فريشين فى البقاع الالمانية. ويشتبك فيلق فرسان فروميل بالخيالة الروسيين ما بين بروسيا وفارتي شرق كاليخ بينما يكون من خلفه فيلق بوزن مشتغلا باحتلال الموقع . وكان اللاندستورم الذى صار فيما بعد جزء من فيلق برسـلاو لا يزال محتلا البقاع الممتدة الى مقربة من فيلون ومن هناك الى منتصف طريق تشنستوخوفو وكرا كوفيا يوجد القائد فو يرش ومعه الفرقة ٣٥ الاحتياطية وفرقة الكونت بزيدوف اللاوندويهرية والفيلق اللاندويهرى وفيلق الحرس الاحتياطى من غير الفرقة الثالثة من الحرس فانها كانت مرتبطة بالجيش الاول النمسوي الممتد الى الفيستول ، وفي جنوب النهر الى جبال الكربات محتشدة بعض الوحدات الالمانية بل متزاحمة مع العناصر الاخري من الجيش الحليف ، وفي الجبال انتشرت قوي جسيمة لحماية المجر .

فيرى مما تقدم ان مواجهة العدو من الجنب لن تحدث الا بخمسة عرضيات

ونصف عرضي اى ان الجبهة الروسية الممتدة على مدخل الوارتا فى الارض الالمانية ستهاجمها قوي غير كافية بالمرة . وكان القائد فوير ش مكلف بالاشتراك فى العمل مع الجيش النمسوي . واذ لم يكن من المعلوم اذا كان هذا الجيش مصمما على الهجوم لان حالته الادبية كانت قد ازدادت سوء عن الاول فقد سئل الجيش الاول النمسوي عما اذا كان في استطاعته الثبات امام هجوم العدو المنتظر فأجاب بانه يثبت في مكانه بالتأكيد ٢٤ ساعة الا ان هذا الهجوم الذي كان متوقعا لم يحدث . والفضل في اصلاح حالة الجيش النمسوي الادبية واشباعه بروح الهجوم يرجع الى كفاءة القائد كونراد الذي كان فى الحقيقة محتاجا الى النجدات الالمانية

ولجعل الهجوم الجنبي شديد الوطأة وتقوية الجبهة اردنا ان نجلب الى الشمال عناصر قوية من مجموعة جيوش فوير ش الا ان القائد كونراد بالغ في الالحاح علينا بعدم الاقدام على ذلك . فاقتصرنا على استخدام الفرقة الثالثة من الحرس الى هوهنسالزا التنضم الى مجموعة الجيش التاسع المعدة للتصادم

واقبل القائد كونراد من الكاربات بطريق السكة الحديد مخترقا سيليزيا العليا الي الجهة الشمالية من تشنستوخوفو ومعه القائد بوخم ارمولي على رأس اربع فرق من المشاة وفرقتين اوثلاث فرق من الفرسان

ولارضاء القائد كونراد عهدنا الى القائد فوير ش ان يكون تحت امرة القيادة العليا النمسوية . .

وبعد قدوم الجنود النمسوية استطاع فيلق برسلاو الجاري تشكيله ان ينضمر بعضه فى بعض قليلا . وهذه الوسائل قوت الجبهة بعض التقوية الى منتصف نوفمبر الا انها بقيت اضعف من الاقتدار على تحمل معركة عظيمة . ولقد قيل فيما بعد ان الجيش النمسوي دافع عن سليزيا العليا وفى الحقيقة

انه انما كان يدافع عن بلاده هو اثناء قتاله فى شمال تشنستوخوفو .

ومن الطبعى ان الانظار تتجه فى مثل هذا الموقف الى جهة الغرب ، فاخذت اسائل نفسي اذا كان حظنا في الغرب سيتيح لنا الظفر فى ايبر أو اذا كان الاوفق اتخاذ خطة الدفاع في الميدان الغربى وتوجيه كل عزائمنا لفض اشكالنا مع الروس بتاتا . وقد اقترح هذا الشطر الاخير القائد كونراد فى نوفمبر . واستصوبت اقتراحه فطلبت من المعسكر العام الاكبر امدادا تستجر من الميدان الغربى . فوعدنا بارسال قوي تزيد على فرقتين من الفرسان ، الا انها وصلت متاخرة جدا وعلى اجزاء في منتهى الصغر . فالمهاجمة الجنبية لاتوصل الى الغرض المقصود الا بتاثير مفاجىء أي بسرعة وشدة وبجمع كثيف وبالتوفيق بينها وبهجوم الجبهة . ولم يكن فى وسعنا ان نرجىء هجوم الشرق ولو اننا كنا لانزال حتى ١٠ نوفمبر معتمدين على وصول النجدات . على ان الوحدات القادمة من الغرب كانت فى حاله من الضعف جعلت اعدادها توازى اعداد الواحدات الشرقية . ومع ان الجبهة البولونية كانت تخالف فى حالتها الجبهة الغربية فقد صارت مثلها فى اوائل الهجوم .

ولم يكن فى استطاعتي ان احكم بناء على المعلومات التفصيلية اذا كنا مع وصول النجدات القادمة من الجبهة الغربية يمكننا ان نشرع فى حركات اخرى . فلا يسعنى اذن ان انتقد الحالة العامة . ولقد كان من رأيي دائماً فى المدرسة الحربية ان كل انتقاد لايكون قائماً على الاعمال التى حدثت تقع تبعته على الناقد .

وبعد ان وصل فيلق فرسان الفون ريختهوفين فى الوقت المناسب لزحفه الى الامام ، جاء فيلق خيالة الفون هوللن: وهو مؤلف من الفرقتين الثانية والرابعة من الفرسان فالحق بفيلق زاستروف . ثم وصل الينا بعد

الابتداء فى الزحف الى الامام العرضى الاحتياطى الثالث وقائده الفون بريلمبر ، وهو مؤلف من الفرقتين الخامسة والثالثة الاحتياطيتين ، والعرضي الثالث عشر بقيادة الفون فابك وهو مؤلف من الفرقة السادسة والعشرين من المشاة والخامسة والعشرين الاحتياطية ، والعرضي الثانى وقائده الفون لانسجن وهو يحتوى الفرقتين الثالثة والرابعة من المشاة ، والعرضي الرابع والعشرون الاحتياطى وقائده الفون جيهروك وهو يحتوى الفرقتين ٤٧ و ٤٨ الاحتياطيتين . فارسلت الى الاماكن المقتضية الامداد حسب الاحوال . فالوسائل التى كنا حاصلين عليها فى مبتدإ الاعمال الحربية أى فى ١٠ نوفمبر كانت غير كافية وعلى الاقل فقد كان من الواجب عدم الاقتصار على وقف القوة الروسية الزاحفة فى منتصف الفيستول نهائياً بضربة فاصلة وحملهم على العدول عن متابعة تقدمهم بل منعهم عن العمل بتاتا . وتتم هذه النتيجة اذا اتيحت ازاحتهم من فارسوفيا . وفى حالة عدم القدرة على تحقيق هذه النتيجة فاننا نقنع بنتيجة اقل من تلك شأناً . وعلى كل حال نكون قد قمنا بمهمة جسيمة

- ١١ -

وقد تقدمت الاعمال الحربية فى نوفمبر بقدر ما كان منتظراً لها فتخطى الجيش الروسى اماكنه فى كل مكان منفذاً الخطط العظيمة التى وضعها الجراندوق

ورأى الجيش الثامن نفسه مهاجماً فحاول بعد تجرده من العرضيين الاول والخامس والعشرين الاحتياطيين ان يدافع بمفرده عن الحد الشرقى من بروسيا الشرقية ازاء هجمات الاعادى المتفوقين عليه تفوقاً عددياً عظيما . الا انه بعد استطالة مدة الدفاع اصبح ثباته فى مكانه مستحيلا .

واذ ذاك سحب من مركزه الى الموقع الكائن ما بين البحيرات المازورية والانجيراب حوالى منتصف نوفمبر

فصار التخلي للروسيين مرة اخرى عن شرق بروسيا الشرقية. ولقد كابدت غصصاً عظيمة من هذا التخلي وهذا أمر مفهوم الا انه كان ضروريا لما اصاب الجيش الثامن من الضعف . فاقتفى الروسيون آثاره بشدة بل لقد هاجموا الموقع الجديد ومع ذلك فلم يك بد من فصل الفرقة الاولى من المشاة والحاقها بالجيش التاسع لتشترك معه فى وقائع غرب الفيستول. فالمطلوب اذن ادراك الغرض المنشود فى اهم موقع وهذا تصميم جرىء

وهوجم فيلق زاستروف فى موقعه الكائن ما بين ملافا ويراسنيخ واضطر الى النكوص الى خط سولداو — نايدنبورج . وبعد معارك قاسية منع العدو من التقدم وتراءت حالة جميع البلاد الكائنة شرق الفيستول معرضة للخطر . وكانت بروسيا الغربية على كل حال فى احرج موقف بيد ان فيلق زاستروف قام بواجبه . وقد مرت بنا ونحن في بوزن ساعات قلق واضطراب . وتلافى الحالة وصول فيلق فرسان هوللن الى الجناحين فى منتصف نوفمبر ووصل لواء الفون وستر نهاجن اللاندستورمى الى بلوتزك . وقد نقل فيما بعد الى ضفة الفيستول اليسرى . وفى خلال هذه الحركات تمت تعبئة الجيش التاسع . وقامت السكك الحديدية بكل ماطلب منها . وفى مساء ١٠ نوفمبر كان هذا الجيش مستعدا للزحف فى الاتجاهات الآتية : العرضي الخامس والعشرون والعرضى الاول الاحتياطيان فى جنوب تورن فى اتجاه فلوزلافك — لوفيتش . فيلق فرسان الفون ريختهوفين والعرضي العشرون العامل والفرقة الثالثة من الحرس فى جنوب هوهنسالزا فى اتجاه كوفنو والعرضى السابع عشر فى الجنوب الشرقى من جنيزن في اتجاه لانتشيتزا . والعرضي الحادى عشر

في شرق فريشين في اتجاه كولو ر ـ دومب . وفيلق فرسان فروميل ما بين اونيباوف وسيرادز في اتجاه لودز . وفيلق بوزين ما بين كاليخ وسيرادز في اتجاه لاسك . ولم يكن ينتظر نفع كبير من جانب لاندستورم فيلق برسلاو ولا من الفرق الخيالة النمسوية . وكانت قلما توجد في هذه الآونة قوى ثابتة في اماكنها كما انه لم يكن من المنتظر توقع هجوم حالي في اتجاه الجنوب . فالاحتمال الوحيد هو الهجوم على قوة القائد فويرش التي ضغط عليها الروسيون بشدة لم تكن في الحسبان . وقد احتل الروسيون فلوسلافك في منعطف الفيستول . وكانت بقية المواقع لغاية الوارتا لاتزال في بهمة واختباط . وكان الجيش الاول الروسي منتشرا هنالك وقد غطى الضفة اليمنى من الفيستول كذلك . وكان مشتملا على ١٠ الى ١٤ فرقة . وكان من المؤكد وجود ٨ الى ١٠ فرق روسية ما بين الفيستول والوارتا . ومن شمال الوارتا مباشرة تمتد عناصر قوية من الفرسان الروسيين واصلة في زحفها الى الحدود . والسواد الاعظم من الجيش الروسي بلغ الوارتا وهو يكون جبهة متواصلة الامتداد في اتجاه شمال سيرادز ـ نوفو فجهة رادومسك الى الشمال الشرقي من كراكوفيا . وبلغت عناصر أخرى زاحفة في غاليسيا مجري الدوناجيك والتحمت بالقوى الكائنة في الكاربات . ثم حدث وقوف في حركات العدو لان اتلاف السكك الحديد ادى الى النتائج المرجوة . الا ان بعض الشواهد دلت على عزم العدو على موالاة الزحف .

فلم يشأ القائد ما كنزن ان يدع الوقت يذهب سدى بل شرع منذ ١١ نوفمبر في الاعمال الحربية ، ولم يسعنا سوى موافقته . وحدثت من الايام الاول وقائع في منتهى الشدة حافلة بالقتلى العديدين في جهات فلوزلافيك وكوفنو ودومب فأصيب الروسيون بذهول عظيم جعلهم ينكصون على اعقابهم في كل مكان . وبينما كانت اهم عناصر الجيش التاسع

تزحف بلاتلكوؤ الى محطة لودز عن طريق كوليوشكى كان القائد مورجن يستر جنبها من جهة شمال لوفيتخ بالعرضى الاول الاحتياطي. وقد أصيب بضغط شديد فدافع عن نفسه فى بادىء الامر باتخاذ خطة الهجوم، الا انه عدل عن الهجوم ازاء الفيالق الروسية المتدفقة عليه من اتجاه نوفوجيور جيفسك على ضفة الفيستول اليسرى . الا ان هذه الفيالق لم توالى زحفها الا ببطىء من جراء الضغط الحادث من جهة ملاقا .

واخيراً تغلب قلب الجيش التاسع المؤلف من فيلق فرسان ريختهوفن والفرقة الثالثة من الحرس والعرضى الخامس والعشرين الاحتياطى على مقاومة الروسيين واقتحم خط لوفيتخ — لودز واندفع من طريق برزيزيني الى الامام بسرعة فى اتجاه الجنوب . ولم يلتفت فى زحفه الا الى امامه وهو يجد فى طلاب النصر المبين . وقد صدر أمر من رئاسة الجيش التاسع الى القلب المجد فى زحفه . ولي علم بهذا الامر ، بالتوطن فى سيكيزنييفيتس الا انه لم يدركه : فلبثت بقية الجيش متاخرة جدا . : قد التقت العرضيات العشرون والسابع عشر والحادى عشر فى يوم ١٧ بقوى عظيمة من الاعداء في شمال لودز واشتبكت معها فى القتال . ولم يتقدم فيلق فرسان فروميل وفيلق بوزين الا ببطء على ضفة الوارتا الشرقية . وافادت اشارة مستجرة من التلغراف الاثيري ان الروسيين يفكرون فى مغادرة لودز فعظم سرورنا لهذا النبأ . الا ان اشارة جوية أخرى افادت تصميم الجراندوق ذو الارادة الحديدية على ابقاء فيالقه فى اماكنها . فاصابنا هم عظيم من تلاشي احلامنا .

وصدرت الاوامر الى الجنود الروسيين الرابطين على ضفة الفيستول اليمنى ماعدا العناصر المختلفة فى ملاقا باجتياز النهر . ومن حسن الحظ ان

هذه الحركة لم تتم الا ببطء ولولا هـذا التباطؤ لكانت حالة القائد مورجن اشد خطرا .

وتجمعت القوى الروسية المهزومة المساقة عن طريق سكيبيرنيفيتس الي فارسوفيا عند مابلغت غرب هذه المدينة المحصنة مباشرة ، وشرعت في العودة الى الزحف مرة أخرى . واحتشد الجناح الروسى الايمن حول لودز ، واقبلت عناصر من الجبهة الروسية الساكنة من الجيش الثانى والخامس الروسيين زاحفة فى اتجاه كوليوشكى بل الي غرب لودز بالمثل فالتقت فى اتجاه الشمال بعرضينا الحادى عشر الذي فجأه هـذا الزحف فاصيب بضغط شديد .

واستمر العرضى الحادي والعشرون الاحتياطى بعـد ان وصله مدد قوى في زحفه تحت امرة قائده الماهر الفون شافريو ياديلي ورئيس اركان حربه الكولونيل ماسوف حتى تقـدم يوم ٢٢ الى مايلي برزيزينى بمسافة طويلة . واقتربت عناصر من فيلق فرسان الفون ريختهوفن من بيتروكوف ومن توماخوف . وانتشرت فرق المشاة الموجودة في جنوب لودز الشرقي نحو الغرب ، فعظمت الآمال . واذ ذاك تغـير منظر الموقف . فقـد زال الارتباط من بين العرضي الخامس والعشرين الاحتياطى والعرضى العشرين العامل ولم ينهزم العدو بجوار لودز . بل صد العرضي العشرين وانساب ما بين جناحى العرضيين الداخليين . وتقدمت عن طريق سكيبير نيفيتس فى اتجاه برزيزينى العناصر التى تجمعت ثانية غرب فارسوفيا من غير ان تجد ادني عائق في طريقها . فانفصل العرضى الخامس والعشرون والعناصر الاخري الملتحقة به عن بقيـة الجيش اذ هاجمتها من جهة الجنوب عناصر الجيش الخامس الروسي المتقدمة الى محطة كوليوشكى . وقدشغلت الوقائع الحادثة فى هذا الجانب الفرقة الثالثة من الحرس التى يرأسها القائد ليتزمان والعرضي

الخامس والعشرين الاحتياطي وفيلق فرسان الفون ريختهوفن وهي مشروحة بايضاح واف في كتاب وضعه اليوزباشي فون وولفين احيل القارىء اليه. وعلمنا من اشارة لاسلكية التقطناها من مخابرات العدو الجوية ونحن فى بوزين على مقربة من المعترك ان العدو يعتبر القتال الدائرة رحاه الآن سينتهي في مصلحته وان استعداده عظيما جدا للوقائع الفاصلة وانه شديد الفخر بما يدور في خلده من اسره عدة عرضيات المانية ، بل لقد اعد القطارات اللازمة لحمل الاسرى ولا يسعني ان اذكر كل ما كنت اشعر به اذ ذاك . فاى شيء معرض للخطر ؟ ليس المهم الاستيلاء على عدد عظيم من الجنود الشجعان الذى سيقترن بافتخار العدو فقط بل المهم هو اخفاق حملة باسرها ! فلم يبق بعد هذه الهزيمة سوى رد الجيش التاسع الي الخلف. فكيف كانت تصير خاتمة ١٩١٤ ؟

الا ان حادثة برزيني انتهت بتأثير باهر للسلاح الالماني . وذلك لان الجنود الالمانيين المحصورين اخترقوا فى الليلة الواقعة ما بين ٢٤ و ٢٥ نوفمبر طريقا لهم فى اتجاه الشمال، وأسروا اكثر من ١٠٠٠٠ أسير وعدداً عظيماً من المدافع . والعناصر التى تخلصت حصرت بين العرضيين العشرين العامل والأول الاحتياطي. فقد كانت ممتدة بينهما جبهة متصلة انكسرت امامها وثبات الروسيين الشديدة .

على اننا لم نصب الهدف الاعظم المقصود من هذه الحملة وهو سحق الجيش الروسى المحتشد فى منعطف الفيستول ، وذلك لعدم توفر القوى لدينا .

وفى غضون ذلك أصدر القائد كونراد امره بهجوم جيش بويهم ارموللى وشطر الجيش الألماني الموضوع تحت امرة الفون دويرش والجيوش النمسوية الموجوة فى الجنوب الي كراكوفيا . وقد تتوجت

الوقائع التى حدثت بعض الانتصارات المحلية الاان حدتها لم تلبث ان تلاشت ، فلم تكن لها قيمة عسكرية مذكورة

وظل الروسيون الى آخر نوفبر يضغطون بشدة عظيمة على الجيش التاسع كما انهم لبثوا يوالون هجومهم فى الجنوب بدون ان يحصلوا فى اية جهة على فوز عظيم .

وعنت لي الفرصة مرة اخرى فى آخر نوفبر واول ديسمبر لاعادة التفكير في خطة الهجوم القديمة وذلك بمناسبة وصول الفرقة الاحتياطية الاولى من الجيش الثامن ووصول النجدات القادمة من الميدان الغربى اخيراً ، ولكننى عندما فكرت فيما سانيط بهذه القوى القيام به تبادر الى ذهنى وجوب دفع هجمات الاعداء ولا سيما ماهو موجه منها الى الفيلق الاولى الاحتياطي .

ونجح فيلق زاستروف فى الاستيلاء على زبيخانوف وبزاسينخ وذلك لان الروسيين كانوا قد نقلوا شطراً من قواهم الموجودة فى هذه الجهة الى ضفة الفيستول اليسرى ، الا ان فرق الخيالة لم تتماد في تقدمها لان الجو اصبح غير موافق ، والجياد لم تحسد حدوة الشتاء . وبعد قليل بدأ العدو فى دور الكر ، فاضطررنا الى الانثناء الى مالافا . وتجددت فى منعطف الفيستول وقائع فى منتهى الشدة .

ووضع العرضيان الثالث الاحتياطى والثالث عشر العامل تحت امرة الجيش التاسع وارسلا الى اقصى جناحه الايسر . وخرج مركز العرضي الاول الاحتياطى اقتحمت هذه العناصر الهيجاء حال وصولها . ولم يكن ثمت عمل مشترك . ولقد كنت احسن اكثر مما فعلت لو انى عمدت الى تشكيل هيئة جيش جديد تحت امرة رئاسة القيادة الشرقية لما ينجم عن مثل هذا العمل من التاثير العظيم في سير الحركات العسكرية .

وبعد هذا المدد اصبح جناح الجيش التاسع الايسر قويا الى حد ان لم يعد مجال للخوف ، فاستطاع ان يتقدم بتؤدة خلال مواقع الاعداء في اتجاه بزورا ، غير ان القتال الناشب اذ ذاك لم يعد حد الوقائع الجبهية فلا يوجد التفاف من النوع المتسع . وكنا نستطيع فى الوقت نفسه ان نهاجم الجبهة المنحدرة الى قوة الفون فويرش . فقد ارسلت قوة العرضي الثانى العامل الى جنوب سييرادز وارسلت الفرقة ٤٨ الاحتياطية مدداً لجبهة فيلق برسلاو . وقد صحبت وثبة العرضى الثاني العامل بالنجاح الكامل في مستهل ديسمبر ، اذ تمكنت من التقدم السريع فى اتجاه لودز . ومن سوء الحظ ان هذا الزحف لم يجىء منذ خمسة عشر يوما من قبل .

واخلى الروسيون لودز فى ٦ ديسمبر واعتصموا خلف اليازجا . وكذلك استولينا على بقاع فى الجنوب لان الروسيين كانوا قد اضعفوا مركزهم هنالك منذ منتصف نوفمبر رغبة منهم في الاحتفاظ بلودز وفي ١٥ ديسمبر استولى الجناح الشمالي على لوفيتيخ ، وكذلك جرت جملة وقائع ظافرة فى الجبهة الا انها محلية .

ولقد تفاقمت الحالة فى جنوب كراكوفيا حول اواخر نوفمبر . فالحفت القيادة النمسوية فى طلب فرقة تقوي بها جبهتها . فارسلنا اليها على غير رغبتنا الفرقة ٤٧ الاحتياطية . وهذا العمل يعتبر خطأ من الوجهة النظرية ، وقد دلت الحوادث على صدق حدسنا . على ان الفرقة وصلت في وقت القتال تماما . وكان القائد كونراد يريد الاحداق بجناح الروسيين الجنوبي من جهة الكاربات . ولوصوله الى هذا الغرض اضطر الى ترقيق جبهته بدرجة عظيمة . وتمكن بمعركة ليمانوف — لابانوف التى تراجحت فيها الكفتان مراراً ما بين ٣ ديسمبر و ١٤ منه من قهر الروسيين فى غرب دوناجيك ، فكان هذا التغلب نجاحا عظيما للجيوش النمسوية بعد الشدائد

التي مني بها منذ بدء القتال .

وقد ارتدت الجبهة الروسية من جراء تقدمنا المتوالي في بولونيا وغاليسيا الى ماوراء البزورا ـ قطاع رافسكا ـ وهو مجري البليتزا الاعلى والى ماوراء النيدا والدوناجيك .

واصطدمت حركة الالتفاف القائم بها القائد بورويفيك في الكاربات بين السان والدوناجيك بعد مدة وجيزة بقوى من الاعداء اغرز عددا ، وشرعت هذه القوى نفسها فى اتخاذ خطة الهجوم . فنجمت حالة جديد اخذت تنمو لتكون ذات شأن عظيم في حوادث ١٩١٥

وحدثت فى منعطف الفيستول ولا سيما امام جبهة الجيش التاسع وقائع محلية متعددة . وكنا فى هذا الحين قليلي العلم بحرب الخنادق . فكانت معاركنا الميدانية كثيرة جدا . فرأيت ان انداخل فى الامر بصراحة عظيمة كما اعتدت على ذلك فيما بعد . فقد رايت الخسائر اخذت تفدح حتى لم تعد تتناسب مع الفوائد الناجمة عنها وهذا امر يجب ان تهتم به القيادة العامة .

واحتل الروسيون على ضفة الفيستول الشمالية بلوزك وتقدموا الى مرتقى فلوزلافيك[١]. الا اننا استطعنا المحافظة على قمم الضفة اليمنى الناهضة شرق المدينة والمشرفة على السكة الحديد. ومد الجيش التاسع جناحه فوق قطاع كبير فلم نر بدأ من الاهتمام بهذا الامر ، على ان مياه الفيستول لم تجمد فلم يتعرض الجيش التاسع للخطر . وبقيت الحالة على تخم بلادنا الجنوبى شرق الفيستول كما كانت . واستطاع الجيش الثامن ان يحتفظ بمواقعه المتدرجة بفضل المعارك الشديدة التي انشبها بغير انقطاع . وتقدم الروسيون قليلا فى جزء من موقعنا الكائن بين البحيرات الازورية ولكنه تقدم محلي غير مهم . وتتابع العمل فى كل مكان لتنظيم المواقع الجديدة . وفى غضون الاعمال

الحربية بذلنا الجهد فى اعادة مد السكك الحديدية التى اتلفناها بطريقة علمية ، الا انها اقتضت مدة طويلة لان الجنود كابدوا مشقات عظيمة فى مدها اوصلتهم الى حد الضعف . ومما يؤسف له ان هدايا راس السنة لم تصل الى الجنود فى اوقاتها بسبب تعطل السكك الحديدية . واستغرق اصدار المنشورات اللازمة لادارة بولونيا التى احتللناها وقتا طويلا منا ، والخوض في صددها لاشان له اليوم . ولم تصب البلاد بما يدعو الى تبرمها بالرغم مما قمنا به من التفتيش عن المواد الثمينة الاولية اللازمة للحرب عملا بما يقضي به موقفنا الحربي .

وجرت المفاوضة مع النمسا في تحديد منطقتي المراحل. وقد استدعت الاتفاقات التى ابرمتها في هذا الصدد فى شهر سبتمبر احداث تعديلات حديثة. الا ان المعسكر العام الاكبر و برلين تداخلا في المفاوضات الجارية بطلب من النمسا بلا ريب وهو تداخل قليل الجدوى لانهما لا يعرفان شيئا من حقيقة الحالة الجارية فى الجبهة الشرقية . ولكنه امر لا فائدة له الآن بالمثل . واضطرني مركزي الى النظر فى شؤون متنوعة ما بين حربية وسياسية فكان هذا الامر ادعى الى سأمي منه الى ارتياحي .

ولم يلبث الفخر الذي ادركناه بما آلت اليه الحوادث الاخيرة ان قلت قيمته على اثر ما حدث من التطور الفجائى. وذلك ان الجيش النمسوي لم يكن موفقاً فى الصرب . فانه بعد ان تقدم فى اواخر نوفمبر بسرعة عظيمة داخل البلاد وسقطت في قبضته بلغراد فى ٢ ديسمبر وادى سقوطها الى تحمس النمسا عاد هذا الجيش الى مغادرة تلك البلاد على اثر الاستيلاء على لودز ومعركة ليمانوفا . فالعساكر النمسوية لم تكن آلة قتال يوثق بها . لقد استخفوا فى بادئ الامر بخصومهم ثم اكبروهم فيما بعد الى ما فوق حقيقتهم .

لقد كانت حياة التمازج والوئام سائدة هيئـة اركان الحرب فى قصر بوزين . فاننا صرنا نشترك في القلق عند اضطراب الموقف وفي الفخر عند حدوث الفوز . واعتدنا على البقاء مجتمعين مدة وجيزة بعد الانتهاء من اكلة العشاء كل مساء . فنجلس حول مائدة مستديرة وضعت فوقها نخلة مهداة من جلالة امبراطورتنا وهى المـانية صادقة الوطنية اشعر بعاطفة الاحترام العظيم لها. وهذه الهنيهات عندي بمنزلة فرصـة للراحـة من عناء العمل الموصول فى غضون اشهر القتال التى تقضت الى هذا الحين .

لقد انتهت مكافحة عظيمـة وأخذت تتكون حوادث جديدة . فنجت المانيا والنمسا من خطر الاغارة الروسية ، وفشلت مشروعات الجراندوق برمتها. فذهبت معها احلام دول الاتفاق فى الانتصار المبين الذي كانت تمنى به نفسها في مختتم ١٩١٤ . ولم يكن التخلى عن شطر من شرق بروسـيا الشرقية وجزء كبير من غليسيا سوي امر تافه في جانب بنتيجة التى حصلنا عليها .

ان جنودنا الذين لبثوا من مستهل اغسطس يكافحون على التوالى او القوموں باعمال عظيمة ازاء خصم متفوق عليهم تفوقا يعادل الضعف قد تخطوا حدود كل ثناء عليهم واعجاب بهم ، وكان لا بد من وجود أمثال هؤلاء الرؤساء وهؤلا الجنود للقيام بامثال هذه الاعمال المتناهية فى الجرأة: فالمجد وخلود الذكر لجيش المـانيا المجاهد فى ١٩١٤ !

معركة الشتاء المازورية

فى فبراير ومارس ١٩١٥

ان حملة ١٩١٤ لم تؤد الى انهاء الامر، ولست ادرى كيف يمكننا التوصل الى انهائه فى ١٩١٥ . وقد تألفت فى اواخر العام اربعة فيالق واعدت للاشتراك فى القتال فى فبراير وصار تدارك اوجه النقص التى اسفرت عنها تجارب التشكيلات التى تمت فى ١٩١٤ . وامكن الحصول على وحدات قوية الكيان يجعل اساسها قائماً على خيرة الضباط وضباط الصف الذين اشتهرت براعتهم فى المعارك السابقة . وكذلك صار انتقاء كبار موظفى هذه الوحدات من ذوى الجدارة والخبرة الواسعة . ومن الطبيعى ان رغبتى كانت تتجه الى توجيه هذه الفيالق الاربعة المستحدثة الى الشرق لمواصلة ازعاج الروسيين واضعاف قوة دفاعهم بقدر ما يسمح به مجهودنا . ولهذا كنا نريد ان نضرب ضربة جديدة فى بروسيا الشرقية. وكذلك كنا نريد ان تقوم بمثل هذا العمل فى الكاربات لو كانت النمسا قد عنيت بسككها الحديدية اثناء زمن السلم

واخذت القيادة النمسوية العليا منذ أواخر ١٩١٤ تتخوف من سقوط برزيميسل فى الربيع وتتوقع اغارة قوة معادية عظيمة على المجر. وكان الروسيون استتبعوا موانئهم جيش القائد بورويفيك حتى بلغوا اعلى قمم الكاربات. فاراد القائد كونراد ان يتخذ خطة الكر فى نطاق واسع ينقذ به الكاربات وبرزيميسل فى آن واحد . ولاح لى وجوب تعضيد الجيش النمسوى فى الكاربات ولا سيما اذا لم يكن من المستطاع مهاجمة الجيش الروسى بشدة فى اية جهة اخرى . وكان من المشكوك فيه

مهاجمته في بروسيا الشرقية لاننا لم نكن نعلم اذا كانت الفيالق الاربعة ستتيسر لنا وفق رغبتنا . فطلبت من القيادة الشرقية ارسال جنود الى النمسا . وبما ان الجيش التاسع يحتل قطاعاً ضيقاً نسبياً واعداد المواقع قد انتهى ، وهذه الحملة قد افهمتنا ان حرب المواقع لا تتطلب من الجنود الا عدداً اقل بكثير مما تتطلبه حرب الميدان فقد صار من الميسور اخذ عدة فرق من الجيش التاسع واستخدامها فى جهة اخرى. ولم اعد راغباً فى مباشرة الهجوم فى بولونيا او فى جنوب البيليتزا . وعلى ذلك امكن تخصيص الوحدات الآتية لتقوية الجبهة النمسوية وهي : العرضى الثانى العامل والفرقة الاولى من المشاة والفرقة ٤٨ الاحتياطية بلواء مؤلف من ثلاثة الايات صار تحويله فيما بعد الى فرقة الحرس وبالفرقة الخامسة من الفرسان. ثم تيسر سحب وحدات اخرى من جهات مختلفة ووضعت تحت امرة الرآسة الشرقية العامة كاحتياط .فاذا توصل القائد كونراد بالقوى المذكورة ان ينفذ خطة الهجوم المنوية يكون عمله هذا خيراً من اتخاذنا خطة الدفاع الهجومى .

وعمد القائد كونراد الى اضعاف القوى المحتشدة على حدود الصرب الى آخر ما تسمح به حالة الدفاع هنالك ناقلا كل ما امكن نقله الى الكاربات، وكان همه ان يوجه مجهوده الاعظم الى برزميسل يحشد قواه ما بين ملتوي، اوخوك وملتوي دوكلا، بينما تكون الجنود الالمانية المحتشدة فى الشرق لمضدة بالتشكيلات النمسوية المستحدثة والمطلق عليها اسم جيش الجنوب الالماني والمتولى رآستها القائد لنسنجن وهو رئيس في غاية البراعة والشجاعة سائرة فى اثر القوى الاساسية الزاحفة على برزميسل ومغطية جنبه الايمن

وكان جيش الجنوب الالمانى أضعف من ان يقوم بحركة التفاف

فالواجب اذن تحركه من بيكوفينيا الا ان سكتها الحديد لم تساعد على اتمام هذه الحركة

وفى اثناء البحث فى هذه الاعمال الحربية اذا بى وقد فوجئت بتلغراف من المسكر العام الاكبر يشعرنى بتعييني رئيس اركان حرب لجيش الجنوب ولم يشأ القائد الفيلد مارشال هندنبورج التخلي عني . فكتب مراراً الى الامبراطور يرجو منه تركي فى وظيفتى التى اشغلها . على اننى ودعت هياة أركان الحرب كما فعلت سابقا فى انستربورج وسافرت الى محل عملى الجديد وانا على اتم اعتقاد بعودتي قريبا الى مركزي الاول

و فى اثناء اجتيازي الكاربات تباحثت مع القائدين كونرادوفالكنهاين فى برسلاو . فتمت المصادقة على تفاصيل الاحتشاد والحركات العسكرية .

ولقد استقبلنا فى هنغاريا ، كما استقبلنا فيما بعد فى ترانسلفانيا عند تحريرها ، بمنتهى الحفاوة والحماسة . الا ان عاطفة الابتهاج بنا لم تلبث ان زالت عند ما اتممنا ما كان ينتظر من قدومنا . وعمد المجريون الى اتيان كل ما يبغض جنودنا فى البقاء بين ظهرانيهم . ولا مشاحة في ن المجريون شعب عظيم قوي الا انه لا يقوم بواجب المحافظة على المصالح المشتركة بينه والنمسا ولكونه يمثل اكبر عنصر فى مجموع الدولة النمسوية فقد انتهز هذه الميزة ليستخدم سياسة الدولة فى مقاصد عدائية ضد السربيين والرومانيين ومن سوء الحظ اننا تركناه يتبع هواه

وكان مقر المعسكر العام لجيش الجنوب فى مونكاكس . فانطلقنا القائد لنسنجن وانا من هنالك نطوف منطقة الاحتشاد ونختلط بهيئات اركان الحرب المجاورة لنا وبالجنود النمسوية الموجودة من قبل فى الجبل وصارت جزء من جيش الجنوب . وكانت الجنود غير معتنى بها

والمواقع غير منظمة وكذلك الثكنات والمستودعات . فأمامنا مجال فسيح للاعمال التحضيرية

وبينما انا اجتاز احد الايام الجبال المكسوة بالغابات اذا بي امام حارس فلما سألته عن نقطته اجابني بلغة اجنبية لا اعلم لها كنها وكذلك الضباط النمسويون الذين صحبوني لم يفقهوها . فتمثلت لي الصعاب التي يكابدها هذا الجيش المتبلبلة السنته ، وهي صعوبات يمكن ادراك شدتها اذا علم ان هذه العناصر زجت في الآلايات ليأمن مغبة انفراد بعضها عن بعض فقد سلمت آلايات كاملة من التشيك والرومانيين الى العدو . على ان هذه الوسيلة لم تكن ناجعة ولم ينجم عنها سوى اضعاف شأن الآلايات الجرية الجريئة والآلايات الالمانية المتناهية في التضامن والاحكام . ولاحظت هنا كما لاحظت من قبل في نوفوساندك في سبتمبر سنة ١٩١٤ ان الاهالي ماعدا الطبقة السائدة مجردين من التثقيف والتنوير . وزرت يوما قرى الهوزوليين فتأثرت من حقارة مساكنهم . فثمت فرق كبير بين دور هؤلاء المساكين وبيوت الفلاحين الالمانيين الذين بفضل عناية امرائهم بهم يقطنون مآوي حسنة جدا وقد غذيت عقولهم بالمعلومات اللازمة لهم في اعمالهم ، فما ابعد حضارة الارياف الالمانية عن ارياف النمسا والمجر ! ولا غرابة اذا كان الهوزوليون لا يدرون لماذا يحاربون . لقد اهملت النمسا في زمن عملها شؤوناً جمة . ولو كانت النمسا اعتنت بشعوبها وجنودها في زمن السلم نصف عناية المانيا لما احتاجت في مثل هذه الآونة الى الاستعانة بنا ، بل لقد كان في وسع الميدان الشرقي ان يوجه يكثير من وحداته الى الميدان الغربي . ولقد تبرمت النمسا من عدم انتصارنا في فرنسا اثناء ربيع سنة ١٩١٤ ومن تركها وحيدة امام تفوق الجيوش الروسية . وعلى كل حال لقد كان من شؤم طالعنا ان نحالف حكومات عجافا كالنمسا والدولة العثمانية . وقال أحد يهود رادوم لواحد من ضباطي انه لا يدري كيف

يعيش جسد ممتلىء بمثل هـذه الحياة و بمثل هـذه القوة لصق جيفه . وهذا الاسرائيلى على حق فى قوله الا اننا لم نجد لنا حلفاء اقوياء . ونحن لم نستطع بث الحياة والقوة ولو الى مدة وجيزة فى اجساد حلفائنا العجاف ولم اعلم حالة النمسا الا فى خلال الحرب ، فدهشت عند ما رأيتها فى مثل هذا البؤس والانحطاط . فولاة امورنا الذين تقع عليهم التبعة كانوا يعلمون ان النمسا هى الانسان المريض فى اوربا ، الا انهم لم يعرفوا كيف يتصرفون فى هذه المسألة . ولقد كان من الواجب مع التزامهم الاخلاص لهذه الحليفة ان يتولوا قيادها بدلا من الجرى وراء سياسة توسعها التى لها الغنم منها وعلينا العزم فيها .

ولم تطل اقامتى فى مونكاكس فقد عدت في آخر يناير الى بوزين . وقد خلفت ورائى عهد اصلاح وتعليم ولم اقصر فى واجب اساسى .

١٢

وفى خلال هذه المدة علم رئيس قيادة الشرق العامة من المعسكر العام الاكبر ان ثلاثة فيالق حديثة التشكيل والعرضي الحادى والعشرين العامل ستكون تحت تصرفه فى النصف الاول من فبراير . وكان المعسكر العام الاكبر يريد ان يرسل فيلقا من التشكيلات الحديثة بدل العرضى الحادى والعشرين الا ان امتداد مدة الحرب جعلت الثقة تقل بالتدريج فى الميدان الغربى من شبان الالزاس واللورين ولهذا استصوب المعسكر العام الاكبر ارسال جنود الالزاس واللورين الى الميدان الشرقى . على انهم عند ما جاءوا الى هذه الجبهة لم تبدر منهم ادنى شائبة والعرضى الحادي والعشرون بالمثل اظهر استبسالا عظيما . وفى سـنة ١٩١٨ نقلت كل الطبقات الفتيـة الى الغرب للهجوم فى الميدان الفرنسوى . ولم يستثن الالزاسيون واللورينيون

من هذا النقل فادى مزجهم بسواهم الى تألم الوحدات من وجودهم .

ولقد وافق المعسكر العام الاكبر على ان تسير العرضيات الاربعة القادمة حال نزولها من القطارات الى اماكن العمل لمباغتة العدو المواجه للجيش الثامن بضربة مفاجئة قوية . ودلت تجارب تاننبرج ومعركة البحيرات المازورية على ان الفوز العظيم السريع لا يمكن ان يتاح الا بالهجوم من الجانبين في آن واحد . ومن الممكن فى هذا الموقف القيام بحركة التفاف في اتجاه تيلسيت — فلاديسلافو — كالفاريا بمجموعة مؤلفة من ثلاثة عرضيات تحشد بين النيمن والطريق الممتدة من انستربورج الي جومبينن وازجاء مجموعة اخرى مكونة من العرضي الاربعين الاحتياطى والفرقه الثانيـة من المشاة والفرقة الرابعة من الفرسان من بحيرة سبيردنج والحدود عن طريق بياللا وسوقها الى ايفانجورود بل الى ابعد منها أى الى اوجوستوف والى الجنوب . وفى الوقت نفسه يستبقى العدو فى مكانه بهجمات جبهية .

وكان الخصم ضعيفا فى جناحيه ، ففي وسعنا اكتساح بقاع واسعة قبل ان تتمكن القوي الاساسية من التخلص من الهجمات الجبهية الموجهة اليها . فمجموعتا حركة التطويق يجب عليهما ان تقبضا على العدو كأنهما قابضتا ملقاط وكلما ازدادا سراعهما فى قيامهما بهذا العمل كانت الفائدة اضمن .

فاذا امكن سحق الخصم يمكن على اثر ذلك مع متابعة عمل التغطية فى اتجاه كوفنو — جرودنو ، الهجوم من طريق خط اوسوفييتز — جرودنو والاستيلاء على معبر البوبر من خلف اوسوفييتز . ويتوقف النجاح على متانة الجناح الممتد ما بين فلوزلافك وملافا وبوهانيسبورج واوسوفييتز .

وفى الوقت الذى يصير فيه القيام بضربة على تخم بروسيا الشرقية الشرقى

كان من المفيد الاستيلاء على اراض فى خط فلوزلاوك يوهانيسبورج فى اتجاه الناريف وكذلك مهاجمة اسوفييتزا. فنسبق الروس حينئذ من سائر الجهات . ثم نرى بعد ذلك اذا كان من الميسور القيام بحركة حربيـة وراء القوى الروسية الاساسية الموجودة غرب الفيستول

ان هذه الخطط تقضي القضاء التام على مقاصد الاعداء المعروفة لدينا. لقد كان الاتفاق لا يزالى راغباً الى عام ١٩١٥ ان يفوز فى الحرب بواسطة الروسيا. فأراد الجراندوق ان يهاجم الكربات بكل قواه وفي الوقت نفسه يقذف بقوات هائلة على جناح الجيش الثامن الذى صار ضعيفاً واختراقه ودفع هذا الجيش الى الوراء وطرحه على شاطىء الفيستول .وتقوم عناصر اخري اكثرها من كواكب الفرسان بغزو روسيا الغربية ما بين ملاوا والفيستول والتغلب على عناصرنا الضعيفة هنالك .فلا بد من الاستيلاء على البقاع الالمانية الكائنة شرق الفيستول وافناء الجنود الالمانية الموجودة فيها . وقد تأكدنا بالفعل من تقوية جنود العدو المواجهة الجناح الايمن من الجيش الثامن فى شهر يناير وربما كان اندفاع الروسيين الى الجهة الشرقية من الفيستول في ديسمبر سنة ١٩١٤ من تفاصيل هذه الخطط. وكذلك الحملة على الكاربات تعد منها . ولكن نجاح اعمالنا كلها كان متوقفاً على بقاء مشرعاتنا في طى الخفاء حتى لا يفطن العدو لها و يتخذ الحيطة اللازمـة لدرء اخطارها.

ولم استطع التحقق مما اذا كان المعسكر العام الاكبر فى حالة تمكنه من الاستغناء عن قوة اخرى من الجبهة الغربية ليوجه بها الي الميدان الشرقى كما فعل من قبل فى شهر يناير . و بالطبع اننا كنا نتلقي كل مدد بالترحاب ولم يتقرر توجيه العناية العظمى بوجه قطعى الي مكافحة الروسيا الا بعد مدة طويلة .

— ٣ —

ولقد ظلت الوقائع المحلية ناشبة فيه هذه الاثناء عند مستويات الفيستول فالى اى حد تستجر هذه الوقائع انظار الروسيين . لا علم لاحد بذلك .
وعلى كل حال فلا ينبغى الاهتمام بهذا الامر مادام جنود الاعداء مطمئنين ثابتين فى مراكزهم . اما اذا تغيرت الاحوال بطوارىء غير منتظرة فهنالك تصبح القيادة فى قلق . وكان لا بد لنجاح مشروعاتنا من افهام العدو باننا سنوالى الهجوم بدفع الجيش التاسع بقوة فى اواخر يناير فى إتجاه بوليموف . وقد جعل المعسكر العام الاكبر تحت تصرفنا لاجل هذه الحركة ١٠٠٠٠ قنبلة من جملتها مقدار كبير من ذوات الغازات الخانقة على اننا لم نشك مطلقا فى الميدان الشرقى من قلة الذخائر الحربية لأنها كانت وفيرة لدينا . اما فى الميدان الغربى فقد كانت الحال على عكس ذلك.
واني حينما كنت رئيس قسم التعبئة فى زمن السلم لبثت ارفع صوتى بوجوب الاكثار من ادخار الذخائر والاستمرار على صنعها حتى تأزف الساعة المناسبة ولكنى لم افز بسؤلى حتى فيما يختص بالارقام المدونة فقط . ولو اجيبت الى سؤلى لظللنا فى حاجة الى وفرة الذخائر وذلك لان الاستهلاك كان عظيما ولكن لعلنا نتغلب فيما بعد على هذه العقبة الكأداء ونتفوق على سوانا فى توفير الذخائر بدلا من بقائنا فى مؤخرة الدول المقتتلة . وقد اهتم منذ اكتوبر عام ١٩١٤ جد الاهتمام بهذه المسألة الضابط باور
و بدأ هجوم الجيش التاسع فى ٣١ يناير . الا ان درجة البرد كانت حائلا دون ان يكون مفعول الغازات الخانقة ناجما ، وهذه حالة لم تكن معلومة الى ذلك الحين . وكذلك بقية اعمالنا الحربية لم تكن وفق المرام فى هذه الجهة . وكل ما حصلنا عليه هو اسر بضعة آلاف من جنود الاعداء

أما النتيجة الخططية فلا تكاد تذكر الا ان هذا الهجوم كان له تأثير عظيم فى نفوس الروسيين ، ومن هذه الوجهة نكون قد وصلنا الى مقصدنا العسكرى

ولقد اقبلت الينا الفيالق الاربعة المخصصة للهجوم فى الوقت المناسب اذ وصلت فى ٩ فبراير . ونقلنا معسكرنا العام الى اينستربورج فشقت علينا مفارقة بوزين

واخذنا نعد معدات الهجوم على اتم نسق واحكام . وسرنا ان امد الجيش الثامن بوحدات حولت ضعفه الى قوة عظيمة فاصبح الهجوم بفضل تعاضد الجيش الثامن والعاشر عبارة عن نزهة يقابله من الجهة الاخرى كر الجيوش الروسية بشدة متناهية . ولم نكن نعلم الى أى حد يصل مدى هجومنا فى شمال بولونيا .

وابتدأت معركة الشتاء فى ٧ فبراير . وكانت الجيوش تتمتع باعظم قسط من حرية العمل وضمنت وحدة الرأى الفوز بالامل بل لم يشترك اثناء المعركة فى ادارة حركات القتال قائد الميدان الشرقى العام الا قليلا جدا . واضطررت الى التفكير والتدبير فى استمرار الاعمال الحربية وحماية الجوانب .

ولقد كان من اشق الامور اصدار التعليمات اللازمة بشأن استمرار القتال فى مثل هذه الحالة العسيرة ، فقد ثار نوء من الجليد بشدة قلما يشاهد مثله ابتداء من ٤ فبراير . واختفت الطرق وسكك الحديد تحت الجليد واصبح من المتعذر جدا التقدم الى الامام بغير السبل العامة . ولقد كان موقف الروسيين اشد حرجا لانهم كانوا فى اشد الحاجة الى ان تكون جميع مطالبهم امامهم . اما جنودنا فقد حصلت على كل حاجيات الشتاء

وكانت مجهودات الرجال والخيول خارجة عن دائرة الوصف وانها

لحملة خالدة المجد . فقد بدأت رؤس الصفوف تغوص فى الثلوج مخترقة لها طريقا فصادفت مشاقا هائلة ثم تبعها المشاة فركبات المدافع فعربات الذخائر تسحبها جياد تتراوح بين ١٠ و ١٢ . ثم اخذت الصفوف تسير وحدات متلاحقة مصحوبة بالمدافع الخفيفة وصناديق الذخائر الصغيرة .

وبعد بضعة ايام تغيرت الحالة فانقطع تساقط الجليد ومع بقاء الاماكن المرتفعة مكسوة بالدثار الابيض فان المياه اخذت تلتمع في الوهاد . على ان تغير الحالة لم يضر قواتنا التى كانت قد خطت خطوات واسعة فى سبيل التطويق . وقد اصاب جنودنا من الاقوات فى عربات العدو وقطاراته التى استولوا عليها اثناء حركة الالتفاف مقادير كافية لسد رمقهم وهذا من لحظ الحسن الذى لولا تيسره لتعرقلت اعمال الاحداق من جراء قلة المؤن .

وكذلك منيت هيئات اركان حرب العرضيات بمشاق وعراقيل عديمة المثال فقد اكتسح النوء كل خطوط المخابرات التلغرافية والتليفونية وانقطت الصلات ما بين المقدمة والمؤخرة ولم تعد الاوامر تصل الى الوحدات ولا التقارير تبلغ اركان الحرب وتعذر اعداد الوحدات لخوض غمار الوغى . ومع كل هذه الصعوبات فقد امكن اتيان المستحيل .

على ان المعركة لم تسلم كسائر المعارك من الاصطدام بحوادث مزعجة تركت لها اثاراً فى النتائج الفنية الحربيه .

وفى يوم ٧ فبراير كان تقدم جنود القائد ليتزمان حسنا . اذ بلغت في زحفها يوهانيسبورج واجتازت مجرى البيسا من الجهه الشمالية . وفى يوم ٨ استولت على يوهانيسبورج واستمرت زاحفة فى الايام التالية مع تحوطها من جهة آو سوفيتز على رايجرود حيث لاقت مقاومة عنيفة . وقوبل هؤلاء الجنود من او سوفيتز بهجوم قوي ردوه على الاثر . وفي

الوقت نفسه كان قلب الجيش الثامن يتعقب العدو المنهزم على سائر امتداد الجبهة وهو آخذ في الاقتراب من ليك .

ولقد بذل الرؤساء والعساكر جهودهم فى موالاة الزحف بأسرع ما يستطيعون . واما من جهة مجموع الترتيب العسكرى الفنى فقد كانت الحركة تعتبر فى منتهى البطء . واستمرت ليك محفوظة بدفاع الفيلق السيبيري الثالث عنها بشجاعة باهرة حتى يوم ١٤ الذي سقطت فى صبيحته . وافلت هذا الفيلق من المحو بتراجعه الى اوجوستوف خلف بركة بوير العليا .

وبعد سقوط ليك اسرع الجنود فى المضي الى الأمام، ففى الليلة الواقعة بين ١٦ و ١٧ بلغ القائد لتزمان أوجوستوف بعد ملتحم جديد شديد . و بذلت جهدي أثناء هذه المدة فى دفع الجناح الأيمن من الجيش من رايجرود فى اتجاه الشرق عن طريق نايتو الى جنوب أوجوستوف ليهاجم الفيلق السيبيرى الثالث مرة أخرى من الجنب . الا ان الجيش الثامن اعتد هذا المقصد مستحيلا بالنظر لحالة الطرق .

ولاجل تغطية الجيوش من جهة أوسوفييتز — لومجا سحبت من بادىء الامر من صفوف الزحف على أوجستوف الفرقة الثالثة الاحتياطية واللواء الخامس والفرقة ١١ اللاندستورمية بالتدريج لازجائها الى تلك الجهة. فصار من الواجب شق أوسوفيتز والانقضاض عليها . وقد تحقق احتشاد القوى العظيمة حول لومجا . الا ان عناصر العرضى العشرين التى ارسلت الى الجهة المذكورة لم تعد كافية

وفي هذه الاثناء كانت حركة التفاف الجيش العاشر قد تمت بمنتهى الدقة . وفى يوم ١٤ عند ما آذنت ليك بالسقوط كانت صفوف هذا الجيش قد بلغت من شمال غابة أوجيستوف الكبيرة جهة سوفالكى — سايني .

واذ ذاك اخذ الجيش الروسي من جنبه وهو منهزم وارتد الى الجنوب ولقد ادت لنا ادارة الاستعلامات خدمات جليلة بما اذاعته قبل هذه المعركة من الاشاعات المكذوبة التي ضللت الروسيا ودول الاتفاق حتى ظهرت على الروسيا مظاهر الدهشة والذهول من حركات هذه المعركة التي لم يكن لها ادنى علم بتفاصيلها . وهذا سر من اسرار اكتساب الوقائع الكبيرة بقوى ضئيلة .

وحاولت عبثا بعض العناصر الروسية التي تراجعت الى كوفنو ان تهاجمنا من الجنب لتؤخر زحفنا فدفعناها بقوة الي كوفنو -- اوليتا .
وفي مساء ١٤ تراءت سهولة التمادي في حركة الاحداق بالعدو من جانب أوجستوف الشرقي . وفي يومي ١٥ و١٦ اتسع نطاق التطويق وتقدمت طلائع العرضي الحادي والعشرين في طريق سايني أوجستوف في صميم الغابة الكبرى ولكنها اصطدمت بجموع الروسيين المدفوعين من كل جانب والتي اصبحت في حكم الاسار الا ان الجيش العاشر عجل بارسال عناصر من وحداته الى الطرف الشمالي من الاجمة فامتدت الى الجهة الشمالية الغربية من جرودنو . وهنالك اقامت لها جبهة في اتجاه الغرب فسدت بهذه الحركة الجريئة سبيل الافلات على العدو . واندفعت عناصر أخرى من الجنود الالمانيين في الغابة من الشمال ووصلت بعد الاستيلاء على أوجستوف الى ليبسك والبحيرات وراء كراسنيبور و بذلك تم التئام الحلقة في ليبسك .

واتخذ ابدى الروسيون المدافعون عن جرودنو دفاعاً شديداً بما وصل اليهم من الامداد ولا سيما في يومي ٢٠ و٢١ وكذلك وثب المحصورون في الغابة عدة وثبات الا انهم جميعاً لم يثبتوا امام حملات العرضي الحادي والعشرين الذي قاده ببراعة فائقة القائد فريترفون بيلوف الذى قاد فيما بعد

أحد جيوش الجبهة الغربية . وفى الايام التالية بدأت الجموع الكثيفة المحصورة فى غاية اوجستوف تسلم نفسها بعد ان دافعت دفاع المستميت وبذلك انتهت المعركة

-٤-

لقد كانت النتيجة التي اختتمت بها معركة الشتاء المازورية جسيمة وهي تتضمن : ١١٠٠٠٠ من الاسرى وعدةمئات من المدافع ومحو الجيش العاشر الروسى واضعاف مجموع القوى الروسية الى درجة عظيمة

وكان الغرض الاساسى من هذه الاعمال الحربية هومهاجمةاوسوفييتز باعظم قوة فعالة من المدفعية . ولكن على الرغم مما بذله رجالنا من الجهود العظيمة ومن شدة نيران مدافعنا لم نصل الى الغرض الاساسى ، لانه كان لابد لنا من اجتياز قناة البوبر العليا واجتيازها غير ميسور الا اذا جمد ماؤها لشدة جريانه او من المعابر العامة ولا سبيل اليها لان الجسور كانت متلفة ، وفضلا عن ذلك فان وحداتنا لاقت من المتاعب ما اضعف قواها من جراء مقابلة القوى التى استكنت في الغابة الكبرى والفيلق السيبيرى الثالث الذي افلت من ليك ووجد براحاً من الوقت للم شعثه واكمال نقصه واعداد عدته والوقوف ضد قوانا الزاحفة . وبقيت نيران مدافعنا عاجزة عن الوصول الى الآكام المحدقة باوسوفييتز خلف شاطىء البوبر الآخر . وهذا ما شغل بال القيادة العليا وحملها على اصدار اوامرها بالعدول عن مهاجمة اوسوفييتز ومحاولة عبور البوبر

وصار من الضروري ارجاع الجيش العاشر الالماني الى الخلف لاكمال نقصه واراحة رجاله ولتزويدهم بالمؤن لان الجهات التى تقدم اليها لم يعد فيها من الازواد ما يكفى لتموين هذا الجيش . ولقد صدرت الاوامر من

قبل القيادة الشرقية باقامة استحكامات تكون بمثابة دعامة يرتكز عليها الجيش العاشر اثناء ارتداده ، وشرعت طوابير العمال تقيم الاستحكامات بالفعل ، وتركت الحرية للجيش العاشر فى الطريقة التي يرد بها جناحه الايمن والوقت المناسب لهذا الارتداد لان العدو عندما يشعر بهذه الحركة لا يتأخر عن مهاجمة الجناح المذكور بشدة عظيمة

وفى هذه الاثناء سحبت وحدات من الجيش العاشر وارسلت الى الغرب لشدة الحاجة اليها . وما لبث الروسيون ان قاموا فى دورهم بالكر علينا فدارت رحى القتال على حدود بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية واخذت اشكال هذه الكرة تزعجنا فى كل مكان واما من جهة النمسا فان هجوم الجيوش النمسوية لانقاذ برزيميسل لم يكلل بالنجاح لان الروسيين اتخذوا خطة الكر فى اقرب وقت. وعلى ذلك اصبحت جميع الجبهة الشرقية عرضة للهجمات الروسية العظيمة .

— ٥ —

بعد اخلاء اجمة اجوستوف من الاعداء ورفع الجرحي منها سحب القائد ايخهورن جناحى جيشه الى طرفي الاجمة في مستهل مارس ثم اراد ان ينازل الروسيين الذين شرعوا يتعقبونه بطريقة الاحداق بجناحه الايسر حولهم . وهذه الفكرة مستحسنة ولذا اجيز له تنفيذها واحرز فيما بين ٩ و١١ مارس انتصارات باهرة . الا ان الاستمرار على انتزاع وحدات من هذا الجيش وضمها الى الجيش الثامن لم تمكن قائده الباسل من موالاة الهجوم بعد ان انهزم الجيش الروسي العاشر الجديد هزيمة شنعاء بل اقتصر على حرب الخنادق. فشرع الروسيون في الهجوم ابتداء من منتصف مارس الا ان الهدوء لم يلبث ان ساد على هذا القسم من الميدان الشرقى.

وازدادت هجمات الروسيين شدة على الجبهة الجنوبية الا ان القائدين

ليتزمان وشولز لبثا يناضلان و يدفعان جنود العدو عن الحدود البروسية .

واستمر القائد ستالس يتقدم فيما بين البيسا والاورجيتز فى اتجاه الناريف . الا ان الامداد الهائلة التى وصلت الى الرسيين فى هذه الجهة مكنتهم من اتخاذ خطة الهجوم من نوفوجرود . ومع استقدام قوى المانية عديدة الى هذه الجبهة فان اتساعها جعل هذه القوة كلها غير كافيــة للحصول على النتيجة الحاسمة الا ان جنودنا ظلت متقدمــة فيما يلى الحدود الالمانية حتى شهر ابريل .

وكذلك كان الصدام عاماً غرب الاورجيتز من بعد منتصف فبراير واشتد القتال بين الطرفين في كل مكان و وصلت الامداد تباعاً الى الجيشين الملتحمين فاصبح الفوز سجالا بينهما وكانت جنودنا ترتد آونة بخسائر جسيمة ثم تقوم بكرات عظيمة عند ما تتحقق من وهن العــدو وعظم خسائره فتكبده اتلافاً هائلة . وكان مدار هذه الحركات القــائد جالويتز الذي ابلى في الميدان الشرقي بلاء حسنا لانه معتبر من خيرة العسكريين الالمانيين اقداما وعلما وخبرة وذكاء وعلى كل خطوة من خطاه المقرونة بالنجاح كان يتوقف قسط كبير من الانتصار

وابتداء من منتهى مارس ومستهل ابريل دخلت معارك الشتاء فى دور نهايتها لان الكرات التى اعدها الجراندوق والتى كانت دول الاتفاق تجعل لها اهمية عظيمة فى برامج اعمالها الحربية فى سنة ١٩١٥ قد ختمت بالفشل التام . واذ ذاك لاحت للجنود الالمانيين الفرصة التى يتمنونها وهي الاستراحة برهة من عناء الجهاد الهائل الموصوف الذى استمروا على مكابدته حوالى الشهرين . ولقد ادى الجنود واجبهم الوطنى والعسكرى فى هذه المعركة حق الاداء وتسابق الجدد منهم والقدم في احراز اكاليل المجد وقام الضباط والقواد بوظائفهم خير قيام واظهرت القيادة العامة من

الكفاءة والمهارة مالا مثيل له . فمعركة الشتاء عمل حربي بديع

-٦-

لقد حدثت بالمثل وقائع اخرى في جهات قصية عن ميادين الاعمال الحربية الكبرى الحاسمة . ومع انها لم تكن ذات شأن هام فقد شغلت افكارنا . وذلك ان الروسيين كانوا لا يزالون الى مفتتح فبراير محتلين قسما من البقاع البروسية في شمال شرق تيلسيت . فعهد الى القائد بابريتز حاكم كونيجسبيرج طرد الروسيين بوحدات اللاندستورم الموجودة فى جهته تعضدها قوة ضئيلة من المدفعية فاحتل تاوروججين فى ١٨ فبراير الا ان الروسيين شنوا الغارة مرة اخرى على هذه الجهات فى١٧مارس وابلغتنا احدى الاوانس نبأ استيلاء الروسيين على ميميل بالتلفون فطلبت لهذه الآنسة واسمها اريكاروستل الصليب الحديدي من الصنف الثاني ولما كان هذا الطلب مستحيل الانجاز فقد استعيض بمنحها ساعة ذهبية . وبما ان سائر المواقع الاخرى مشغولة بالمناوشات المتوالية فلم يكن في الوسع سوق بعض القوى الى هذه الجهة فامد قائد المنطقة الحادية عشرة القائد بابريتز بطابور واحد فلم يجيء ٢١ مارس حتى كانت ميميل خالصة من اغارة العدو وفى ٢٢ مارس تمكنت قوانا من استرداد ٢٠٠٠ من أسرانا وارسلت الفرقة السادسة من الخيالة الى تلك البقاع فاحتفظت باستقلالها الى المنتهى

واصبح المعسكر العام من منتصف فبراير مستقراً في لوتزين . ولقد عدلت عن القيام بحملات جديدة على اثر انتهاء حملة الشتاء مباشرة . ان جميع البقاع البروسية نجت من اغارة العدو وصرنا نحن المغيرين على الاراضي الروسية وهذا أمر ينشرح له صدري الا اننا لم نكن بعد قد شرعنا في

تنفيذ خطتنا الكبرى التي ترمي الى سحق الجيوش الروسية وانزال الضربة الاخيرة بالروسيا . ولا شك في الخسائر الهائلة التي تكبدتها الروسيا حتى الآن كانت تسهل لنا هذه الامنية السامية . فان الروسيا على غناها بالرجال لا تستطيع تحمل امثال هذه الجراح الدامية مدة طويلة

ان وضع الخطط وتنفيذها ومباشرة الاعمال الفنية استغرق معظم أوقاتي وحملني أوصابا جمة ولا يسعني ان اسرد تفاصيل هذه الامور هنا . على اني وجدت اوقات راحة وصفاء في لوتزن .

وفي اثناء نشوب الوقائع الاخيرة كانت طوابير العمال والبنائين تشيد الاستحكامات اللازمة بهمة لا تعرف الكلل وطالما تعرض رجالها لنيران العدو وهم منهمكون في اداء واجبهم الوطني . وعلى اثر انهائهم اعمالهم في الميدان الشرقي انتقلوا الى الميدان الغربي لاقامة ما يلزم هنالك من معالم الدفاع .

وصدر الينا أمر المعسكر العام الاكبر باستبدال نظام الفرق القديم بنظام جديد يقضي بتاليفها من ثلاثة الايات بدلا من اربعة فتكون الفرقة محتوية على تسعة طوابير بدلا من اثني عشر طابورا . وقد دلت التجارب على ان اضعاف الفرق الى هذا الحد لم ينتج سوى الاكثار من عدد الفرق وهو شكل صوري فائدته المظهرية اكثر من فائدته العملية . واني الآن بعد اعتزال الاعمال الحربية لا ازال من انصار المذهب القديم القائل بتقوية الفرق ليكون تاثيرها اعظم في مجرى القتال

ويرجع الفضل في حفظ ارض الوطن سالما من الاعداء العديدين مع ضعف حلفائنا الى نظامنا العسكري الذي يجب ان يحتفظ السبعون أو الثمانون مليونا من الالمانيين به . والآن ينبغي العلم بما تريد ان تختاره المانيا . فهل تقبل ان تحل جيشها وتنتحر بيدها ؟ اني لا اخال هذا الامر واقعاً

فالماضي يدل على ان الشعب الالماني سيعود الى نفسه ويتذكر ماضيه ويعلم ان الذى يحفظ مركزه الرفيع فى العالم انما هو الجيش العظيم القوى.

حملة صيف ١٩١٥ على الروسيا

لم تتكلل الحملة التى نواها القائد كونراد فى يناير بالنجاح . فبعد ان ادى الهجوم النمسوى الى اجتياح اراض فى الكربات كر الروسيون فضغطوا على الجيش النمسوى ولم يتمكن من موالاة الزحف سوى جيش الجنوب الالمانى الذى يقوده الفون لنسنجن ولولاه لتفاقم الخطب وساء المصير.

ولم تنج بريمسل من الخطر الروسي بل سقطت فى ١٩ مارس. واستمر الجراندوق يحمل على النمسا حتى بعد انتهاء هجمات الروسيين على شرق الفيستول فى اوائل ابريل قاصداً الانحدار من قمم الكاربات الى سهول هنغاريا لفصل النمسا والمجر من ميدان الصدام .

وفى هذه الاثناء بدت على ايطاليا امارات الجنوح الى دول الاتفاق على رغم تسليم النمسا بسائر المطالب الايطالية . وازدادت حالة القوى النمسوية الموجودة فى الصرب حرجا

وفي منتصف ابريل بلغ الحرج فى الكاربات اشده فقد قذف الروسيون جيش القائد بورويفيك الى ماوراء القمة فى حين ان الجيش الالمانى الجنوبي لايزال فى الجانب الجنوبى محتفظا بمركزه ، فلم يسعنا حينئذ سوى ارسال بعض القوى على جناح السرعة لمنع الكارثة الكبرى . وكذلك ارسلنا الامداد الى الجبهة النمسوية في الصرب ، وهذه الامداد ساعدت القائد لنسنجن على اتخاذ خطة الهجوم فى شهر مايو .

وقد اطلعنا المعسكر العام الاكبر على الحالة بتفاصيلها فوافقنا على رأينا وصمم على توجيه عنايته الكبرى الى البدء بالفصل في الميدان الشرقى ،

وهذه تبعة عظيمة تحملها المعسكر العام الاكبر على عاتقه لانه سيضعف قوة الميدان الغربي بالطبع في الوقت الذي اشتدت فيه سواعد البريطانيين والفرنسويين واخذ كتشنر يؤهب تشكيلاته الحديثة لخوض غمار الحرب.

ولقد كان الهجوم وقف في الميدان الغربي بعد وقائع الايبر التي حدثت في نوفمبر واتسعت دائره قتال الخنادق وانعشت الجبهة الالمانية الغربية الوثبة التي قام بها القائد لوخوف الجليل منتحيا وجهة سواسون بالعرضي الثالث كما انعشتها هجمة اخرى قام بها السكسونيون في جهة كراون وامكن بمجهودات عظيمة وضحايا كبيرة منع الفرنسويين من احداث اختراق واسع النطاق فى جهة شمبانيا في شهري فبراير ومارس. فلم يبق لدول الاتفاق من امل الا فى نجاح الروسيين.

وابتدأ ارسال ١٢ فرقة من ٣٢ فرقة التى شرع كتشنر فى حشدها وتدريبها فى مستهل مايو. وكذلك شرعت دول الاتفاق تكثر من صنع الادوات الحربية على اختلاف انواعها، واخذت الولايات المتحدة تصدر المواد الحربية بكثرة الى اعدائنا فكان عملها هذا مدعاة لتألمنا لأنه ممالأة لاعدائنا علينا.

وكان من المنتظر ان يضغط المتفوقون على الجبهة الغربية حينما يستشعرون شدة وطأة الهجوم فى الجبهة الشرقية تنفيذاً عن الروسيين وقد دلت ملاحم الباسيه واراس التى حدثت فى شهر مايو الى اي حد يمو. المعسكر العام الاكبر بتبعة التصميم على الفصل فى الميدان الشرقي قبل سواه

وقد اسندت الى القائد ماكنزن قيادة الجيش الحادى عشر المؤلف من جنود قادمة من الميدان الغربي وعهدت اليه مهاجمة الجيوش الروسية التي تهاجم الكاربات من الجنب ابتداء من مايو تحت قيادة الجيش التاسع الفيلد مارشال الامير ليوبولد البافارى ذو الكفاءة الحربية

عظيمة . وصدرت الاوامر الى قيادة الشرق العامة ان تبذل كل ما فى وسعها لمشاغلة مقادير من الجنود الروســيين فى اماكن متفرقة من الميدان الشرقى

-٢-

يدأ الجيش التاسع عمله بعد راحة كافية فى شهر مارس بالهجوم فى شمال البليتزا فادرك فوزاً محليا الا انه لم يلبث ان تراجع في الاراضى التى اكتسحها . ثم عمد الى تنفيذ خطة المعسكر العـام الاكبر بالهجوم على شكيرنيفيس . وكذلك الجيش العاشر هاجم سوفالكى حسب الامر الصادر اليه .وكانت قد وردت الينا مقادير وافية من الغازات ولم يكن الروسيون قد اتخذوا وسائل لاتقاء مفعولها . الا ان تأثير حرب الغازات لم يكن ناجعا على الرغم من استعمالها فى اوقات هبوب الارياح الموافقـة وذلك لان الجنود لم يكونوا قد اعتادوا بعد على استعمالها ولان المشاة لم يحسنوا المحاربة بها وحدثت تقلبات جوية عكست الغازات فاصيب بها بعض اجنادنا وفضلا عن ذلك فان بقاء الغازات في الخنادق الى ان يصبح هبوب الرياح موافقا لاستعمالها اضجر الضباط والجنود . على ان كل هذه الصعاب زالت فيما بعد وصار استعمال الغازات ناجعا جدا

واحرز الجيش العاشر نجاحا خططيا في جهة سوفالكى الا انني لم اكن اعلم مقدار تاثير كل هذه الحركات المحلية فى خطة القائد ما كنزن وان كان الفن الحربي يقضي بهـا . ولقد كانت المساعـدة التى يراد مساندة القائد ما كنزن بها تصير أعظم مفعولا مما تقوم به الآن لو امكن القيام بوقائع متحركة وهذه الوقائع لاتتيسر الا في شمال النيمن من جهـة ليتوانيا وكورلاندا : فحشدنا عدة فرق من الفرسان وصـلت الينا حديثا من الميـدان الغربي

وبعض فرق من الجيوش المنتشرة على الجبهة الشرقيـة تحت قيادة القائد لاونستاين واطلق على هـذه القوة اسم جيش النيمن . وبدأت الحملة في ٢٧ ابريل .

وزحف القائد لاونستاين بجيشه الذي قسمه الى ثلاثة صفوف . فتراجعت قوى العدو التي كانت مخيمة بجوار تاوروججين منذ أواخر مارس ودارت المعارك بين الطرفين فكان الفوز متراجحا بينهما الا ان قواتنا على الرغم من ذلك استطاعت ان تتقدم ٧٥ كيلو مترا في يومين وان تحتل عدة مدن . فادركنا الغرض من هذه الحملة لان الروسيين جلبوا قوات كبيرة لتقوية مراكزهم المهـددة . وظلت رحى القتال دائرة مدة شـهري مايو ويونيه في جبهة واسعة النطاق اصـبحت قواتنا فيها لاتكاد تذكر ازاء قوات العدو الهائلة فاضطررنا الى استقدام وحدات أخرى من الجيوش الالمانية المختلفة للاحتفاظ بالبقاع والمدن التي صار الاستيلاء عليها ولما اتسع نطاق جيش النيمن بما انضم اليه من العناصر الجـديدة اسندت رئاستة الى القائد أوتون بيلوف . واخلفه فى زئامسة الجيش الثامن القائد شولتز . ولبثنا محتفظين بخط الدويسا بشمن باهظ من الملاحم المتلاحقة . واحتللنا شاولن الا اننا لم نستطع ان نحتفظ بها فغادرناها بعد ان نقلنا من نحاسها المخزون مقادير جسيمة ذات فائدة كبرى لنا .

واستولت جنودنا على ثغر ليباو يوم ٧ مايو بمهاجمته براً وبحراً واسرنا حاميته المؤلفة من ١٥٠٠ جندى ووجدنا هذا الثغر حافلاً بكثير من المصانع الهامة بينها مصانع لحبال الاسلاك الشائكة المشهورة بها البلاد الروسية

-٣-

لقد اخترق القائد ماكنزن فى صبيحة يوم ٩ مايو جبهـة دوناجيك

الروسية بهجمة مدبرة باحكام ومنفذة ببراعة باهرة ابداها الجنود اثناء الاقتحام . وفي الايام التالية صار الاستيلاء على الموقعين الثاني والثالث الروسيين فاضطر الروسيون الى التخلي عن البقاع المجرية والى الانحدار ثانية الى ماوراء الكاربات متراجعين الى جهة الشمال . فنجت البلاد المجرية وتخلص الجيش النمسوي نهائيا من الضغط الشديد الذي كان مصابا به . فازفت الساعة التي كانت تحتم على ايطاليا دخول الميدان في جانب دول الاتفاق وكان جيشها اذ ذاك يبلغ ٦٠٠٠٠٠ جندي ماعدا التشكيلات العديدة المؤلفة من جنود المراتب الاخرى التي لا يمكن اعتبارها من خيرة المقاتلين . وفي سبتمبر بلغ مجموع الجنود الايطالية العاملة ٩٠٠٠٠٠ فهذه الدولة اكسبت الاتفاق عضدا قويا مفيدا

واندفع القائد ماكنزن في زحفه نحو السان قاصدا جاروسلاو فاستولى على مدخل الجسر . واقتفت الجيوش النمسوية الممتدة على الميمنة وعلى الميسرة خطوات الجنود الالمانيين في زحفهم ، وكذلك اندفع جيش الجنوب الالماني هاجما في اتجاه الشمال الى ماوراء ستريج . فامكن استرداد برزميسل من الروسيين في اوائل يونيه .

وتخلى الروسيون في شمال الفيستول الاعلى عن النيدا ليعودوا ادراجهم الى خط الفيستول . وتمكن القائد فويرش في منتصف مايو من ان يتقدم الى كييلس

فأدى هذا الزحف المتتابع من كل جانب الى تراجع جميع الجيوش الروسية الضاربة بين الكاربات والبيلتزا متحملة افدح الخسائر . ولكن جيوش الدول المتحالفة لم تستطع ان تهاجم الجيوش الروسية الا من الجبهة على الرغم من محاولتها الالتفاف حول جوانبها ولا سيما حول الجنب الغربي من جيش الكاربات . واخفق الروسيون كذلك في محاولتهم

الاستدارة حول جناح الجيش النمسوى الايمن فى بيكوفينا . فلم يبق للروسيين بعد ذلك سوى موالاة الارتداد امام ضغط اعدائهم المتوالى

ودعا سوء المواصلات الى وقف الزحف هنيهة عند مجرى السان وفى اوائل يوليه بدىء فى الزحف من جديد وظل الجنود الالمانيون هم المضطلعون باهم الاعباء والمشاق وفى ٢٢ يوليه استردت لمبرج وبعدها بقليل استردت رافا روسكا واضطر الروسيون الى الاستمرار على التقهقر حتى بلغوا البوج . ومن ثم امكن الانحدار بالمثل مع الفيستول الى لوبلن وايفانجورود .

ولقد صرنا نتبع فى معسكرنا العام بلوتزن حوادث غاليسيا باهتمام عظيم لنبني بمقتضاها حكمنا على الاعمال الحربية التى نريد القيام بها ضد الروسيا ولقد سرنا ماعلمناه من الضعف الطاريء على الجبهة المواجهة لنا من جراء سحب قوي عظيمة منها الي جهة النييمن اولا ثم الى ميدان غاليسيا ولبثنا نقتطع من جيوشنا اجزاء متوالية حتى اضطررنا بحكم امتداد الجبهة الى الامتناع عن ارسال أية قوة جديدة الى مكان آخر . وفى شهر يوليه ارسل الينا المعسكر العام الاكبر بعض الايات من التشكيلات اللاندستورمية الحديثة يسرت لنا اتخاذ قوة احتياطية لاعمالنا الهجومية .

ولم تؤد الوثبات الجبهية على الجيوش الروسية فى ميدان غاليسيا الى الانتصار الحاسم على هذه الجيوش على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدتها لانها تتراجع بسرعة شديدة الى مسافات بعيدة عن خطوط مواصلاتنا ولانها كانت لاتزال تكافح فى غير ارضها وتستطيع ان تتخلى عن بقاع واسعة بمحض ارادتها قبل ان تصل الى حدود وطنها . ولم تكن خسائرنا نحن في هذه الهجمات الجبهية مما يستخف به .

ولقد عدنا الى التفكير في انزال الضربة القاضية على روسيا بالزحف على خط أوسوفيتز — جرودنو الذي فكرنا فيه بعد حملة الشتاء رالانطلاق

من هنالك الي لوبجا اذا تيسر . ولقد كان فى وسعنا ان نجمع من ٩ الى ١٠ فرق نضمها الى الجيش الثانى عشر الذى يتولى رئاسته القائد جالويتزلينزل بالروسيين ضربة قوية فى اتجاه التاريف بينما نكون نحن فى زحفنا المتقدم ذكره الذى اذا توفقنا فيه أصبنا الجيوش الروسية المتراجعة فى غاليسيا فى خاصرتها وظهرها . إلا ان هذا الحسبان يجب ان يواجه بما ينتظر من مقاومة معقلي أوسوفيتز وجرودنو الحصنين أعظم تحصين فهذا الهجوم لا يؤدي الى الفصل فى الميدان الروسي وان صحب بانتصار عظيم ولذا لم احبذه للمعسكر العام الا كبر والظاهر ان من الاوفق الاستيلاء على كوفنو من جهة الغرب بواسطة الجيش العاشر وتطويقها فى الوقت نفسه من جهة الشمال بجيش النييمن . واذا ماسقط هذا الحصن الذى يعتبر قاعدة الدفاع الروسي على خط النييمن فان طريق فلنا المؤدية الى مؤخرة القوى الاساسية الروسية تصبح ممهدة سهلة الطروق . فتضطر حينئذ هذه القوى الى ان تطفر خطوة كبرى الى الخلف . واذا وصلت بعض الامداد الى الجيش العاشر وجيش النييمن فانهما ينحدران من فيلنا على الجيوش الروسية ويطعنونها فى جنبها طعنة قاضية تؤدى الى الفصل فى هذا الميدان . واصبح انتقال الاعمال الحربية في ميدان غاليسيا الى الجانب الشرقى من البوج موافقا لمشروعنا .

وارسلنا فرقتين من المشاة وفرقة من الفرسان من الجيش الثامن مددا لجيش النييمن ليقوم بالمهمة الموكولة اليه .

ولقد سهل الهجوم على كوفنو تقدم بعض العناصر الروسية من الآجام القريبة لها فان هذا الزحف المفاجيء اخافنا فى باديء الامر الى ان تبادر هيأة اركان حرب الجيش العاشر الى حشد عناصر مختلفة من فرقه ووضعها تحت امرة القائد بكان الذى طارد العدو ثم عبر النييمن واذ ذاك الحق

مع قوته بجيش النييمن .

وما كانت التجهيزات اللازمة لحملة كوفنو تبدأ الا وقد دعانا جلالة الامبراطور الى بوزن نحن الاثنين الفيلد مارشال هندنبورج وانا فى اول يوليه. و بعد وقوف الامبراطور على رأي الفيلد مارشال هندنبورج قرر جلالته بناء على اقتراح رئيس هيأة اركان الحرب العامة متابعة الهجوم فى بولونيا: وعلى الخصوص قيام الجيش الثانى عشر باختراق جبهة العدو ومداومة التقدم الى الناريف بينما يكون الجيش التاسع والقائد فويرش زاحفين في اتجاه الفيستول وتكون الجيوش المتحالفة مستتبعة تقدمها فيما بين البوج والفيستول .

وكان المعسكر العام الاكبر يذهب الى ان هذه الحركات العسكرية ستؤدى الى طعن الجيش الروسي الذى لايزال موجودا عند منعطف الفيستول طعنة نجلاء . فاضطررت الى ارجاء مشروعاتى الى ان يبلغ القائد جالويز الناريف و يتمكن من القيام بهجوم جبهي . واذ ذاك تكون الفرصة لاتزال سانحة لتنفيذ خطتي . و يساعد تقدمنا فى لتوانيا وكورلاندا على القيام بهذا المشروع وان كنا في الحقيقة لن نستطيع ان نوجه بقوى اخرى الى لنستولي على كوفنو

— ٤ —

طبقا لتعليمات المعسكر العام الاكبر اتخذت سائر التدابير المستطاعة لاجتياز الناريف ولم يكتف باعداد الجيش الثاني عشر وحده لهذا الغرض بل ضم اليه الجناح الايمن من الجيش الثامن. وجمعنا لهذا الهجوم مدفعية كانت تعتبر لذلك العهد كبيرة على الميدان الشرقى ولا سيما على الجيش الثانى عشر .

و بدأ هجوم الجيش يوم ١٣ يوليه . . فاكتسحت فرق القائد جالويتز

أراضي واقعة بين استحكامات الاعداء ومضت في زحفها بغير تمهل . وفى يوم ١٥ استولت على معقل عظيم التحصين فى المؤخرة و بلغت الناريف يوم ١٧ فى حين ان الجناح الايمن كان قد وصل فى الحال الى الشمال الغربي من نوفوجيورجيفسك وحضرنا القياد مارشال وانا المعركة التى نشبت فى يومي ١٣ و ١٤ وسرنا ما رأيناه من رئاسة الجيش الثانى عشر ومن الجنود . وصار الاستيلاء على بولتوسك وروجان فى ٢٣ يوليه وعلى أوسترلنكا فى ٤ اغسطس ، فتم اجتياز الناريف فيما بين الشكفا والبيسا بعد وقائع حادة الا انه لم يستطع ان يحتل شاطىء الناريف الجنوبى الا بقوى ضئيلة على مقربة من مصب الشكفا .

ولقد قاوم الروسيون فى كل مكان اشد مقاومة فتحملوا خسائر فادحة وكذلك تقدم الجيش التاسع والقوة التى تحت امرة القائد فويرش عند منعطف الفيستول . واحتل هذا القائد رادوم يوم ١٩ يوليه واضطر الروسيين الي التراجع على امتداد الفيستول . وعلى اثر ذلك اضطر الروسيون الى التقهقر يوم ٢١ الى البليتزا فيما يلى الفيستول والاعتصام بموقع امام فارسوفيا . فعرضت عناصر الجيش التاسع نفسها للخطر بمهاجمة هذا الموقع الحصين

ولبثت الجيوش المتحالفة تزحف فيما بين البوج الاعلى والفيستول بهجمات جبهية متتابعة .

وكذلك اتخذ جيش النييمن خطة الهجوم فى منتصف يوليه وتقدم كثيراً فى اتجاه الشرق

فعرضت حينئذ على المعسكر العام رأيي فى الزحف على كوفنو بقوى جسيمة نقتطع من قوة القائد فويرش ومن الجيوش التاسع والثانى عشر والثامن لاصابة الروسيين من الخلف . فأصر المعسكر العام الاكبر على

وجهة نظره وامد الجيشين الثانى عشر والثامن بفرقتين مستقدمتين من الغرب فبقيت الجيوش التاسع والثانى عشر والثامن فى اماكن زحفها حافظة وحداتها واعدت وسائل الاستيلاء على نوفوجيور جيفسك وصممنا فى الوقت نفسه على مهاجمة كوفنو تاركين جيش النيمن يوالى زحفه . وبهذه الطريقة تيسر تنفيذ الخطتين فى آن واحد

- ٥ -

استمرت حركات الجيوش المتحالفة فى بولونيا على ان تكون مجرد زحف الى الامام بملاحم جبهية مع محاولة الالتفاف على غير جدوى بالجيش الروسى الذى لبث يتفلت من حركات الالتفاف وصادفته فى ارتداده اودية ذات برك ومستنقعات مكنته من لم شمثه ومقاومة مهاجميه مدداً طويلة استغرقت شهراً أصاب الجنود فى خلالها تعب هائل ونفدت مؤنهم وتمزقت ملابسهم وحفيت أقدامهم وقلت ذخائرهم لان العدو اتلف الطرق وشرد الانعام فيها الطرق لتحول دون زحف جنودنا وأخرج الاهالى من مساكنهم وطردوهم الى منطقة المستنقعات ليضايقوا الجنود وليحولوا دون اشتباكهم بالقوى الروسية . على ان كل ذلك لم تحل دون استمرار جنودنا على التقدم ايضاً وان كان ببطء شديد لانهم ابتعدوا عن قواعد تموينهم وخطوط مواصلاتهم بمسافة تزيد على ١٢٠ كيلو متراً المقررة لابتعاد اي جيش عن خطوط مواصلاته . ولقد صلحت حال الجيش الثامن بعد الاستيلاء على لومجا - اوسوفييتز . ومددنا سكة حديدية بين فيلنبيرج واوسترولنكا واصلحنا الخطوط الاخرى التى اتلفها الروسيون . ولكن كل هذه الوسائل لم تحسن حالة الجيوش الزاحفة فأصبحت الملاحم ضعيفة على الرغم من تضعضع الجيوش الروسية

واستمر التقدم الى الامام تنفيذا لخطة المعسكر العام الاكبر . فسقطت في قبضتنا خولم ولوبلن في أواخر يوليه ولكننا لم نندفع بسرعة فى اتجاه الشرق فوجد الروسيون متسعاً من الوقت لتخلصهم من قطاع التطويق وانحدارهم فى اتجاه الجنوب واقامتهم جبهة جديدة

واستولى القائد فويرش على رأس جسر ايفانجورود الغربى واجتاز الفيستول في يوم ٢٨ على مرأى من العدو

وتخلى الروسيون عن الموقع الحصين الكائن امام فرسوفيا وعن فرسوفيا نفسها فاحتلها الجيش التاسع فى اوائل اغسطس

وعلى اثر دخول هذا الجيش فارسوفيا في يوم ٥ اغسطس صارت قيادته تابعة مباشرة للمعسكر العام الاكبر وضم المعسكر العام القوة التى يقودها القائد فويرش الى رئاسة الامير ليوبولد البافارى

ولقد افعم الاستيلاء على فارسوفيا قلوبنا بحبور عظيم . وفى الأيام التالية اجتازت جنود الامير ليوبولد نهر الفيستول فى جهة واسعة النطاق تمتد بين ايفانجورد وفارسوفيا . وسقطت اوسترلنكابين ايدينا فى ٥ اغسطس وفى هذه الاثناء استولينا بالمثل على سيرو تزك وسيجيرج ودومب. وبهذه الطريقة تم الاحداق بنوفوجيور جيفسك . فعهد الفيلد مارشال الى القائد بنسلر مهمة الاستيلاء على هذه القلعة المنيعة فاصبحت جنود الجيش التاسع والثانى عشر الضاربة حول هذه القلعة تحت امرته . وقد صار امداده بمدافع هونيه من ذوات العيار الاكبر من الطراز النمسوى .

ولقد شغلتنا محاصرة نوفوجيور جيفسك ومهاجمة كوفنو واقتضت أصدار تعليمات تفصيلية جمة على الرغم من اننا لم نكن حاصلين على استقلالنا الذي كنا نتمتع به فى اوائل ١٩١٤ وشتاء ١٩١٥. ومع اختلافنا فى وجه النظر مع القائد فالنكهاين فاننا لم نقصر فى تنفيذ اوامر المعسكر

العام الاكبر بل لقد كنت انظر اليها بنفس العناية التى كنت انظر بها الى تنفيذ مشروعاتى الخاصة .

—٦—

لم يستدع الاستيلاء على قلعة نوفوجيور جيفسك حصاراً طويلا وجهادا عظيما لان الوسائل التى اتخذناها كانت كافية للقضاء على كل مقاومة والتغلب على كل استحكام.

لقد تمت اعمال التطويق يوم ٩ اغسطس وورأى القائد بيسلران يبدأ باقتحام هذه القلعة من جهة حصونها الشمالية الشرقية مع شدة مناعة هذه الجهة لانها موصولة بالسكة الحديد الممتدة ما بين ملافاو زيخانوف وناجيلسك فان هذا الخط يسهل نقل المدافع الثقيلة والذخائر الوفيرة فيوازى هذا التسهيل مناعة الحصون . وفى يوم ١٥ اغسطس بدأ يسليط المدافع الضخمة على الاستحكامات بشدة متناهية ثم هجم المشاة عليها واحتلوها. وعلى أثر ذلك حدث هجوم عام من جهة الجبهة الكائنة فى شمال الفيستول. وتم سقوط القلعة فى يوم ١٩ فسلم الثمانون الف روسى الذين كانوا يدافعون عنها .

وزار جلالة الامبراطور هذه القلعة وهنأ الجنود على بسالتهم وكذلك زرناها نحن الفيلد مارشال وانا . ثم ارسلنا الجنود التى امكن الاستغناء عنها بعد هذا الفتح برضاء المعسكر العام الاكبر مدداً للجيش العاشر غير انها واأسفاه وصلت اليه بعد فوات الوقت . اما المدفعية الثقيلة فصار حجزها لمحاصرة جرودونو . وفى خلال هذه المدة سقطت كوفنو .

وفى اواخر اغسطس اصبحت حكومة بولونيا برمتها فى قبضة الدولتين الحليفتين . فتقاسمت الحليفتان ادارتها فكان من نصيب المانيا فارسوفيا ومن نصيب النمسا لوبلن .

وربما تكون قلعة نوفوجيورجيفسك هي آخر قلعة محصنة تحاصر وتكتسح في اقرب وقت، وذلك لان دور المدن الحصينة قدفات ولم تعد تجدي وسائل التحصين امام المدافع الضخمة والدخائر الغزيرة وليس من الانسانية ان تعرض المدن وسكانها لاهوال حصار لافائده منه وانما يستعاض عن هذه القلاع بخطوط من الاستحكامات الترابية على طول الحدود.

— ٧ —

صار الاستيلاء على لوبجا يوم ٩ اغسطس من الجهة الجنوبية الغربية وكنا قد سلطنا عليها نيران بطارياتنا مدة طويلة وتقدمت الينا التقارير العديدة بان اطلاق المدافع احدث تأثيراً ناجعاً الا انني بعدسقوطها لم أجد أثرالتدمير فيها . وسرني سقوطها لان جنودنا وجدوا لهم فيها معسكرات حسنة توفر لهم اسباب الراحة

ووصلت مجموعة جيوش ماكنزن امام برستليتوفسك يوم ١٨ اغسطس . واستولى الجيش الثامن على اوسوفيتز يوم ٢٢ منه. وكنا نريد اقتحامها من الشمال ومن الشرق فدخلناها من الجهة الجنوبية وهكذا يحدث في الحرب اذ كثيراً ما تجري الامور على غير ما كان متوقعا

وسقطت بريست ليتوفسك في يومي ٢٥و٢٥ اغسطس فاستمرت مجموعة جيوش ماكنزن وليوبولد زاحفين في اتجاه بينسك و بارانوفيستخي

وفي اوائل سبتمبر وصل الجيشان الثامن والثاني عشر الى ناحية جرودنو و بعد خمسة عشر يوما وصلا الى ليدا في شمال النييمن فاستغرقت هذه الرحلة شهرين من ابتداء حملة الصيف ولقد كان من الاوفق والاسهل بدلا من هذه الحركات الشاقة الهجوم من طريق لوبجا وجرودنو

وعلى اثر ذلك لاح لنا ان المعسكر العام الاكبر يريد وقف حملة الصيف عند هذا الحد اذا انتزع عناصر مهمة من جيش القائد ماكنزن ثم من

الجيش الثانى عشر والثامن لينقلها الى الميدان الغربى والى جنوب هنغاريا. ولكنه ترك لنا الحرية فى استتباع الاعمال الحربية التى بدئت بالاستيلاء على كوفنو والتقدم في لتوانيا وكورلاندا .

—٨—

ان محاولة الاستيلاء على كوفنو عمل عسير فلتسهيله عمد الجيش التاسع الى ترقيق خطوطه فى الوسط وفى الجناح الايسر ليحشد فى غرب كوفنو قوات كافية للهجوم . وعهد الى القائد ليتزمان اتخاذ خطة الهجوم بالعرضى الاربعين . وصارت قلة المدافع الهونيـة عقبة كأداء فى سبيل الاستيلاء بسرعة على كوفنو لان المدافع الغليظة التى ارسلها الينا المعسكر العام الا كبر فى اوائل يوليه استغرقها حصار نوفوجيورجيفسك . فلم يعد لدينا لمواجهة كوفنو سوى بضع بطاريات من المدافع المرتكزة على قضبان ولكن هذا النقص لم يمنعنا من الاقدام فمددنا السكة الحديدية اللازمة لنقل المدافع والذخائر . وانتهي مد هذه السكة فى اواخر اغسطس غير ان الذخائر لم تكن وفيرة لدينا فسمحت بما كان لدي احتياطيا منها

وفى ٨ اغسطس كانت سائر الوسائل قد اعـدت . ولم تهاجم قلعة ما من قبل بمثل هذه الوسائل الضعيفة ولكن شجاعة الجنود وذكاء القواد كانا خير عوض عن الاشياء الناقصة .

وابتدأ كفاح المدفعية يوم ٨ ولزم الاسـتيلاء على سلسلة من الاستحكامات بالهجوم المتوالي فى الايام التالية . و يظهر ان قوة الهجوم اخذت تضعف لدى جنودنا غير ان القائد ليتزمان استطاع علي كل حال ان يقترب يوم ١٥ من خط الحصون . ومن حسن الحظ ان الروسيين الذين ادهشهم اطلاق المدافع بشدة لم يبدوا المقاومـة التى كنا ننتظرها منهم . ودخلت فصيلة من جنودنا يوم ١٦ خط الحصون ثم تبعتها وحدات أخرى . وفى

يوم ١٧ اجتاز القائد ليتزمان النييمن واستولى على المدينة وحصونها الشرقية. ولقد كانت غنائمنا هنا اقل مما غنمناه من نوفوجيور جيفسك وذلك لان هذه القلعة لم تحصر من سائر الجهات بل كانت متصلة من جهة جبهتها الشرقية بالجيش الروسي . وقد هدمت سائر الجسور بما فيها جسر السكة الحديدية وكذلك نفق الشاطيء الا ان هذا النفق امكن ترميمه فى اقرب وقت . واستطعنا ان نمد بعض خطوط المواصلات في اتجاه طريق فيلنا قبل اعادة جسر السكة الحديدية . ولم تصب كوفنو بشيء من التدمير سوى بعض مصانع التهمها الحريق . واما السكان فلاذوا باذيال الفرار .

ودفع القائد آيخهورن فى الحال على أثر سقوط كوفنو الجنرال ليتزمان وجنود الهجوم في طول امتداد السكة الحديد الذاهبة الى فيلنا ثم عبر بالجنود المجاورة للاولى الى الشاطيء الآخر من النييمن . وفى الوقت نفسه دفع بقية قوى الجيش العاشر والعرضى العشرين الذى يقوده القائد هوتيز الى اوليتا وارسل وحدات ضئيلة في اتجاه جرودنو متخللة اجمة اوجوستوف .

واخذ قلب الجيش العاشر يتقدم وهو ينشب الوقائع الحادة . على ان الروسيين لم يلبثوا ان تخلوا عن شاطيء النييمن باسره من شدة تأثيرهم بسقوط كوفنو ولكن بعد تدميرهم جسوره واستمروا فى تقهقرهم الى اوراتى واستولى العرضى الحادي والعشرون يوم ٢٦ اغسطس على اوليتا . وفى آخر اغسطس تم اجتياز الجيش العاشر نهر النييمن واخذ يتقدم ببطء وفي اتجاه سكة حديد جرودنو فيلنا فصادف في طريقه مقاومة شديدة لم يتمكن من تذليلها في باديء الامر لان الروسيين استقدموا الى الشمال قوات سحبوها من بولونيا الشرقية .

ولم يحدث زحف الجيش العاشر بسرعة على جرودونو بسبب الغابات الواسعة المنتشرة في الطريق . الا ان ضغط جناح الجيش العاشر الايمن

وعلى الاخص هجوم الجيش الثامن جعل الروسيون يفرون بسرعة مدهشة تاركين جرودنو فاستولى القائد شولتز بالفرقة الخامسة والسبعين الاحتياطية في اول سبتمبر على استحكامات المدينة الكائنة في الجهة الجنوبية الغربية ثم استولى على المدينة نفسها في اليوم الثاني بعد معركة شديدة في شوارعها.

وعلى اثر ذلك لم تعد لنا حاجة بمدفعية الحصار فجعلناها تحت تصرف المعسكر العام الاكبر.

وبلغ القائد جلويتز وهو يكافح السويسلوتش واخترقت مجموعة الامير ليوبولد غابه بيا كولوفيتز. وظلت الجنود زاحفة في الجنوب على بيفسك.

— ٩ —

ان وقائع جيش النيمن التى أنشأها فى شهر يوليه واغسطس لم تكن لها صلة الى هذه المرحلة بالاعمال الحربية الكبيرة الجارية في جهات اخرى من الجبهة الشرقيـة الا باعتبارها قوة تشغل مقادير جسيمة من جنود العدو ازاءها . ومع ذلك فلقد كان جناحا جيشي النيمن والعاشر يتعاونان فى الاعمال بحكم تجاورهما فى الداخل .حتى اذا ما قاربا كوفنو كان تعاونهما اعظم من الاول وعند الاستيلاء على هذه القلعة قاتلا معا فى ميدان واحد جنبا لجنب. وبعد الاستيلاء على القلعة تراخت روابطهما

وصدر امر القيادة الشرقيـة العليا الى القائد بيلوف بان يهاجم بحركة التفاف القوات المعادية الجسيمة المخيمة في شاولن وان يتقدم في شمالى النيمن الي اتجاه الشرق مع تغطية جناحه الايسر فى اتجاه ريغا على ان مواصلات جيش النيمن الخلفيـة كانت عسيرة فلزم مد عدة خطوط واصلاح عدة خطوط اخرى اتلفها الروسيون وهذا استغرق وقتا حال دون تقدم الجيش بالسرعة المنشودة .

وقد تم اعداد جيش النييمن حوالي منتصف يوليه بوصول الوحدات التي ارسلت اليه في يونيه . وابتداء من ١٧ يوليه شرعت الفرق المشاة من الجناح الايسر تنازل الروسيين وتتغلب عليهم . وبعد ملاحم قاسية دامت الى ٢٣ يوليه واطلق عليها اسم « معركة شاولن » ارتد الجيش الروسى الخامس الى ماوراء شاولن نحو بونيفتز . واستطاع قسم منه ان يفلت لان نيران فرساننا الذين وصلوا الى ظهره لم تكن ساحقة . واحتللنا بونيفتز يوم ٢٩ . وزحف الفرسان في الجناح الايسر الى ريغا ثم تبعوا المشاة الى ميتاو التي صار الاستيلاء عليها في اول اغسطس

واستمر الجناح الايسر زاحفا حتى بلغ مجرى الدونا في أوائل سبتمبر وقذف القوى الروسية الضاربة على شاطئه الى الشاطيء الآخر .

وفي خلال هذا التقدم كان الروسيون قد استقدموا امداداً عظيمة الى هذا الجانب واصبح جيش النييمن المنتشر في متسع عظيم من الاراضي الروسية لايسعه التقدم ولا سيما لقلة وسائل النقل لديه .

وقد شرعنا في حملة بحرية على ريغا غير انها لم تؤثر في الاعمال البرية . وهذا التقدم العظيم الذي بدر من جانب جيش النييمن دل على انه لوكان اعظم عدداً أو اكثر استعداد لكان تأثيره عجيبا

—١٠—

لقد زادت الرغبة في تنفيذ فكرة الزحف الذي بدأه جيش النييمن ابتداء من منتصف اغسطس وذلك لان الجيش الروسى المرتد من بولونيا لايمكن اصابته اذا تيسرت هذه الاصابة الا بضربة تصل اليه من طريق كوفنو — فيلنا — منسك . ويقوم بهذه الطعنة الجيش العاشر بينما يكون الجيشان الثامن والثاني عشر وكذلك مجموعتا جيوش الجنوب منهمكة في مناوشة العدو .

ولقد بلغ من التصاق الجيش الثامن والثانى عشر ان صار من الممكن اقتطاع بعض فرق منهما وارسالها الى كوفنو، فضلا عما اخذ منهما الميدان الغربي . وهذه الفرق استخدمت بين جناح الجيش العاشر الايسر وجناح الجيش الثامن الايمن .

واستقدم العدو مددا من بولونيا لمهاجمة الجيش العاشر فدارت رحى القتال بينهما بشدة متناهية على شاطىء الفيليجا الشمالي . واذ ذاك مرت ايام شديدة جداً . واخيراً بدأ التقدم منذ ٩ سبتمبر . واما جيش النيمن فقد أخذ يزحف بسهولة في اتجاه دوتابورج — جاكوبستاد و بلغ جناحه الايسر أوزياني والطريق الممتدة بين كوفنو ودونابورج وطرحت العدو الى مايلي نوفو الكساندروفسك . فثبت العدو على جانبي الجسر وحدثت هنالك وقائع حادة طويلة .

واستطاع جناح الجيش العاشر الايسر الموجود في جنوب فيلكومير ان يكتسح اراضي واسعة في اليومين الاولين ثم لم يلبث بعد ان بلغ الفيليجا في شمال فيلنا ان اصبح عاجزاً عن دفع العدو الا بمشقة هائلة الى ماوراء هذا النهر .

واخذت فرقة الخيالة المنتشرة بين جناحي الجيش الداخليين تتقدم بسهولة تامة فيما بين دونابورج وفيليجا . ودخلت هذه الفرق في مناطق السكك الحديد واحتلت بعض خطوطها فاصبح الروسيون الضاربون على شاطىء الفيليجا فى خطر شديد .

واراد الجيش العاشر ان يقوم بحركات التفاف تقتضي قطع ميلا وسيرا شاقا يشتف جهود الجنود . ولم يسع المشاة ان يحتلوا اماكن الفرسان بسرعة ولم يتمكن الفرسان من الاحتفاظ بمقاطعة سمورجون على الرغم من الدفاع الجليل الذى قاموا به ضد الهجوم المندفع عليهم من جهة فيلنا .

ولقد أحسن الروسيون بحرج مركزهم فشرعوا بعدة حركات واسعة ينقلون جنودهم الى روسيا الغربية فلم يتمكن الجنود الالمانيون المنتشرون في الشمال من ادراك هذه الجيوش قبل افلاتها فاقتضى الحال اذا وقف حركة الالتفاف الالمانية . واراد الروسيون ان يتخذوا خطة الكر باجتيازهم الفيليجا من شمال مولود تشنو الا انهم لم يستطيعوا التقدم . وفي هذه الاثناء كان الهجوم الالماني الجبهي مصحوبا باكتساح اراض على مهل .

وبعد ان فقد الروسيون فيلنا لم يقووا على استردادها فاخذوا يتراجعون ببطء على سائر امتداد الجبهة وهم يواصلون الكفاح . ووجد الجيش الماني لديه من القوة ما يستطيع ان يستولي به على الجبهة المتاخمة لسمورجون من الغرب وعلى برزينا الغربية وجهة برانوفيتشي وعلى بينسك .

في خلال الزحف البطيء من فيلنا الي سمورجون عن لي وقف حركات القتال لان الخيالة الروسيون انتشروا بكثرة هائلة وشرعوا يجدون في حصر قواتنا المتقدمة ، وارتأيت من جهة اخرى وجوب الاستعداد فصل الشتاء فاعددنا خط استحكامات قوى ممتد بين بحيرات ويشنييف وناروتش ودريسوجاتي .

وحاولت اللجة الروسية ان تكتسح خطنا الجديد عبثا واخيراً انحسرت الى الخلف .

واراد الجيش النمسوي ان يقوم بحركة التفاف يحدث بها ثغرة في الشمال الشرقى من لوتزك الا ان كرة من الجيش الروسى ارجعته على اعقابه واستمرت الملاحم في جهة دونابرج مدة طويلة . فأصدرت امرى بوقف رحى القتال على سائر امتداد الجبهة الشرقية فساد السكون حتى على الكاربات

فجملة الصيف الروسية انتهت بانهزام الروسيا بوقائع جبهية متوالية .

ولم تنجح حملة كوفنو لجيشها متأخرة

ولم نستطع أن نحدث ثغرة عظيمة فى الميدانين الشرقي والغربي طول مدة الحرب . بل كان الاكبر اختراق حصلنا عليه هو الذى حدث بين فيلنا ودونابورج

لقد نجحنا في تقدم الخطوة الاولى نحو هزيمة الروسيا . وذلك ان الجراندوق ذو الارادة القوية فصل من مركزه وتولى القيصر رآسة الجيش

ان جنودنا ورؤساءهم قاموا بواجباتهم فى كل مكان خير قيام فدلوا على تفوقهم العظيم على الروسيين

المعسكر العام لقيادة الشرق فى كوفنو

من اكتوبر سنة ١٩١٥ الى يوليه سنة ١٩١٦

-١-

فترة السكون

ما كادت تنتهى وقائع شهر مايو فى شمال اراس حتى ساد السكون فى الميدان الغربى طول صيف ١٩١٥ . وفي اواخر سبتمبر حدثت هجمات الاتفاق الكبرى فى لوز وشمبانيا. فوصلت الجنود التي استقدمت من الميدان الشرقى فى الوقت الموافق تماماً لمساندة الذائدين عن جبهتنا الغربية وحالت دون وقوع هزيمة كبيرة خطرة

وطفق الايطاليون يهجمون عدة مرار على غير جدوى لأن الجيش النمسوى ابلى بلاء حسناً في هذه الجبهة لاعتبار ايطاليا العدوة اللدودة أما الروسيا فلا عداوة بينها وبين عناصر الامبراطورية النمسوية من قبل

واتفق المعسكر العام الألماني والقيادة النمسوية العليا على اخضاع صرب . ونظراً لكراهة البلغاريين للصرب انضمت بلغاريا الى صفنا جهاراً وضمنت فرقها الاثنتي عشرة التوازن فى البلقان . و فى أوائل اكتوبر اجتاز المارشال ماكنزن نهر الدانوب. وأوصلتنا الحملة على الصرب الى الحدود اليونانية في أوائل ديسمبر . وهنالك وقفنا ولم نتقدم الى سلانيك ولو تقدمنا لخف عن عاتقنا حمل البلقان الثقيل الذي أبهظنا به الاتفاق باحتلال جنوده هذا الثغر الذي لم نحتله نحن . وقدنا نقلت الجنود الصربية التى نجت من الهلاك من ثغر فالونا الى جزيرة كورفوحيث اعيد نظمها وتدريبها وتزويدها بالأسلحة والذخائر

واضطرت دول الاتفاق الى أن تقتطع وحدات كبيرة من جنهاتها المتعددة لترسلها الى مقدونيا. وكذلك عدلت عن مولاة حملتها على غليبولى التى بفضل شجاعة الالمانيين وفرقة البحر الابيض المتوسط اصيبت بخسائر فادحة . واعيدت الصلات مع الدولة العثمانية بانتصارنا على الصرب ومحالفة بلغاريا. ولم نعد فى حاجة الى ارسال ادوات الحرب خفيسة عن طريق رومانيا . بل صرنا نستطيع امداد الدولة العثمانية مباشرة . وفي ١٦ يناير تم اصلاح الخط الحديدى الذاهب الى الاستانه . واخلت دول الاتفاق شبه جزيرة غليبولى من جنودها فى يومي ٨ و ٩ يناير . ولواتيح للاساطيل المتحالفة أن تعبر المضيقين بعد الاستيلاء عليها لاستطاعت الروسيا أن تتزود بما شاء من الذخائر والآلات الحربية ولصارت وقائع الجبهة الشرقية أشد هولا مما حدث ولتموّنت دول الاتفاق بالحبوب الجمة المختزنة فى جنوب الروسيا وفى رومانيا ولالجأت هذه الدول الحكومات البلقانية الى مما لأتهن في أقرب وقت مستطاع. فسد المضيقين أصبح محكما . ومن هذا البيان اتضح اهمية المضيقين وخطارة شأن الدولة العثمانية بالنسبة للجبهة الشرقية ولمركزنا العام معا

ان الحرب في الاراضي العثمانية شاقة جداً لان هذه الدولة ليست لديها وسائل مواصلات اخرى سوى الطرق في حين أن اساليب الحرب الحديثة تستدعي وجود السكك الحديدية والبواخر . فاما الخط الحديدى الممتد الى التخم القوقازى فكان لا يزال في دور الانشاء ما بين أنقره وسيواس. وخط بغداد اعترضت اتمام جبال طوروس واما نوس فهو لا يزال بعيداً عن الدجلة والعمل جار في اختراق النفق الموصل واتصال سكة حديد سوريا بخط بغداد كائن عند حلب أى فيما يلي الجهة الجبلية، وعدا ذلك فان تلك السكة تنتهى عند دمشق حيث يمتد خط الحجاز الضيق الذي يصبح من هنالك منفرداً ماراً بفلسطين ومنتهياً لدى بئر سبع في جنوب اورشليم .

وفضلا عن قلة الخطوط الحديدية فأن العدد القليل الموجود منها سيء الحال سواء أكان من جهة الادارة والعمال أم من جهة الاستمداد المادي، فالفوائد المنتظرة منه أقل من الحاجة الماسة اليه .

ولقد اجريت تجارب لاستخدام الدجلة في الملاحة فاسفرت عن بعض النجاح الا أن مجموع حالة المواصلات لا تنصلح بمثل هذه الوسيلة الفردية . فلم يبق سوى تلافى هذه الحالة على قدر الامكان بأرسال عربات نقل المانية .

وبسبب سوء المواصلات فى المؤخرة كان من المنتظر اخفاق الحملات المعدة فى آسيا الصغرى وسوريا والعراق وما دمنا لا نهتم قبل كل شيء بتذليل صعوبات المواصلات .

وكان عمل العثمانيين ضعيفاً محدوداً فى ولاياتهم التى على الحدود بسبب مجافاة العناصر الكردية والارمنية والعربية حتى عدن للعنصر التركى. وذلك لان الاتراك كانوا ينهجون سياسة سيئة مع هذه العناصر فكانوا دائماً يأخذون منها ولا يعطونها . فاصبحت فى هذا الموقف خصوماً الداء لهم.

والطرق التى عاملوا بها الارامنة حرمتهم من الايدى العاملة التي صار والاثناء الحرب فى أشد الحاجة اليها ولا سيما لاجل مد السكك الحديدية ولاجل الزراعة

ولم تصب المجهودات التى بذلها العثمانيون لاشعال جذوة الحرب الدينية سوى نجاح محدود فى طرابلس الغرب وبنى غازى . وقامت غواصاتنا بمهمة نقل الاسلحة والذخائر الى هتين الجهتين . وبتسهيل المواصلات بينهما وبين البلاد العثمانية

وأخفق مشروع الحملة على قناة السويس بعد ان بدىء في تنفيذه فى شهرى يناير وفبراير سنة ١٩١٥ وذلك لان نجاحه لم يكن ميسوراً الا اذا أغار السنوسيون على القطر المصري وثار المصريون داخل هذا القطر في آن واحد. ولكن هذه التصورات كلها كانت من قصر النظر لان الانجليز كانوا متمكنين حق التمكن من هذه الانحاء التى اصبحت تحت سلطتهم التامة

وأخذ الانجليز يتقدمون الهوينا عند مصب الفرات وهم مرتكزون على البحر قاصدين بغداد . ولم يستطع العثمانيون أن يأتوا أمراً ما لمنع تقدمهم. وكان القتال دائرا في ديسمبر سنة ١٩١٥ حول كوت العمارة على مقربة من بغداد التى أصبح جيش الحملة الانجليزية يقترب منها بشكل مزعج

وانهزم الجيش العثماني المحتشد على تخم القوقاز فى شتاء سنة ١٩١٤ — ١٩١٥ والتزم بعد ذلك طور الجمود . ومع ذلك فقد ظل يتكبد خسائر فادحة ناجمة من التيفوس وعن البرد

ولم يكن لحوادث شبه جزيرة سينا والعراق تأثير فى الميدان الشرقي أما الحملة على قناة السويس فقد كنا نتبعها باهتمام شديد وأمل عظيم . ولم أكن الى ذلك الحين عالماً بعشا كل المواصلات الخلفية التي أوجزت وصفها .ولكنت اعتقد أن خط بغداد متقدماً اكثر من النقطة التى وقف

لديها . بل لم أكن أستطيع الحكم على ما اذا كان فى الامكان مدها الى الامام .

ولم تخفف عنا وقائع القوقاز التخفيف الذي انتظرته من جهة الروسيا .

أما حركتنا الواسعة فى الميدان الشرقي واعادة المواصلات بيننا والبلاد العثمانية الى سابق عهدها فقد أفادتنا فوائد اقتصادية عظيمة وخففت عنا كثيراً من هواجسنا ، وأظهرت رومانيا قبولها الحسن لتزويدنا بمحصولاتها لانها لم تستطع ان تجد لها سوقاً أخرى .

على ان اعداءنا لبثوا يواصلون تأهبهم الحربي . فوصلت جموع كثيرة من جنود كتشنر الى الساحة الغربيــة ولا تزال جموع اخرى في دور التدرب فخفف هذا المدد عن الجيش الفرنسوي لانه شغل قسماً كبيراً من الجبهة الغربية . واستبدلت انجلترا نظام التجنيد الاختياري بالتجنيد الجبري وصادق البرلمان الانجليزي على هذا التغيير في يناير سنة ١٩١٦ ولم تنفذ انجلترا هذا القانون على ايرلاندا . واتسع نطاق صناعة الادوات الحربية فى فرنسا وانجلترا واليابان وامريكا فصار من المنتظر حدوث وقائع هائلة فى سنة ١٩١٦

— ٢ —

بعد ان انتهت الحركات الحربية الكبرى فى الجبهة الشرقية صار من الواجب النظر في تنظيم الشؤون الادارية فى البلاد المفتتحــة . ولكى نكون مشرفين على هذه الاعمال بأنفسنا وجب علينا ان ننقل معسكرنا العام الى كوفنو

وسكنا القيلد مارشال وهيئة أركان الحرب وأنا دارين خلويتين من ملاك المسيو تيلمان وهو المانى شهير متوطن فى البلاد الروسية . ولاأزال أ

احفظ ذكرى الساعات العديدة التى قضيتها فى هذه البلدة

وتمثل كوفنو شكل المدن الروسية البحتة ببيوتها الخشبية المنخفضة ذات المنظر الوديع وحاراتها المتسعة اتساعا نسبياً وينهض فيما يلى نهر النيمن برج من قصر عتيق يرجع تشييده الى عهد النظام التيتونى فيعيد الى الذاكرة حضارة الالمانيين فى الشرق ، وعلى مقربة من هـذا الاثر أثر آخر يحيى ذكر الفتح الفرنسوى على عهد نابليون سنة ١٨١٢ حينما عبر جيشه الكبير نهر النيمن

فتواردت على بالى سلسلة من الذكريات التاريخيـة وعن لى ان اصل عمل الحضارة الذى شرع فيه الالمانيون منذ عدة اجيال فى هذه الارجاء وخامرتنى عاطفة افتخار لاننا منذ اكثر من مائة عام نفضنا عن كواهلنـا النير الاجنبى بعد عهود قضيناها فى العجز الالمـانى والضيق الأليم . فاليوم تناهض المانيا التى مزقها نابليون واعاد لم شعثها عظماء رجالنا جيوش اعظم دول العالم وتحرز فوزاً عظيما عليها . ولقد كان وثوقى عظيما بتكللنا بتاج النصر المبين . ولا يمكن ان يحدث شىء خلافه لان الشعب الالمانى قـد لاقى من الأوصاب والهموم مايحمـله يعمل على التخلص منها بتاتا . فليس على الرجال الذين يتولون ازمة المانيا سوى ان ينظموا قواهـا ويذيعوا اشعال النار المقدسة المتقدة ـ وهذا ما كنت اعتقده اذ ذاك ـ فى قلوب كافة الالمانيين .

ولم يعطل انتقالنا من لوتزن الى كوفنو يوماً واحدا من اعمالنا . فوضعت حالا الجهازات التليفونية فى مكاتبنا التى صار تأثيثها باثاث اخذ من بيوت المهاجرين اذ لم تكن هنا لك وسيلة اخرى . وانها لوسيلة موجبة للأسف ولكن الحرب تتطلب امورا قاسية تجافى رغبة الانسان . على ان الاهالى لايابهون بهـذه الضرورات بل يقولون ان العدو يقترف اعمـالا وحشية

فى حربه .

وجعلنا مركز الحاكم العسكرى مقراً لمعسكرنا العام . وحينما نقلنا معسكرنا الى بريست ليتوفسك اضطررنا الى استقدام أثاث مكاتبنا من كوفنو ومن بعض البلاد الاخرى لاننا لم نجد فى بريست ليتوفسك مطلبنا .

وكنت اذهب لاداء الواجب البروتستانتى فى الكنيسة الارثذوكسية القديمة التى كان الواعظ فيسيل يحيى فيها الشعائر الدينية . وهنالك وانا فى البقاع الاجنبية سمعت لاول مرة انشاد هذه القطعة :

اني اجود بوجودي

نفسا وجسمانا

لك ياارض الحب والحياة

ياوطنى الالماني .

ولقد تأثرت نفسي اشد تأثر عند سماعى هذه الانشودة التى يجب ان ترتل الآن فى سائر المعابد لتظل منقوشة في سائر القلوب الالمانية .

— ٣ —

لقد حدث تغير جسيم فى اوضاع الجيوش وقياداتها واسمائها اقتضت منا اعمالا جمة . وكذلك كان من الضرورى ان ننظم حركة الملاحة فى ثغر ليباو وان نحل المشاه محل فرق الخياله وان نذلل مشا كل الاستعداد للحملة المقبلة بعد انتهاء فصل الشتاء . وهذه الفترة التى ساد فيها السكون واعتبرت راحة للجنود والقواد لم تكن سوى فصل عمل موصول يقوم به الجميع لنظم خطوط الدفاع . فحيثما امكن صد العدو بدىء باقامة الاستحكامات فيه . والاماكن التى لم يتيسر صد العدو فيها صار العدول عن تحصينها . واذ كان الروسيون قد اتلفوا الخطوط الحديدية واحرقوا

المحطات ونسفوا القناطر والجسور وقطعوا الاسلاك التلغرافية والتلفونية وابادوا اعمدتها فقد اصبح من المهم اعادة كل هذه الاشياء الى حالتها الأولى فبذل الكولونل كيرستن رئيس سكك حديد حملة الشرق همة شماء في اعادة المواصلات واشترك سائر الجنود فى هذه الاعمال الضرورية

وبما ان جسر الخط الحديدي الواصل الى كوفنو ذو اهمية عظمى لتموين الجيش العاشر والثاني عشر فقد بودر بأعادة تشييده واصبح يمر فوقه كل يوم قطار من مملوءين بالمؤن الا انه حدثت ازمة شحن شديدة فى الداخلي اضرت كثيراً بطريقة التموين فمن ذلك ان الجيش الثاني عشر طلب بتشديد متناه قطارا شعيراً فوصل اليه قطار حافل بزجاجات ماء سلتز وهذا مثال واحد من هذه الازمة المستحكمة . ولم تنتظم سائر شؤون النقل والتموين الا بعد عيد الميلاد. وحدثت ازمة اخري اشدهولا فان شتداد البرد جعل ماء النيمن والفيندا و يجمد فاكتسح الجليد جسر موشكى القائم على الفيندا و فانقطع الخط الوحيد الذى يصلنا بالمانيا . وكذلك تراكمت الثلوج على جسر كوفنو وخلعت قضبانه من اماكنها الا انه كان اقوى من ان تنحدر به كتل الجليد .ولو اكتسح الجليد هذا الجسر بالمثل لاصبح الجنود فى احرج مركز . ولبثنا ننشىء جسورا وسككا حديدية جديدة فى سائر البلاد التى نحتلها الى اغسطس سنة ١٩١٦ وطفقنا نحتطب من الغابات ونصنع بأنفسنا الاسلاك الشائكة لنقيم الحواجز اللازمة للاستحكامات . ونهض في وجهنا تفجر المياه من الاماكن التى كنا نحتفر فيها الخنادق فذلل هذه الصعوبة علماء طبقات الارض الذين ادوا لنا خدمة عظمى فى هذه الحرب

وانشأنا خلف الجبهة معامل لصنع الادوات الحربية ومن جملتها مصنع خاص بتعديل الاسلحة لجعل المدافع السريعة الطلقات من

الانواع الاوربية التي نغنمها قابلة لاطلاق القذائف الالمانية ولم اكن بالطبع اتعرض لهذه الشؤون الامن الوجهة العامة . اما الذي كنت اهتم به جد الاهتمام فهوا سكان الجنود والخيول وتموينهما . فأما طعام الجنود فكان عاديا في الغالب ووفيراً لدى بعض الوحدات احيانا والبطاطس هو المادة الاكثر شيوعاً بين الاطعمة . واما تغذية الخيول فلم تجيء وفق المرام لان الشعير والتبن لم يكونا كافيين فاضطررنا الى اطعامها نشارة الاخشاب والحشائش . وكنت اوجه جل عنايتي الى صحة الجنود والخيول . وكانت العناية بالجرحى اثناء نشوب القتال غير وافية بالمقصود واما الآن فقد صار تلافى أوجه النقص وان كانت الحاجة لاتزال ماسة الى الاستكمال والذين اصيبوا بجراح خفيفة بقوا فى الاراضي المحتلة وعهدت اليهم اعمال سهلة . وانتظمت الشؤن الصحية الى الدرجه القصوى بعناية الطبيب القائد فود كيرن ، وهذا الطبيب فيلسوف فالفلاسفة اذن ادوا خدمة نافعة في هذه الحرب . ولم نقتصر على اتخاذ اما كن خاصة لعزل الخيول المصابة بهذه الاعراض . ولم تصل الملابس الشتوية ووسائل الوقايا من البرد فى الخنادق الا بمشقة هائلة. وقد اضطررت الى التداخل فى هذه المسالة متخذا خطة الصرامة . وبذلت جهدي في جعل البريد ينتقل بسرعة بين الجيش والمانيا وكانت الاتوموبيلات المعدة لنقل البريد معدومة فاصبحت وفيرة . وحملني وجداني على ان اهتم بايجاد مأوى لسكنى اسرات الجنود والضباط اللواتي يردن الشخوص الى رجالهن فوجدت هذه المآوي فى المدن والقري المجاورة للجبهة. واهدانا بعض الاصدقاء بوساطة الواعظ هوب مكاتب متنقلة فى عربات كبيرة للجنود فسررت بها لانها تغذي عقول الجنود . وقد اهتم الواعظ هوب بهذه المسألة فقدم لى عام ١٩١٧ ما جمعه لهذا الغرض بطريقة

الاكتتاب العام قائلا لي فى عيد ميلادي (ان العقل يخلق السلاح وييسر الانتصار) ولم نكتف بهذه المكاتب بل سمحنا لتجار الكتب بانشاء مكتبات خلوية ربحوا منها مكاسب جمة وجلبوا فيها الكتب كل انواع الصحف والمجلات . وانشأت الجيوش صحفا حربيــة فاوجدت لها ادارة استعلامات بديعة . وكذلك ساعدنا على الاكثار من دور الموسيقى والصور المتحركة والتمثيل واخيرا اعدنا تحصين قلاع النيمين وفى مقدمتها جرودنو وكوفنو وكذلك ليباو . ثم شرعنا نعمل لاستخراج خيرات البلاد المحتلة وامتاع سكان البلاد والالمانيين بها على حد سواء فاتحدت الجهود وتوفر الرخاء .

— ٤ —

لقد أصبحت هذه البلاد من جراء الحرب فى حالة مؤلمة فالنظام لا يوجد الا حيث تطول مدة اقامتنا . وقد هاجر فريق من أهاليها بمحض اختياره عند تقدمنا وفريق آخر ساقه الجيش الروسى قسراً أمامه اثناء تراجعه . وقد تمكن قسم من السكان من الايواء الى الآجام حتى اذا ما استقرت اقدامنا عاد الى مساكنه خفية واخذ يزاول اعمــاله كسابق عهده . ومع ذلك فقد بقيت حقول كثيرة من غير أصحابها ولم يفتتح الحصاد بعد ولا بدىء فى تهيئة الارض للزراعات المتنوعة وارتحل كل أعيان البلاد وموظفيها ورجال الشرطة ولم يبق سوى رجال الكهنوت الذين بقيت لهم بقية من النفوذ بين السكان الباقين

ولقد كان من الميسور لجيش الحملة أن يعيش فى المدن لانه يجد فيها المطالب الحيوية ولا سيما في فيلنا وكوفنو وجرودنو اما داخل البلاد فكانت الازمة مستحكمة فيها منذ ابتداء الاحتلال لتعسر التموين وعلى

الاخص لقلة مواد الحريق

وكانت توجد امامنها صعاب أخرى أهمها كثرة اللغات واختلاف العوائد والنزعات . وأغلب السكان الذين لم يكونوا فى الاصل من عنصر جرمانى اخذوا ينظرون الينا بير ودومقت ماعدا الاسرائيليين الذين كانوا فى الغالب يعرفون اللغة الالمانية والذين لا يهمهم الا ان يكونوا مطمئنين على أرواحهم وأموالهم ومصالحهم الاقتصادية. واحتللنا هذه البلاد الفسيحة ونحن لاندري شيئاً من أخلاق وعوائد أهلها لندرة الكتب الالمانية الموضوعة فى هذا الصدد

وكان لا بد لنا من مجهود عظيم لايجاد النظام والامن فى هذا المتسع العظيم ولا سيما لمحاربة التجسس . وفضلا عن ذلك فقد صار من المحتم ان تعول هذه البلاد سكانها من تلقاء نفسها وان تعول الجيوش المخيمة فيها وان تسعف المانيا بالمثل بقسط وافر من خيراتها وان تقدم ايضاً كل ما تقتضيه الحرب من المطالب المتعدده . وكل هذا ناجم من حالتنا الاقتصادية المرتبكة بسبب الحصار المطوقة به الامبراطورية الالمانية

و بما أن هذه البلاد لا تزال خاضعة لنظام المراحل فانها تعد من مناطق القتال ولذا لا يجب اسناد وظائفها الادارية والقضائية الا الى رجال عسكريين وهذا ما زاد أعباءنا ثقلا . واذ كان المعسكر العام الاكبر منهمكا بادارة حركات الميدان الغربى فان مشاغل البلاد المحتلة عسكرية وادارية صارت من اختصاص قيادة الشرق العليا

— ٥ —

لا يسعنى إلا ان ابدي هنا فكرة وجيزة جداً عن العمل الاداري الذي قامت به رئاسة الجبهة الشرقية وفي هذا المقام اسدي أجمل الثناء

الى كل الرفاق الذين كانوا أعضادنا فى هذا المشروع الى أواخر يوليه سنة ١٩١٦ لانهم أدوا أجل خدمة للجيش وللوطن وللبلاد المحتلة نفسها لقد كنت فى اشد الحاجة الى العمال الاكفاء للقيام بهذا المشروع الجسيم وبما أن البلاد لاتزال تحت الحكم العسكري فلم يسعنا سوى اختيار الموظفين الاداريين من رجال العسكرية . واقتضى الامر أن تؤلف لهذا الغرض هيأة أركان حرب ادارية الى جانب هيأة اركان الحرب العسكرية وان نقسم المراحل الى منطقتين احداهما التابعة للجبهة مباشرة وهذه تحت سلطة قواد الجيوش والاخرى اعتبرناها خارجة عن دائرة القتال فعهدنا بأزمتها الى رجال اداريين من الطائفة العسكرية . ولزمنا ان نتخير للزراعة والصناعة والتجارة والمعارف والمعابد رجالا فنيين وهؤلاء الرجال اصبحوا نادرى الوجود بسبب مطالب الجيوش نفسها الا انهم بعد مدة وجيزة كثروا لدينا بسبب ما أحرزته قيادة الشرق من السمعة الحسنة . ولم نستخدم أحداً من أهالى البلاد المحتلة الا فى كورلاندا مع الاحتياط الشديد ولم ندمج أحداً من الموظفين فى سلك التوظف الا بعد البحث الدقيق عن سابق تاريخه لانى أردت أن لا أجلب الى البلاد الاجنبية الا كل المانى شريف النفس طاهر السمعة يحفظ شرف المانيا وذكرها العبق في الخارج أما رجال الادارة فاقتصرت فى انتقائهم على طهارة ذممهم ومكارم أخلاقهم وعلى اسنارة عقولهم وذكائهم . وهكذا سارت الاعمال على اختلاف أنواعها فى مجار حسنة وقام الموظفون باعباء وظائفهم خير قيام .

على أن أمثال هذه الاعمال الجسيمة لاتخلو من الاغلاط ومن الخطأ فى الحسبان ، فكنت كلما أزددت خبرة بشؤون البلاد واطوار أبنائها عرفت مواضع الغلط والخطأ فتلافيتها وأدركت أن هذا يجب أن يكون فى مكان ذاك . وبهذه الطريقة أخذ النظام يزداد احكاما على توالي الايام

قسمت المنطقة الادارية الى الاقاليم الآتية . كورلاندا وليتوانيا وسوفالكي وفيلنا وجرودنو وبيالستوك ثم صار تعديل هذا التقسيم فيما بعد .

ومدير أقليم كورلاندا القومندان جوسلر كان ذا عقل رزين نير وسبق له ان انتخب نائباً في الرايخستاج وهو من كبار ذوي الاملاك العقارية وتعين واليا فيما سلف . فعرف من كل جهة ان يهدىء جأش الباطين الذين ظلوا هائجين على الليتوانيين منذ سنة ١٩٠٥ ومن جهة أخرى استطاع ان يمتزج بهؤلاء الاخيرين ويستجرهم الى مساعدته فى اعماله ولا تزال له ذكرى حميدة حتى اليوم فى كورلاندا

والليوتنان كولونيل الامير ايسانبورج مدير ليتوانيا كان أكثر نشاطاً لانه شديد الشغف بالعمل وقد سبق له الاشتغال فى ادارة بولونيا المحتلة فخبرت كفاءته هنالك . وقد ذهب فيما بعد ضحية السياسة التى لم يكن لها شأن لدينا فى ذلك الحين . وقد اظهر مقدرة عظيمة فى ادارة سائر فروع الادارة فى أقليمه ومازج الاهالى والكهنوت

وكان مديرو الاقاليم مسؤلين عن سائر الامور التى تحدث فى اقاليمهم لدى مفتشي المراحل ولدى رئيس القيادة الشرقية وكان لكل منهم مصلحة خاصة متصلة بهيأة اركان الحرب الاقتصادية

وتنقسم الاقاليم الادارية الى مراكز وما مورو المراكز يديرون الشؤون الادارية والاقتصادية معا . وتحت اشراف مأموري المراكز العمد وممثلو البلدان الصغيرة والمزارع وينضم الى المأمور ضباط مختصون بادارة الزراعة في اطيان الحكومة وتقويم المحصولات . وتوجد مصالح أخرى تحت

اشراف الماً مير مكافة بالحصول على سائر المواد الاولية اللازمة للحرب.

وكنت أود أن أستخدم أبناء البلاد فى وظائف الشرطة والعسس الا ان عدم الاطمئنان اليهم جعلنى أختير جنود رجال الجندرمة من رجال الطبقات المتقدمة فى السن فى الجبهة. وكنا مضطرين الى أن نزودهم في الاول بالمعلومات اللازمة لتولى اعمالهم ومع ذلك فلا يخلو الامر من وقوع بعضهم فى الخطأ بسبب عدم الخبرة من جهة ولتشرب الاهالى بروح العداء من جهة أخرى ولقد لاقى كثيرون من هؤلاء الرجال حتفهم وهم يطاردون العصابات المدججة بالسلاح

ما الهيئة القضائية فكانت منفصلة عن الهيأة الادارية ولقد أنشأنا محاكم جزئية وابتدائية ومحكمة عليا فى كوفنو

واستغلال الغابات كان مستقلا عن اعمال المراكز اذ كان مقسما الى تفاتيش غابات حسب امتداد الجهات المشجرة وأكبرها تفتيش غابات بيالوفيتز

اذا اردنا ان ننتج فائدة من هذا العمل الادارى وجب علينا ان نبث فيه الحياة اللازمة له فلا نسيره على الطريقة الديوانية المتبعة فى كل مكان بل نراعى فيه مقتضيات الاحوال. واهم ما عنينا به السهر على صحة الاهالى فكافحنا التيفوس الطفحى الذي انتشر في عدة جهات.

ولكى نجتذب الينا ثقة الاهالى عمدنا الى دفع أثمان الاشياء التى استولى عليها الجنود اثناء الحركات الحربية. واردنا ان نستولى على المحصولات المتوفرة وان نزرع الاراضي الواسعة الصالحة للزراعة بطريقة نظامية تحقيقا لآمال داخلية المانيا. الا ان العدد الباقى من السكان لم يكن كافيا لهذا الغرض اذ بلغ فى بعض المراكز اربعة شخوص للكيلو متر المربع، فلجأنا الى الشركات الزراعية الالمانية واستقدمنا بواسطتها العربات والالات

والبذور ولكن اهم ماكنا نعتمد عليه هو مجهود الاهالى أنفسهم فاخذنا ننقد الفلاحين اجورا حسنة تشجيعا لهم ومع انها كانت اقل مما تدفعه حكومة فرسوفيا الا انها كانت كافية لاعاشة الفلاحين على كل حال وزرعنا كل الاراضي الآيلة الى السلطة العامة واستعنا بخيول الجيش .

ولم تجىء المحصولات وفق آملنا لعدم وجود المصارف ولم يتم حرث الاراضى الا متأخرا ولم نكسب الارض طبقة من السماد الكيماوي ولم نراع حالة الجو عند بذر البذور . والاصناف التي حسن محصولها هي البرسيم والتبن والسلجم والكتان .

واصبح نقل المحصولات بالقطارات عسيراً جداً فاضطررنا الى استئجار عربات الاهالى ودفعنا لها اجورا مرتفعة جدا .

وعنينا بزرع البقول والخضروات والفواكه وانشأنا معامل لصنع المربيات وتحضير الخضروات في العلب . وكذلك اهتممنا بطريقة اعداد القش والخشب للتغذيه . ونظمنا صيد الاسماك في ثغر ليباو وفي البحيرات الكبيرة الحافلة بالاسماك .

وعمدنا لاجل مساعدة الأهالى تشجيع الجمعيات الخيرية المشكلة في البلاد الاجنبية لاجل اسعاف العناصر المختلفة في البلاد المحتلة وكانت اهم هذه الجمعيات الخيرية الجمعية الاسرائيلية المشكلة في الولايات المتحدة فخففت هذه الاعانات الواردة تباعا آلام الاهالي ولطفت الازمة

وفي الحقيقة أن البلاد تألمت من الاستيلاء على كثير من الخيول والبهائم ذات القرون الا اننا لم يكن في وسعنا أن نفعل غير ذلك . وأما ما يقال من اننا استخدمنا كل عناصر الحياة في البلاد المحتلة لمصلحة القيادة الشرقية فهذا ضرب من ضروب التشويه والتسويء المقصودة على اننا لم نأخذ شيئا من الاهالي الامقابل عنه النقدي

وسولنا الى بعض المصارف المالية ان تفتح لها فروعاً في هذه الانحاء ففعلت

وكابدنا اشد التعب فى ترتيب الميزانية حتى جعلنا النفقات لاتتعدى الدخل ولم نستمد ادنى اعانة من مالية الامبراطورية .

— ٨ —

ولم تكن عنايتنا بالتقاضي اقل من اهتمامنا بالشؤون الادارية والاقتصادية فاتبعنا ماتقضى به قواعد اتفاق لاهاى من وجوب تقاضي كل بلاد حسب شرائعها الخاصة . فلم نعمد الى مزج القوانين الروسية بل اخذنا نبحث عن شريعة كل بلد ونترجم احكامها الى اللغة الالمانية ونجعل القضاة من الالمانيين لاننا لم نجد من ابناء البلاد من يقوم بهذه الوظائف . ولكن اللغط اكثر فى هذا الصدد وهو لغط مقصود به التسوىء .

وانشأنا المدارس الا اننا اضطررنا الى استقدام اساتذة كهول لايعرفون سوى اللغة الالمانية فاخذوا يلقنون الاحداث العلوم باللسان الالماني واهتممنا بالكتب المدرسية ولا يسعنى هنا الا ان الفت الانظار الى الطريقة الوطنية المدهشة التي يتبعها البولونيون بالاشتراك مع الفرنسويين في تلقين الاحداث حدود بلادهم فيذكرون فى كتب المطالعة دانتزيج وجنيزن وبوزن وفيلنا كمدن بولونيه وهذا هو الذي غرس في نفوس البولونيين روح العداء لنا وما وقعنا فى شره الآن .

وتركنا الحرية التامة لسائر الطوائف فى مباشرة عباداتها وفق اديانها بل لقد سهلنا للاسرائيليين احضار الدقيق الذي يصنعون منه خبز عيدهم فى عيدهم الاكبر .

والتزمت خطة الحيدة التامة بين سائر العنصر ولم اسر في طريق سياسة ترضي احدها بنوع خاص . وسمحت لكل عنصر ان يصدر صحيفة

وان كنا في اشد الحاجة الى الخامات فقد طفق الوسطاء من الاسرائيليين يبتاعون لنا من السكان جلوداً وفراء ونحاسا وخرقا بالية وحدائد قديمة ونحاسا اصفر لارسالها الى داخلية المانيا لاستخدامها في المطالب الحربية ومع ذلك فقد كانت لنا مصانعنا الخاصة في ليباو وكوفنو وبيالستوك ثم تألفت الشعبة التجارية على التوالي واخذ نطاقها يتسع حتى بلغ حداً عظيما.

وكذلك انشأت مصلحة السكك الحديدية مصنعاً لها في ليباو.

ولقد استغللنا الغابات الواسعة استغلالا في منتهى الفائدة فلم نقتطع منها سوى الاشجار الضخام العتيقة التي تنفع اخشابها في سائر الصناعات فاستولينا على مقادير جسيمة لاسياج الاستحكامات وقضبان السكك الحديدية وارسلنا بالمثل مقادير جسيمة للجبهة الغربية وللصرب وللصناعة الدقيقة في المانيا واعطينا اهالي البلاد مايكفيهم لتشييد المنازل اوترميمها

وانشا رئيس قوة الطيران في الت اوتزبكور لاندا معملا في غاية الابداع لصنع المطارات وادوات الطيران الخشبية. وقمنا باعمال جسيمة لاعداد خشب الحريق اللازم لشتاء سنة ١٩١٥ — ١٩١٦. ووجهنا بمقادير جسيمة من لب الشجر الى المانيا لصنع البارود والورق. وقد صارت التجارة الخشبية حرة في البلاد المحتلة في اقرب وقت فعادت على السكان بالرخاء وافادتنا افادة كبرى: وصرت سعيداً بتوفيري الورق الكافي للصحافة الالمانية. ونظمنا تسيير الاخشاب في النيمن وفي سائر المجاري الاخرى. ولم نقصر في عمل الفحم الخشبي.

وشغلتنا مسألة النقود لاننا اردنا التعامل بالاوراق الالمانية واخيراً اتفقنا مع الرايخسبنك وذوي الشأن في برلين على اصدار اوراق مالية باسم رئاسة القيادة الشرقية وقد اخذ الاهالي يتقبلونها بالتدريج ثم عم تداولها

خاصة له تحت المراقبة وحظرت على الصحف جمعاء ان تعلق على الامور الجارية بغير ما يتفق مع وجهة نظر الحكومة . ولم يكن في وسعي بالطبع ان اسمح للاهالي بالاشتغال بالسياسة ولهذا كانت الاجتماعات ممنوعة .

وعلى الرغم من التشديد في مراقبة الرسائل المتداولة فانني نظمت شؤون البريد العامة وسهلتها في سائر اعمالها العادية واستعمل طابع البريد الالماني مع وضع اصطلاح خاص عليه .

والغاية اننا سهلنا كذلك اتصال الليتوانيين والاسرائيليين باخوانهم في امريكا .

فكل هذه الاصلاحات والتسهيلات اوجدت الرخاء وجعلت الاهالي يكسبون اكثر مما كانوا يجنون على عهد السلطات الروسيه .

ولقد منعت اجبارا لاهالي على اداء السلام العسكري لرجال العسكرية وهي العادة التي تتبعها غالباً الجيوش الفاتحة وادرنا شؤون البلاد بطريقة هادئة اوجبت لنا حسن السمعة الآن وستعرف هذه البلاد اننا خدمناها باستقامة وانصاف

— ٩ —

ان الذين قاموا بالشؤون الاقتصادية في منطقة الحرب هم الجنود انفسهم . وقد انشئت معامل عديدة لنشر الاخشاب في المنطقة المتقدمة لا لان الحاجة ماسة الى الواح الخشب فقط بل لان الاحتياج كان شديداً للاخشاب اللازمة لغرف الضباط والجنود ولاصطبلات الخيول . وقد وجد الجنود اثناء حرب الخنادق نفوسهم شيقة الى الاشتغال . وكذلك وجدت نفسي جانحة الى العمل وكنت سعيداً بتوفقي الى خدمة وطني بطريقة حديثة غير التي اعتدتها من قبل . وتعرفت برجال اجلة وباحتكاكي بهم ولجت ميادين اعمال كانت لا تزال غريبة عني الى ذلك العهد . واصبحت مسرورا

عا لتقيته لدى السادة المضطلعين بالشؤون الادارية العسكرية من الثقة التامة . وشعرنا جميعا باننا نعمل لمستقبل المانيا في ارض اجنبية . واردنا ان نوجد لالمانيا ميدان استغلال فسيح فى كورلاندا فنعت مشترى الاراضى لتبقى بعيدة عن تلاعب المضاربات وبهذه الطريقة وضعت اساس سياسية عقارية سالمة من الشوائب وان ما أعته قيادة الشرق فى هذه المدة القصيرة التي قضيتها فى هذه البلاد وكان انتهاؤها فى اوائل اغطس سنه ١٩١٦ ليمثل عملا جليلا من الحضارة. فها انا ذا لان ابتهج بمقدرتى على الانشاء والابتكار حتى في وسط غمرة القتال .

ولم تذهب نتائج هذا العمل سدى بل لقد عمت بنفعها الوطن والجيش والبلاد المحتلة نفسها مدة الحرب على الاقل. فهل بقيت فى تلك البقاع بذور لا تلبث ان تظهر ثمارها ؟ انى أوجه هذا السؤال الى القدر القاسى الذي يطاردنا ولا انتظر الاجابة عليه الا من المستقبل

— ١٠ —

الحرب وازمة الشرق

بينما تشتغل القيادة الشرقية بسكون لاجل الجيش ولاجل البلاد المحتلة اذا بالحوادث الحربية مندفعة فى مجراها . فالفوز الذي احرزناه فى الصرب والجبل الاسود أدى الى حدوث أربع معارك على الايسنز واثناء شهري نوفمبر وديسمبر سنة ١٩١٥ والى هجوم الروس على القسم الجنوبى من الميدان النمسوى حوالي عيد الميلاد وهجوما ظل موصولا الى أواخر يناير سنة ١٩١٦ وانتهت هذه الوقائع كلها بفوز حلفائنا النمسويين فى الميدانين

وقررت القيادة الالمانية العليا ان تهاجم فردان لانها كانت باب خطر وشر علينا كما تحقق ذلك فى سنة ١٩١٨ فاخذنا نرسل جنودا متتابعة من الجبهة الشرقية الى الميدان الغربي ونستعد فى الوقت نفسه لدفع كل هجوم ينتظر فى مثل هذه الفرصة من جانب الروسيين

وابتدأ الهجوم على فردان يوم ٢١ فبراير مصحوبا في الايام الاول على الاخص بنجاح عظيم ثم دخل في دور التراخي على توالى الايام. وفى اوائل مارس كان الناس لا يزالون يعتقدون ان الالمانيين أحرزوا فوزاً مبيناً أمام فردان

وشرعت النمسا فى مهاجمة ايطاليا من جهة التيرول فى أواخر ابريل ومستهل مايو

ولتقوية الهجوم على فردان أرسلت الجبهة الشرقية مدافعها ذات العيار الكبير الى الجبهة الغربية واستعاد المعسكر العام الاكبر عساكره من الصرب .

ولقد اضعف المعسكر العام الاكبر النمسوى من جبهته الشرقية الى درجة عظيمة ليقوى جبهته الايطالية غير عابىء بقوة الروسيا الهائلة كانه صار مستخفا بها على اثر الانتصارات التي احرزها الجيش النمسوي فى الجبهة الشرقية اخيراً

والتزمت الجيوش المتحدة فى ميدان مقدونيا الحربى وفي آسيا الصغرى خطة الدفاع الا في جنوب العراق حيث اعد الفيلد مارشال فون درجولتز حملة على الانجليز فى كوت العمارة وتحسن مركز الدولة العثمانيه على اثر تخلى الاتفاق عن غاليبولى

ولم يكن لزحف الروسيين في أرمينية الذى أدى الى احتلال طرابزون وارضروم فى ربيع سنة ١٩١٦ اهمية اذا نظر اليه من الوجهة الفنيـة

العسكرية لان الروسيا لم تكن فى حاجة لتكبد الخسائر فى هذه الجبهة.
ولقد ساعد الروسيين على انتصارهم هنالك تفوقهم العددى العظيم على العثمانيين ومواقفهم المستحكمة

وأما الحملات الانجليزية المسوقة على فارس وأرض الجزيرة وسيناء فلم يكن المقصود بها محو الجيش العثمانى بل اخضاع هذه البقاع للسلطة الانجليزية لتضمن تسلطها عى العالم

— ١١ —

لقد سببت الضربة الالمانية الموجهة الى فردان فى شهر مارس الوثبة الايطالية الخامسة على الايسترو وانتهت كسابقاتها بالاخفاق

وكذلك الروسيا قذفت بجيشها الى الهيجاء ،فوصلتنا الانباء باستعداد الروسيين لمهاجمة فيلنا . وتدل الاوامر التى التقطت من الميدان على أن المعركة ترمي الى الفصل فى الامر وان كانت قد ختمت بغير ذلك . فان هذه الاوامر تحتم على الجيش طرد العدو الى خارج حدود القيصرية الروسية بكثرة فائقة فاتخذ فى الحال وسائل احتياطيــة . وقد تراءى ان بوادر الهجوم لن تحدث قبل مضى مدة غير وجيزة فوطنت النفس لاسباب بيتية ولحضور اقتران اليوزباشي الامير يواكيم البروسي الذى لم يفارق مركز اركان حربنا منذ خريف سنة ١٩١٤ على أن أشخص الي برلين التى قضيت فيها يومي ١١ و١٢ مارس وعلمت فيها أموراً تدل على قرب الهجوم فلم تهدأ ثائرة نفسى الا بعد عودتى الى كوفنو

وبعد ١٦ مارس بدأ الروسيون اطلاق مدافعهم على الاراضي الضيقة الكائنة بين بحيرتي فيشنييف ونارونش وظل قتال المدافع مستمرا بشدة لم يعهد لها مثيل في الميدان الشرقى حتى نهاية يوم ١٧ وفى صباح ١٨ بدات

وثبات المشاة التي ظلت متتابعة الى آخر مارس. وكذلك هجم الروسيون على مواقعنا الكائنة في شمال جهتنا الشرقية. ولقد حرج مركز الجيش العاشر فيما بين ١٨ و ٢١ مارس ازاء التفوق العددي الذي أخذ يزداد في الجيش الروسي. وفي يوم ٢١ احرزوا نجاحاً مؤلماً لنا بين البحيرتين وكذلك لم نتغلب على وثبتهم في الشمال الا بمشقة عظمى وكانت الطرق رديئة بسبب مياه الامطار والجليد الذائب فكابد جنودنا المرسلون مددا الى الجيش العاشر عناء شديدا ولم يستطيعوا الوصول الا بخوض مخاضات البحيرتين فكان سيرهم لهذا السبب بطيئا. الا ان الروسيين الذين كانوا يتقدمون في بقاع أردأ من التي ندافع فيها أو من التي خلفها لم يلبثوا ان ادركهم الاعياء، فخارت قواهم، وحينما بلغت الوثبة الروسية من جديد نهايتها القصوى يوم ٢٦ مارس كنا قد ذللنا كل الصعاب التي تعترضنا. وكذلك كان موقف مجموعة جيوش شوانز والجيش الثامن حرجا لان جنودهما التي كانت متفرقة في مواقع منعزل بعضها عن بعض أخذت تناضل الجيوش الروسية المندفعة عليها بشجاعة باهرة. وكانت هجمات الاعداء في شمال الدينابورج أشد صلابة وهولا. ان الفرق المؤلفة من رجال كبار في السن هنالك دافعت دفاعاً يكاد يكون خير مرشد للشبان.

وما كاد مارس ينتهي حتى كانت الوثبة الروسية الكبرى قد عراها الضعف والانحلال فهي كما قيل عنها غرقت في المستنقعات وفي الدماء. وبلغت الخسائر الروسية حد كل تقدير وتصور. فتغلبت صفوفها الرقيقة المستنيرة على الجموع الروسية الكثيفة الجاهلة وأحرزت جبهة قيادة الشرق اول انتصار دفاعي عظيم

وما هل اول ابريل حتى ساد السكون. وفي ٢٨ ابريل استرد الجيش العاشر بهجوم أعدته من قبل مدفعية قوية الاراضي التي اكتسحها العدو

بين البحيرتين فى مفتتح هجومه . فكانت هذه أول دفعة في الميدان الشرقى استعملت فيها طريقة الاقتتال بالمدافع الجمة الشائعة من مدة طويلة فى الميدان الغربي

ولقد وصلتنا بناء على أوامر المعسكر العام الاكبر فرق مقتطعة من الجبهة النمسوية

وفى أواخر مايو زارنا جلالة الامبراطور الذى طاف سائر البقاع الداخلة فى منطقة قيادة الشرق فصحبناه فى جولته هذه الفيلد مارشال وانا

وفي اوائل يونيه احتفلنا بانتصار الاسطول الالماني فى سكاجرراك ذلك الانتصار الذى رفع من قدر البحرية الالمانية وكان له تأثير عظيم فى الدول المحايدة . الا ان السرور الذى استشعرناه بهذا الانتصار البحرى لم يلبث ان تخلله لسوء الحظ أسف شديد على الخسائر التى اعتبرت في بادىء الامر طفيفة ثم ظهرت فداحتها

— ١٢ —

لقد أخذنا نتبع باهتمام شديد حملاتنا البحرية . فان الاموال التى انفقت على بحريتنا فى زمن السلم هائلة . فهى مكلفة الآن بالاشتراك فى القتال المحتدم لمنع انجلترا من التوصل الى خنقنا . ان مبدأ انجلترا فى الحرب يجعلنا ننتظر منها حسب عادتها المألوفة الالتجاء الى كل الوسائل فى الصراع بدون التفات الى حقوق الاشخاص أو الى الشرائع البشرية . لقد اصبح اسطولنا محجوزا في بحر الشمال بعد ان ذهبت عمارتنا البحرية المختصة بالبحر الابيض المتوسط الى الاستانة و بعد ان فقدنا كياوتشو نقطة ارتكازنا فى آسيا الشرقية . وكانت واقعة كورونيل التى حدثت فى اول

نوفمبر و وقعة فالكلاند التي حدثت في ٣ ديسمبر سنة ١٩١٤ شارتي الانتصار والخروج ونهاية عمارة طراداتنا التي ملأت سائر القلوب الالمانية اباء وغما.

لقد نثرت طراداتنا وطراداتنا المساعدة الالغام في مياه الاعداء واخذت من وقت الى آخر تلقى الروع والفزع في عرض البحر على الاعداء . وتمكنت من جعل الجرأة الالمانية في الدرجة الاولى الا انها لم تتوفق الى النتيجة الحاسمة

وقد اصبح اسطولنا في البحر الابيض المتوسط عاجزا عن القيام بالعمل بعد ان عدلت دول الاتفاق عن مهاجمة الاستانة لان تفوق العدو في البحر الاسود والبحر الابيض المتوسط عظيما. واما البحرية النمسوية فلم تأت بامر يستحق الذكر

وقام اسطولنا في بحر البلطيق بمهمة عظيمة لانه ضمن لنا حرية الملاحة بين ثغور كورلاندا والثغور الالمانية فاستطاعت رآسة الشرق ان تمون جيوشها بانتظام تام . وظل السواد الاعظم من اسطولنا في بحر الشمال مستنداً على مصب الايلب وعلى هيلجولاند ويلهمسهافن ولقد كان من الواجب علينا أن نسعى بواسطته في انشاب معركة بحرية فاصلة كما ذهب الى هذا الرأى أمير البحر العائد الكبير فون تربيتز. وكانت الشواهد تدل منذ تمرينات سنتي ١٩١٠ و١٩١١ على ان انجلترا تفكر في القيام بحصار واسع النطاق . ومثل هذا العمل لا يتفق مع حقوق الانسان ولا يمكن تنفيذه الا اذا وافقت الدول المحايدة وبالاخص الولايات المتحدة عليه

على أن الانجليز اجتنبوا الدخول في معركة بحرية مع انهم لو فازوا فيها لشلوا تجارتنا المتبادلة مع السويد ولما استطاعت غواصاتنا ان تحمي هذه التجارة . ولكن الانجليز كانوا يعلمون أن اشتباكهم معنا في البحر

يعرض سمعة اسطولهم لخطر جسيم امام حلفائهم وأمام مستعمراتهم بالمثل .

ولم تكن للموافقة البحرية التى حدثت يوم ٢٨ اغسطس سنة ١٩١٤ منزلة تذكر فى الفن الحربي فان اسطولنا اظهر من الجرأة امام هيلجولاندا مالم يظهره الاسطول الانجليزى . ومع ذلك فان اسطولنا اطلق القنابل عدة مرار على الشواطيء الانجليزية التي ظلت سليمة من كل اعتداء منذ قرون عديدة. وقد أدت اغارة من هذا القبيل فى ٢٤ يناير سنه ١٩١٥ الى حدوث وقعة دوججبرارك

وفى ٤ فبراير سنة ١٩١٥ أعلنت حرب الغواصات على البحرية التجارية المعادية على الرغم من اتجاه رأي الاميرالكبير فون ترپيتز الى ان وقتها لم يحن بعد وضربت الغواصات نطاق الحصار حول الجزيرة البريطانية وكان عدد الغواصات اذ ذاك قليلا جدا . على ان هذه الحرب لم تجيء بالغرض المقصود لانها اقتصرت على بواخر الاعداء ثم وضعت لها حدود شلتها وأخيراً ادركها السبات العميق بعد حادثة لوزيتانيا . ثم تنبهت فى أواخر نوفبر سنة ١٩١٥ وفى فبراير سنة ١٩١٦ لمدة قصيرة اذ ان المانيا أعلنت بعد اغراق الباخرة سوسكس فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٦ انها ستتبع قواعد القوانين الدولية فى الحرب التجارية فتعطلت منذ ٤ مايو من تلك السنة حرب الغواصات

الا ان دول الاتفاق لم تراع قواعد القانون الدولى في حربها التجارية. ما نحن فرأينا ان لا نخرق حرمة القانون الدولى وان نحافظ على حقوق الانسان مع اتباع الخطة التي يعاملنا بها العدو في حربه البحرية وبحثنا عن تعليل لعملنا بالارتكاز على أقوال صادرة من دول الاتفاق وتوفقنا الى مقالة الاميرال السير بيرسى سكوت نشرها في عدد ١٦ يوليه سنة ١٩١٤

من جريدة التيمس فالحقناها بمذكرة قدمتها الولايات المتحدة الى انجلترا بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩١٧ وهذا ما كتبه الاميرال المذكور «ان اشهار مثل هذه الحرب — أي حرب الحصار البحرى بالالغام وبالغواصات — رأى ينطبق تماماً على الحق واذا حاولت بعد اعلان الحصار بعض البواخر الانجليزية أو المحايدة ان لا تعبأ بهذه الوسائل وان تخرق الحصار فلا قال انها تعمل عملا سلميا كما يزعم ذلك اللورد سيدتهام، واذا ما غرقت اثناء هذه المحاولة فلا يمكن وصف غرقها بانه رجوع الى التوحش البشع .»

على ان انجلترا لم ترد بوضعها الحصار على النمسا والمانيا الاقتصار على منع المهربات الحربية بل ارادت احداث مجاعة كبرى تفضي الى خور العزائم والى ثوران الاهالى . بل تخطت الى مقصد ابعد منها وأعظم هولا وهو محاربة الاطفال الرضع وهم على أثداء امهاتهن ليخرج الجيل الآتى هزيلا عليلا ولم تقتصر انجلترا على محاربة الصادرات والواردات الالمانية وحدها لاجل تحقيق الغرض المذكور بل لقد أخذت تحارب صادرات الدول المحايدة ووارداتها بالمثل لتمنع استفادة المانيا منها

كل هذه الاعمال المناقضة لسائر القوانين والشرائع تدل على ان الانجليز لا يراعون حقوق الانسان ولا يعتمدون الا على القوة

ولقد شعرنا نحن بتأثير هذا الاعتداء العظيم فى الميدان الشرقي لان الولايات المتحدة رضيت به فعلا سواء أقبل دخولها فى المعمعان أم بعده ولان الدول المحايدة الاوروبية أصبحت خاضعة لنير التحكم البريطانى

- ١٣ -

لم تفض معركة فردان الى النتيجة الفاصلة بل تحولت الى حوب جموع ومدفعيات كثيرة . وساد السكون بقية الجبهة الغربية

وفي يوم ١٥ بدأالهجوم النمسوى في ايطاليا فكانت نتائجه حسنة فى المبتدأ ثم زالت حدته

وعم الهدوء الميدانين المقدونى والعثماني سوى الجبهة الجنوبية التى استردت فيها كوت العمارة ولم يشهد استردادها الفيلدمارشال فون درجولتز الذي مات بالحمى قبل الهجوم عليها .

وارادت دول الاتفاق ان تضرب خصمها اللدود ضربة ساحقة فانشبن في الميدان الغربي معركة السوم، واستعد الروسيون بحشد جماهير جسيمة من جنودهم لمهاجمة الميدان الشرقي باسره . وكان الروسيون كلما رأوا شدة ... ة اداروا وجوههم شطر عدوهم الاضعف وهو الجيش النمسوي . ... كان الهجوم الموجه الى النمسا واقع على القسم الكائن بين البريبت والكربات فقد شرعنا ننزع فرقا من الجبهة الشرقية الالمانية نرسلها الى ذلك القسم على الرغم من القوى الجسيمة التى ارسلتها القيادة الشرقية الالمانية الى الميدان الغربي وعلى الرغم من الامدادات السابقة التى ارسلت من ... يش النمسوي .

وابتدأ الهجوم الروسي بشدة متناهية على الجيش النمسوي فلم يثبت النمسويون بل تراجعوا فى كل مكان وحمل موجة هذا الارتداد العناصر الالمانية التى كانت تساعد هذا الجيش على الرغم من حسن دفاعها ومن احرازها الفوز فى اماكنها فى بادىء الأمر . فأخذنا نوالى ارسال الامداد حتى رقت

جبهتنا الشرقية رقة شديدة ومع ذلك فلم يؤد هذا الاسعاف الى تحسين مركز النمسويين . وحيئنذ رأينا أن نحل معضلة طال عليها الزمن ولم نصل الى حلها الان المعسكر العام الاكبر النمسوي كان يراها ماسة بكرامته وهى معضلة توحيد القيادة فى عموم الميدان الشرقي . ولقد شخصنا الفيلد مارشال وانا الى بليس مركز المعسكر العام الاكبر الالماني لحل هذه المعضلة والتقينا هنالك بالقائد كونراد فلم يقبل الا ينهار باوامر الرآسة الشرقية واصر المعسكر العام الاكبر على متابعة ارسال الفرق الى الميدان النمسوي وارسل هو بالمثل فرقا حديثة الى ذلك الميدان . غير أن كل هذه القوى لم تكن سوى رذاذ يتساقط في البحر .

وفي هذه الاثناء هجمت الجيوش الروسية على الجبهة الالمانية لتمنعها من مساندة النمسويين فرددناها فى منطقة البحيرات ولكنها استولت على بعض الاراضي فى جهة الشمال على مقربة من ريغا لضعف قوانا الموجودة هنالك .

وبينما الجيش النمسوي يعانى أشد الاهوال امام الروسيين اذا بالايطاليين يهجمون هجوماً شديداً تمكنوا به من ازاحة الجيش النمسوي الى الخلف .

فلم يسع المعسكر العام الاكبر النمسوي ازاء هذه الصعوبات المتراكمة وازاء دخول رومانيا الحرب سوى الرجوع عن اصراره القديم وقبوله توحيد القديمة فاصبحت رآسة القيادة الشرقية يمتد اشرافها على سائر امتداد الجبهة الشرقية من البلطيق الى الادرياتيك .

ولقد تمكنا على أثر ذلك من صد هجوم الجيوش الروسية فى كل مكان بهجمات محلية متفرقة الا ان الروسيين لم يشاؤا أن ينثنوا امام وثباتنا المتناثرة بل استقدموا امداداً جديدة وعادوا الى الهجوم بشدة متناهية فى كل الجهات واشتد في هذا الوقت نفسه هجوم الايطاليين . وكان الالمانيون يسبحون اذا ذاك في الجبهة الغربية فى لجة من الدماء الجارية

فى معركة السوم . فالموقف اذن حرج والاعصاب فى منتهى التهيج ولا بدمن تمالك الجأش وانتظار حوادث المستقبل .

وبعد ان قبل المعسكر العام الاكبر النمسوي فى ٢٧ يوليه اسناد رآسة الشرق العامة الى الفيلد مارشال هندنبورج على اثر سقوط برودي عدنا من بليس الى كوفنو حيث ودعت هذه الجهة التى قضيت فيها ايام راحة وهناء اديت اثناءها خدما جليلة ثم طرأت علي فيها أخيرا هذه الأوقات المتناهية فى الحرج وتركت رفاقا من اركان الحرب الامناء الاكفاء مقيمين فيها . وعزمت قبل كل شيء على زيارة رآسات الجيوش النمسوية لاتعرف احوالها وابنى عليها احكمى . ولم نر من المناسب ابقاء القيادة العامة الشرقية فى كوفنو لأنها بعيدة جدا فى الجهة الشمالية . ترأينا ان نقيم الى مدة ما فى القطار الذى يقلنا .

امتداد دراستنا

على الجبهة الشرقية فى اغسطس ١٩١٦

- ١ -

ذهبنا الى كوفيل فبلغناها في يوم ٣ او ٤ اغسطس حيث يوجد المعسكر الاكبر للقائد لنسجن ورئيس اركان حربه الكولونيل هيل

وكانت الجبهة الشرقية قد رأت مرة اخرى اياما سوداء على اثر اشتداد وطأة الهجوم الروسي . فالجنود في شدة التعب ولا يمكن الاستغناء عن القليل منهم فى احدى النقط الا بصعوبة . وقد غصت الجبهة الشرقية

بجنود من الطبقات القديمة الذين لانستطيع ان ندفعهم الى اماكن القتال الجوهرية الا مرغمين .

فبينما وقائع ريغا تكاد تنتهي اذا بالروسيون يهاجمون من جديد يوم ٢٥ يوليه فى شمال بارا نوفيتشي وفى نفس المكان الذى يعلمون ان الجنود النمسوية تشغله والذي سبق لهم الانتصار فيه. فوقفتهم كرة المانية. ولم تؤد هجماتهم فى ٢٥ و٢٧ الى نتيجه .

واستمرت الوقائع التى نشبت مع مجموعة جيوش القائد لنسجن الى نهاية النصف الاخير من يوليه فلاقت هذه المجموعة متاعب جمة .

وبدأ الهجوم الروسي العظيم على طول الستوكود فى ٢٨ يوليه واستمر بشدة متناهية وبجموع عظيمة الى أول اغسطس وتراجح فيه النصر بين الجانبين واخيرا عادت جبهتنا الى ما كانت عليه .

وامتدت الوقائع بالمثل فى اتجاه الشمال الى مجموعة جيوش جروناو التى دافعت خير دفاع مع قله عدد جنودها وامتداد جبهتها . فالروسيون معتمدون على كثرة عددهم ، غير مبالين بالخطط الحربية ولهذا اصيبوا بالخسائر الجمة وبالاندحار امام خطوطنا الرقيقة .

ورأيت فى كوفيل القائد برنهاردي المتولى رئاسة منطقة سكك حديد كوفيل ولوتسك وسارنى .

ووصلنا مساء الى فلادمير - فولينسكي وفيها المعسكر العام للجيش الرابع النمسوي الكائن تحت امرة القائد لنسجن . وهذا الجيش خاص بالالمانيين ورئيس اركان حرب هذا المعسكر الفون ترتزكزنسكي وهو عصبي مدله « بالكرامة النمسوية » وقد سبب للقائد لنسجن من هذا القبيل متاعب جمة . فأكلنا عنده الا ان هذا القائد ابدى رأيه بحرية مدهشة عن الجنود النمسويين في الوقائع الاخيرة فاستخلصنا من هذا الرأي شعورا

سيئا من جهة هؤلاء الجنود.

و في الصباح بلغنا ليمبرج وفيها المعسكر العام للجيش الثاني النمسوى. وسحر لبي منظر لمبرج الالمانى نقيض كراكوفيا ذات المنظر البولونى. وسمعنا من القائد بريهم ارموللى ورئيس حربه البصيرين حكما على الامور مقرونا بالصواب وانهما الخيرمثال للقواد الذين تستطيع الرآسة الالمانية أن تتفاهم معهم وكان جيشهما قد انسحب الى ماوراء برودي والسير يت الاعلى على اثر هجوم الروسيين فى اواخر يوليه فما كان اعظم سرورهما عند ما علما بعزمنا على موافاتهما بقوة ممتزجة بالعنصر الالماني.

وتحادثت فى لمبرج مع القائد سيكت الذى انبأنا بحرج مركز الجيوش التى يقودها الارشيدوق شارل وعلى الاخص فى حدود الدنيستر لان الروسيين كانوا يزيدون ضغطهم على الموقع الكائن غرب تلاء مانسك اوتبينا وتسلقوا قسما من ذروة الكاربات فيما بين مضيق التتروحدود رمانيا. وكانت سلامتنا متوقفة على مجموعة هذه الجيوش لانها لو تقهقرت الى ما يلى الدنيستر لجرت معها جناحها الايسر فلا يلبث الجناح الايمن للجبهة الشرقية ان يزداد امتدادا. فلا بد من الاهتمام بهذه المجموعة ولو انها ليست تحت امرتنا. وطالما استنجدتنا بالمعسكر العام النمسوي في تشن مخافة ان يغير الروسيون على هنغاريا.

بنا القطار الخاص الى بريست ليتوفسك ونحن نسمع في كل مكان انباء الازمات الهائلة التى احدثتها هجمات الروسيين على مجموعة الجبهة الشرقية.

واخذت على عاتقي تبعة تقوية الجبهة الشرقية وتدريب الجيش النمسوى. فالى اى حد تصل بي مقدرتى فى هتين المسالتين؟ لست ادرى

— ٢ —

لم يكن معسكرنا العام فى قطارنا الخاص الواقف امام محطة بريست ليتوفسك حسنا . فقد كنا فى مكان ضيق، ولا محل للعمل ، وكان لا بد للخرط الكبيرة من محال واسعة ثم لابد لنا من اماكن للكتابة . وفضلا عن ذلك فقد اخذت تتراسل على سقوف المركبات اشعة الشمس المحترقة فتجعل الاقامة داخلها غير مطاقة . حينئذ صممت على مغادرة القطار وافهمت الفيلد مارشال ضرورة اقامة معسكرنا العام فى بريست ليتوفسك نفسها . فارتاع حضرات الضباط لهذا الاختيار لان البلدة لم تكن صالحة للاقامة بها ولا توجد اماكن لحلول هيأة اركان الحرب فيها سوى القلعة وهى احق بان تكون سجناً من ان تكون معسكرا عاما . ومع ذلك فقد اصدرنا اوامرنا باعداد القلعة للتوطن بها . وكان حاكم الموقع العسكري يتخذها مقراً له . ولا بد لاعداد القلعة لسكنى هيأة اركان الحرب من انقضاء مدة من الزمن نظل مقيمين اثناءها فى القطار .

واعجبت بالاقامة فى بريست ليتوفسك على الرغم من فتك النيران بمبانيها حينما عزم الروسيون على اخلائها . واخذت اعد اسباب الراحة فامرت بقطع الاشجار التى تحول دون سريان النسائم فخلصت اشعة الشمس وخطرات النسمات الينا ونجونا من رطوبة الجو .

وكان لابد لنا لاجل تقوية الجبهة النسموية من جنود المانية فى حين ان الجبهة الالمانية جردت من احتياطها حتى لم يعد فى الامكان استمداد شيء يفيد منها . وكنا قد انشأنا بضعة الايات من الخيالة وفصيلة مختلطة مؤلفة من ثلاثة طوابير مزودة ببضع بطاريات تحت رآسة القائد ميليور .

فالحقنا هذه القوة مقدما بالجيش الثاني النمسوي . ولم يبق من الاحتياط على جبهة امتدادها نحو الف كيلو متر سوى لواء واحد من الفرسان معضداً بعدفعية ومدافع متراليوزات . وهذا دليل على مقدار ما نضطلع به من المهام الجسام نحن الالمانيين . على ان لواء الفرسان لم يلبث ان سافر الى الجبهة النمسوية بالمثل والحق بقوة القائد ميليور .

واختص المعسكر العام الاكبر الميدان الشرقي بقوة اخرى . واقبل العرضي العثماني الخامس عشر فان انور عند ماعلم بحرج الحالة في الميدان الشرقي بادر بارسال عرضي من جهة الاستانة اليه . فاراد المعسكر العام الاكبر ان يقوي بهذا العرضي مجموعة جيوش لنسجن . الا ان تحرج مركز مجموعة الارشيدوق شارل حمل المعسكر العام الاكبر على توجيه العرضي العثماني الى غاليسيا الشرقية بعد ان لم يبق عليه سوى بضع مراحل للوصول الى القائد لنسجن . ولقد قاتل العثمانيون اشد قتال في مصاف الجيش الالماني الجنوبي على الرغم من اضطراره الى تعلم طرق المعارك الحديثة والتمرن عليها واستخدامها في الميدان.

وارسل الينا المعسكر العام الاكبر من الغرب فرقتين من الفرق الثلاث اللواتي أعدهن لنا وارسل الثالثة الي الارشيدوق شارل

وعلم الروسيون ان لا سبيل لهم الى مقاتلة الالمانيين فعدلوا عن الهجوم على البريبيت . ووجهوا اشد ما في وسعهم من الضغط على فولهينيا وغاليسيا الشرقية

وهاجم الروسيون مرة اخرى في يومي ٨ و ٩ اغسطس مجموعة جيوش لنسنجن والجناح الايمن لمجموعة جيوش جرونا وفدفعوا الى الخلف . الا انهم لم يتمكنوا من تجديد الوقائع على مجري الستوكود شرق كوفيل وفي شمالها الشرقي وتمكنوا من العبور في بعض النقط الى الشاطيء

الغربي . وهذا هو الذى دعانا الى ارسال احتياطنا من الفرسان الى كوفيل

وفى الوقت نفسه هجم الروسيون بالمثل على الجيش الثاني النمسوى وهاجم مجموعة جيوش الارشيدوق شارل فى غاليسيا فارتد الجناح الايمن من الجيش الثانى الى زالوش فحالت قوة القائد ميليور دون نزول الكارثة الا ان الجبهة أصيبت بعطب اضطرنا الى ارجاعها الى مجرى الزبوروف وأرسلنا الفرقتين القادمتين الينا الى هذه الجبهة حيث قاتلنا فيها تحت امرة القائد ايبين رئيس المرضى الأول الا انهما جاءا متأخرين عن الوقت المناسب للمدافعة عن قطاع السيريت

وعند ما اضطر الجناح الايمن من الجيش الثاني أن يغادر هذا القطاع اضطر الجناح الايسر من جيش بوعر أن ينسحب الي الوراء وأغار الروسيون من جديد على النمسويين وقذفوا بهم على مقربة من تلوماتش واستولوا على ستانيسلاو ونادفورنا . أما الجنود الالمانيون فانهم تمكنوا في هذه الاثناء من صد الروسيين ومنعهم من احراز أي انتصار هنالك

وما كاد يتناصف اغسطس حتي ظهرت هزيمة الجيش النمسوي جهاراً فأخذ موقف رومانيا يزداد غموضا

ومنذ منتصف أغسطس أخذت جبهة الرئاسة الشرقية المتسمة تتقوى فمص الجيش الثاني بالجنود الالمانيين حتي أصبح فى منتهى المناعة على ان الجيوش النمسوية من الجهة العدوية كافية للمحافظة على جبهتها الا أن سوء نظامها وتدريبها جعلها فى حالة عجز شديد

وازداد النشاط فى تحصين المواقع وارسلنا الى الجيش الثاني النمسوي كثيرا من الاسلاك الشائكة وصار الاعتناء باعداد طرق المواصلات الخلفية وانشأنا سككا حديدية حربية

وبدأ تدريب طوابير الزحف على الطريقة الالمانية . وعهد الى قواد المانيين مراقبة هذا التدريب . واهتم الامير اوسكار البروسى بتعليم طوابير الزحف النمسوية فى جيش الجنوب الالماني فادرك نجاحا باهراً وكذلك دربت وحدات المدفعيات النمسوية علي طريقة قتال المدافع الالمانية . وصار تبادل الضباط الى حد محدود . واتخذت كل الوسائل التى تحفظ الجيش النمسوي من مثل ما الم به فى يونيه .

وكثرت اعمالنا ومرت بنا الساعات سراعا فى قلعة بريست ليتوفسك.

وفي ٢٨ اغسطس اعلنت رومانيا الحرب على النمسا .

وفى الساعة الاولى من بعد ظهر ٢٨ ابلغنا القائد فون لينسكر رئيس الديوان العسكرى ارادة جلالة الامبراطور المختصة بحضورنا الفيلدمارشال وانا في الحال الى بليس .

فغادرنا فى الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم نفسه بريست ليتوفسك على ان لا نعود مرة اخرى الى الميدان الشرقى. وتركنا فيه خلفنا عامين قضيناهما في عمل عظيم مشترك ادى الى انتصارات هائله .

رئيس المعسكر العام الاكبر

من ٢٩ اغسطس ١٩١٦ الى ٢٦ اكتوبر ١٩١٨

هجوم دول الاتفاق

فى خريف ١٩١٦

-١-

حالما وصلنا الى بليس فى الساعة العاشرة من صباح ٢٩ اغسطس استقبلنا القائدليمنكر واعلمنا بان الفيلد مارشال تعين رئيساً لهيئة اركان الحرب العامة للجيش المقاتل واننى تعينت الرئيس الثانى لاركان الحرب . فلاح لى ان خير لقب يتفق مع وظيفتى هو رئيس المعسكر العام الاكبر . وقال لنا جلالة الامبراطور عند ما استقبلنا انه يأمل تذليل الأزمة المستحكمة في الجبهة . واعرب المستشار عن هذا الرجاء ولم يذهب الى امكان عقد الصلح

ان مهمتى عظيمة ويجب أن اعمل وانا افكر فيها لانهاء الحرب بالانتصار المنتظر . وهذا هو الذي دعا الى استقدامنا الفيلد مارشال وانا اتولى هذين المنصبين الخطيرين .وميدان عملى الذي ساجه اليوم هائل مفعم بالمشاكل ومخالف بالمرة لميدان عملى السابق فقبلت هذه التبعة وانا مطرق برأسي ومبتهل الى الله ان يمنحنى القوة اللازمة للاضطلاع بمثل هذه المهمة العظيمة .

لقد صارت الحرب فى الوقت الذي دعينا فيه الفيلد مارشـال وانا الى المعسكر العام الاكبر فى منتهى الخطورة اذا نتقلت من حالة الهجوم الى قتال خنادق ومواقع . فدول الاتفاق ابرزت كل مواردها لتتمكن منا بطعنة هائلة وربما تكون الطعنة القاتلة فالجأتنا الى اتخاذ خطة الدفاع وحملت رومانيا على ولوج بهرة الكفاح. فالاتفاق لا يلبث ان يحمل علينا حملات صادقات فى الجبهة الغربية وفي ايطاليا ومقدونيا وجنوب البريبت لتمكين رومانيا من الاندفاع الى جناحنا الايمن في ترانسلفانيا لتعضيد الجيش الروسي او الى بلغاريا لانسياب من الدوبروجه وفي كلتا الحالتين تصيبنا بطعنة مهلكة. كذلك لا بد من انتظار مجهود عظيم في الساحات الاسيوية، فنحن انما نصارع امة التيتان . ولكن لا بد لنا على كل حال من انقاذ الوطن من الخطر المحدق به كما انقذناه فى تاننبيرج ولودز

ان المانيا وحليفاتها يكافحن عظميات دول اوربا المتمتعـة بموارد العالم اجمع وهن مقتصرات على مواردهن الخاصـة فقط . وقد ظهرت هذه الحالة فى وضوح تام على اثر اول صدمة حدثت فى الميدان الفرنسوى سنـة ١٩١٤ فوقع ماحذره الفيلدمارشـال فون مولتك فى ١٤ مارس ١٨٩٠ اذ قال . « اذا ما اشتعلت نيران الحرب المعلقة فوق رؤسنا منذ اكثر من عشر سنوات فلا يمكن التنبوء بمدتها ولا بما ستؤول اليه. وذلك لان دول اوربا العظمى هي التي ستشتبك فى مقاتلة بعضها بعضا متدججة باسلحة لم تعرف لها امثال من قبل ، ولن تصير احداهن فى حرب واحدة او حربين مقهورة تماما بدرجة تجعلها تعترف بهزيمتها وتقبل الصلح المقرون بالشروط الفادحة التي تحول دون نهوضها فى بحر عام والالتجاء الى معاودة القتال. فهذه الحرب ربما استغرقت سبعـة اعوام وربمـا امتدت الى ثلاثين حولا ...»

واخذ تفوق العدو من وجهتي الرجال وادوات الحرب يتضح بجلاء على توالي الايام. واما نحن فقد اضعفنا تحمل الصدام الدائم مدة العامين المنقضيين واختفت زهرة شبابنا المدافع عن الوطن تحت خضرة الاعشاب النامية في الميادين الا ان جيشنا كان لايزال متينا قادراً على اخفاء حدودنا عن انظار الاعداء المتطلعة اليها بل على حفظ حدود حلفائنا بالمثل

والذي يقلقلنا هو الميدان الشرقي الذي خسرت فيه النمسا رجالا كثيراً جعل موقفها مقرونا بالحرج الا أننا دافعنا عن حدودها ولانزال مستعدين لمناصرتها وان كان جيشنا هنالك يحتاج الى كثرة الجنود الالمانية. ولم تكن النمسا عبئاً باهظاً علينا من وجهة الرجال فقط بل لقد استمدت منا الفحم اللازم لها وادوات السكك الحديدية. وكذلك الحالة في بلغاريا وفي البلاد العثمانية وان لم تكلفانا عبئاً باهظاً من الرجال بل كان همهما الاكبر مطالبتنا بالاموال وبالادوات الحربية ووسائل النقل. فالمانيا مضطرة في كل مكان الى مساعدة حليفاتها وفي كثير من الاحوال بدون الحصول على ما يعوض عن هذه المساعدات .

ومع ذلك فان حليفاتنا خففن عنا اعباء القتال تخفيفا عظيما بطريقة غير مباشرة. وكلما طال امد الكفاح ازدادت مطالب حليفاتنا حتى اصبحت كلا لا يطاق على كاهلنا .

ولقد ظلت قوى الاعداء تزداد على التوالي من الوجهة العديدية منذ نشوب القتال . . فايطاليا انضمت الى صفوفهم واخذت جميع حكوماتهم تؤلف تشكيلات حديثة وتدعو حليفاتهن البعيدات الى اسعافهن. وهذه رومانيا قد انضمت اليهن وهاجمتنا بجيشها المؤلف من ٨٥٠٠٠٠ جندي فنحن امام هذه الاعداد الضخمة نشعر بقلتنا العددية الهائلة على الرغم من انضمام بلغاريا والدولة العثمانية الى صف تحالفنا وعلى الرغم من كل التشكيلات

الحديثة التي ابتدعناها . فمجموع جنودنا التي قدمناها الى الجبهة ستة ملايين جندي مقابل عشرة ملايين حشدها الاعداء

وكذلك بدأت موارد الاعداء من جهة الادوات الحربية تعظم على التوالي واكبر شاهد على ذلك ماانفقه الاعداء من الذخائر في معركة السوم واذا أضفنا الى هذه الميزات ماينطوي عليه الاعداء من الغل القاتل والرغبة التي لا حد لها في مواصلة القتال والحصار الهائل المفضي الى المجاعة وطرق النشر التي تروج في بلادنا سائر ضروب الاشاعات الكاذبة المؤذية يتضح لنا جليا ان لاسبيل لنا الى اكتساب هذه الحرب الا اذا استخدم حلفاؤنا سائر مواردهم من الرجال والمواد المختلفة والا اذا تقدم كل جندي الى ساحة الوغى وهو ممتلىء بحماسته القومية ومعتقد اعتقاداً جازما انه سينتزع النصر اغتصابا من الاعداء ليحفظ به سلامة الوطن .

فكل هذه الاعتبارات حملتنا الفيلد مارشال وانا على انماء قوانا الطبيعية والاقتصادية والادبية الى آخر ما يتحمله الوطن وخاطب المعسكر العام الاكبر الحكومة في هذا الصدد .

وعمدنا بالمثل الى التأثير في حلفائنا لاتباع خطواتنا في هذا السبيل فاقدمت النمسا على استخدام سن الخامسة والخمسين واستخدمت الدولة العثمانية سن الخمسين فصار لديهما عدد وفير من الجنود الاحتياطية ولو بطريقة التدوين في الاوراق فقط .

وصرح رئيس اركان حرب البحرية بموافقته على اشهار حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط في منطقة الحصار . وكنا الفيلد مارشال وانا نذهب الى وجوب استخدام كل قوانا البحرية الى جانب قوانا البرية في هذه الحرب العالمية لاجل سلامة الوطن .. الا ان مستشار الامبراطورية لم يوافق على

حرب الغواصات المطلقة من القيد لانها تؤدي الى دخول هولاندا والدانمرك ضدنا فى القتال وليس لدينا رجل واحدا نضعه فى سبيل صدهما فلا تلبثان ان تلجا بلادنا وتطعنانا الطعنة القاضية . وحينئذ تغلب على امرنا قبل ان تحدث حرب الغواصات الفوائد التى وعدتنا بها امارة الحرب البحرية .

على ان البحث الذي دار فى هذا الصدد منذ ٣٠ اغسطس لفتنا الى وجوب تحصين حدودنا المواجهة للدانيمرك ولهولاندا فامرنا اركان حرب الجبهة الشمالية الموجودة فى هامبورج بان تشيد استحكامات على طول التخوم الدانيمركية والهولاندية .وكذلك امرنا حاكم البلجيك بان يعجل باتمام الاستحكامات التى كان قد بديء باقامتها علي طول الحد البلجيكى بالجنود الموجودة تحت امرته .

— ٣ —

كانت معركة فردان على وشك الانتهاء . ولم تؤد معركة السوم الى الغرض الذي اراده منها الاتفاق فى اوائل يوليه وهو اختراق جبهتنا . ومنذ اخفاق هذه المعركة بدأت وقائع حامية على الجناحين بقية ١٩١٦.

لقد اسالت منا فردان دماء غزيرة. وأصبح مركز الجنود المهاجمة يزداد حرجاً كلما تقدموا الى الامام لانهم فى دائرة ضرب المدافع. وكذا التموين صار متعذراً جداً فى بقاع تحمل لنا روح العداء. ولم يعد قائد هذه الحملة قادراً على التحرك من مكانه الا بمشقة عظيمة . اما الفرنسويون فكانوا احسن منا حالاً لانهم محتمون باستحكامات القلعة ووسائل التموين اسهل لديهم مما هى لدينا .فهذه الحملة لابدلها من استغراق مدة

طويلة تنفذ فيها جهود الجنود . وكان وريث المانيا قد أبدى رأيه منذ مدة طويلة بوجوب وقف الهجوم .

ولقد شرع الاتفاق في انشاب معركة السوم وهو حاصل على تفوق هائل على الارض وفي الهواء . فغشى الدهول المعسكر العام الاكبر في بادىء الامر الا انه لم يلبث ان استقدم قوى متلاحقة بمنتهى السرعة . الا انه على كل حال لم يضارع العدو في التفوق المدفعي وفي كثرة الذخائر والطيارات .

واستمر الاتفاق يتقدم في المواقع الالمانية . ففقدنا مقادير عظيمة من الرجال والادوات الحربية ، واصبح الموقف عسيرا جداً وصار من الضروري استبدال الفرق المنهوكة قواها بفرق اخرى ، وادى هذ العمل الى تخبط جسيم . وكانت قلة الذخائر من اكبر العلل فاخذت وزارة الحربية توالى ارسال القطارات المشحونة بالذخائر وانا اتولى توزيعها على الاماكن المختلفة من الجبهة بحسب ما كنت اراه من احتياجها وانه لعمل شاق جدا بل مزهق للارواح .

وكانت الحالة في الجبهة الغربية في منتهى الحرج الاانى لم ارشدة حرجها من اول نظرة وكان هذا خيرا لانه ساعد على اقتطاع عدة فرق من هذه الجبهة وارسالها الى الميدان الشرقى لتهدئة الحالة فيه بهجوم قوى على الروسيين ولفصل الامر مع رومانيا نهائيا .

وعزمنا الفيلد مارشال وانا على تفقد الساحة الغربية وتقوية الاماكن الضعيفة منها الا اننا ارجأنا هذا العمل الى ما بعد الانتهاء من ارسال الفرق الذاهبة الى رومانيا . واصدر جلالة الامبراطور امره بوقف الهجوم على فردان لان الخسائر لم تعد متناسبة مع الارباح . ورأينا ان نقتصر على الاشتباك في معركة المواقع التى بدأنا العدو بها ملتزمين خطة الدفاع .

وساءت الحالة بالمثل على الجبهة الايطالية اذ تقهقر النمسويون الى القمم

الكائنة فى شمال اسـيا جوارسيبرو في يوليه وتخلوا عن مواقع على الا يسـنزو تبادلها الطرفان مرارا .

وتولى الفيلد مارشال الامير ليو بولد البافاررى رآسة القيادة الالمانية فى الشرق فطلبت ان يخلفني في مركزي القائد هوفان . وتولى قيادة مجموعة جيوش الامير ليو بولد القائد فويرش مع احتفاظه بقيادة جيشه .

وبعد اعلان رمانيا الحرب صارت جبال الكاربات ذات شأن هام فى الميدان الشرقى . وكان اهمال النمسا حدودها من جهة رومانيا مدهشا سوء أفى حالة السلام بعد نشوب الحرب لانها لا تريد ان تحرك هواجس الرومانيين مع ماقام به هؤلاء على حدود ترانسلفانيا من الاستحكامات الموجهة ضد الحدود النمسوية .

واقتصرت النمسا على أن تبث عدة وحدات مؤلفة من طوابير العمال على تخم ترانسلفانيا وهذا الاحتياط . لم يكن كافيا لوقف زحف الجنود الرومانية الى أن تصـل النجدات ولهذا اقتحم الرومانيون ترانسلفانيا واستولوا على كرونستاد وبيتروسيني مع مناجمها الفنية بالفحم بلا عناء فى ٢٩ اغسطس . وظهرت فصائل رومانية بسرعة فى جهة هرمنستاد ولو استطاع الرمانيون ان يواصلوا زحفهم لبلغوا عاصمة المجر بل لقطعوا خط مواصلاتنا مع البلقان ولتم انهزامنا.

فهمتنا عسيرة جداً لانها تتضمن المحافظة على موقفينا فى الجبهتين الغربية والشرقية مع تقوية جيش الارشسيدوق شارل وتجريد حملة على رومانيا لاخضاعها والانتقال بعد ذلك كله من حالة الدفاع الى خطة الهجوم. ولم يكن لنا سبيل الى اتمام كل هذه المشروعات الا باختصار مدة الصراع مع رومانيا والاندفاع بقوة ساحقة

وكان الفيلد مارشال ماكنزن قد تخلى عن رئاسة جيش الحملة الصربية

بعد الانتهاء من تدويخ الصرب الى المعسكر العام الاكبر البلغاري الا انه بقى فى البلقان حتى اذا ما بدت امارات استعداد رومانيا لمحاربتنا أخذ يعد جيش الحملة عليها . وفى ٢٨ اغسطس تولى قيادة الجنود الالمانيين والنمسويين والبلغاريين والعثمانيين الموجودين على الدانوب وعلى تخم الدوبروجه . ولم تكن العمارة النمسوية النهرية المتجمعه فى الدانوب والعناصر اللاندويهرية النمسوية الضئيلة والجنود البلغاريين الكهول مما يعول عليه بل الذي افاد وصول بضع بطاريات المانيه ثقيلة وفرقه عثمانيه وقد وصلت هذه القوة بطريق السكة الحديد البلغارية التي لم يكن في وسعها ان تسير الا قطرين أو أربعة قطارات في اليوم

وظل موقف بلغاريا تجاه رومانيا في منتهى الغموض والشك . فبينما تظهر المانيا والدولة العثمانية عطفهما على النمسا بانضمامها الى صفها بلا تردد على أثر اعلان رومانيا الحرب عليها بقيت بلغاريا مترددة الى أئل سبتمبر .

وطبقا للاتفاق المبرم فى هذا الصدد بين القائد فلكنهاين وحلفائنا كان لا بد للفيلد مارشال ماكنزن أن يعبر الدانوب ليصل الى بوخارست مع الجنود التى تحت امرته فأدى هذا العمل الى انهزام هذه القوة الضئيلة . فعدلنا الفيلد مارشال هندنبورج وانا عن هذه الخطه واقترحنا على الفلد مارشال مكنزن الزحف على الدبروجه فوافقت بلغاريا التى كانت قواها محتشدة هنالك على هذه الخطة وكذا أنور وافق عليها بارتياح

-٣-

كان السواد الاعظم من الجيش البلغارى في مواقعه المنتشرة على الحد اليونانى مزودا بنفر من اركان الحرب الالمانيين وفرقة المانية من المشاة

وجنود اخرى المانية اكثرهم من المدفعيين ومن مدفعيي المتراليوزات وعمال التلفون والطيارين . وأخذت بلغاريا منا أموالا جمة ومن النمسويين نقودا قليلة وأدوات حربية وافرة . ولم تكن سكك حديد بلغاريا مستوفاة النظام وامددناها بكل ما يلزم لتسهيل مواصلاتها

وجلب الاتفاق الى سلانيك الجيش السربي بعد تدريبه كما جلب جزءا مختلطا من عساكره واسندت القيادة العامة في هذه الجبهة الجديدة الى القائد ساراي الا ان هذا الجيش المختلط التزم في هذه الآونة خطة السكينة . وقد زحفت الى البانيا جيوش متعددة من البلغاريين والنمسويين والايطاليين واليونانيين

ومن الواضح ان بلغاريا لم تخض غمار الوغى الا لتحقيق مقاصدها القومية في البلقان ولذا فهي لا تسمح بجندي واحد يقاتل في جبهة أخرى . وعند ما انضمت الدولة العثمانية في سنة ١٩١٤ الى المانيا اشترت حيدة بلغاريا بالاراضي العثمانية الكائنة على ضفة الماريتزا اليمني وشقة من الارض العثمانية عرضها عشرة كيلو مترات على الضفة اليسرى تمتد من أدرنه الى البحر وحصلت على اراض متسعة من أملاك الصرب ثمناً لاعلانها الحرب على الصرب واشترطت ان تعاد اليها ولاية الدوبروجه البلغارية التي كانت قد تنازلت عنها لرومانيا سنة ١٩١٣ . وتركت اراضي الصرب المفتتحة للنمسا و بلغاريا تديرانها ولم يبق لنا شأن في الصرب سوى ادارة سككها الحديدية

ولقد أرادت بلغاريا قبل هبوب العاصفة الرومانية أن تزحف في اتجاه سالونيك ، وهذا الزحف مبرر من الوجهة العسكرية . وتم استيلاؤها على الاراضي الواقعة شرق السترو ما في ٢٧ اغسطس بدون قتال عنيف فقد تخلى العرضي السادس الاغريقي المرابط هنالك عن هذه البقعة للجيش

البلغارى الزاحف ازاءه . واذ كان جيش الاتفاق زاحفاً على الستروما فلم يمعن البلغاريون فى زحفهم لان هجومهم الاساسى على فلورينا اخفق امام دفاع الصرب العنيف وكان قيصر بلغاريا ورئيس وزرائها رادسلافوف قد وصلا الى بليس اذ ذاك فأخذا يشكوان من افتقار جيشهما الى الجنود الالمانيين

وكان رئيس القيادة البلغارية القائد جيكوف وهو حليف صادق الود قويم الخلق الا انه لم يكن متصفا بصفات الرآسة العصرية ولا تسمح له وداعته أن يصلح أغلاط جيشه . وقد شغلته الانقسامات الحزبية عن الانصراف الى الشؤون الحربية . ورئيس اركان حربه لوكوف وهو مظلم المخ دساس مصيبة على بلاده وعلى التحالف الرباعى

لقد انضم رادسلافوف الى المانيا لاعتقاد خاص قائم فى نفسه وكان متجها دائماً الى المطالبة بأمانيه القومية. وهكذا كان يجعل مفاوضاته دائما قابلة لمخابرات جديدة حتى اذا ما أراد الانقلاب علينا ارتكز على ارادة الشعب . وهذا هو السبب الاساسي لمثابرته على المفاوضات المتوالية ولم يوضح لشعبه الاسباب الحقيقية التى أوجبت نشوب الحرب العامة وربما كان هو نفسه يجهلها .وكان ملك بلغاريا حليفاً مخاصاً الا انه كان أشد شغفا بالمفاوضات من العمل الجدي . وهو بهذه الصيغة حاكم قدير فى زمن السلم أما فى اثناء الحرب فلم يكن الرجل العسكري الذى يستطيع التأثير فى جيشه بموجب مكانته السامية وكان الامير بوريس وريث بلغاريا الذى عني والده بتأديبه وتثقيفه خير عناية جندياً بارعاً له نظر ثاقب فى المطالب العسكرية . على ان الشعب البلغارى لا يمكنه ان يجد له رئيساً خيراً من هذا الامير

- ٤ -

لقد تحسن مركز الدولة العثمانية على أثر انسحاب الجيوش المتفقة من شبه جزيرة غاليبولى . واستطاع انور باشا ان يمد المعسكر العام الاكبر الالمانى بالجنود اللازمة . وانما كان يفعل هذا لاعتقاده بحق بان الفصل فى المعارك القائمة على الاراضى العثمانيـة انما يكون فى ساحات اخرى

وكان من الواجب قبل كل شيء تدريب هؤلاء الجنود والباسهم الثياب الكافية وتزويدهم بكل ما يلزمهم من المطالب وهـذه الامور تستدعى حصة من الزمن . وفى اواخر يوليه سافر العرضى العثمانى الخامس عشر الى غاليسيا وانتقلت فى هذه الآونة فرقة عثمانية الى وارنه . واقتطع انور هذه الجنود من جيش المارشال ايمان باشا المختص بحماية الاستانة وساحل آسيا الصغرى

وطرد الانجليز العثمانيين من شبه جزيرة سينا وهم منهمكون فى هذا الوقت بمد خط حديدى واجراء الماء اللازم . وحالما ينتهون من هذين المشروعين ينتظر تقدمهم للاستيلاء على فلسطين

ولم تعقب الفوز الذى احرزه العثمانيون فى كوت العمارة انتصارات اخرى . فأخذ الانجليز يعدون حملة جديدة للاستيلاء على بغداد وهم في هذه المرة صادقو العزم

وكان لا بد لهاتين الحملتين ان تكللا بالظفر اذا كان الانجليز كما يظهر من امرهم معتنين حق العناية بالوسائل اللازمة لها غير انه كان من الضروري أن يحشدوا مقادير عظيمـة من الجنود تتغلب على شدة مراس العثمانيين

وهذا هو السبب في ان كفاءة الجيش العثماني كانت ذات قيمة ثمينة لنا فلقد كنا نشعر بتسرية عظيمة عنا في الساحة الغربية كلما اشتد دفاع العثمانيين عن فلسطين والعراق بشجاعة متناهية . وكلما تمادي الانجليز في في ارسال جنودهم الى هذين المعتركين لتحقيق اغراضهم فيهما . وكان لديهم عدا الجنود الهندية قوى اخرى لا يرغبون في استخدامها في فرنسا واستخدامها في قتال العثمانيين لا يعود علينا بأقل جدوي في الساحة الغربية. على ان هذا النضال كان يزيد ارتباك الشؤون العسكرية الانجليزية

ولم يكن للحملات العثمانية في فارس المتجهة صوب همدان شأن مذكور في سير الحرب من الوجهة العامة

وكان الروسيون والعثمانيون وقوفا بعضهم ازاء البعض في مواقعهم الكائنة شرق آسيا الصغرى وغربها وفي جنوب الخط الحديدي الممتد بين طرابزون وارز ينجان وموش بدون ان يتواثبا. ولم أكن أعلم حقيقة ما في هذه المواقع من الجنود العثمانيين ولم يكن من المنتظر قيام الروسيين بوثبات خطيرة في هذه الجبهة لانها كانت محفوفة بالمكاره والاهوال

ولم يكن الجيش العثماني قد تمالك نفسه مما أصابه في الحرب البلقانية حينما تعرض للحرب مرة أخري . وكانت خسائره بسبب الامراض أومن جراء المعارك العظيمة ولهذا السبب قل العنصر الاناضولي الشجاع من الجيش وأخذ العنصر العربي الذي قلما يركن اليه يشغل محله في القوى المكافحة في ارض الجزيرة وفلسطين . ولم يكتمل عدد الجنود المعينين وكان غذاؤها رديئا واستعدادها الحربي أسوأ .وكانت قلة الضباط المعتمد عليهم عظيمة واجتهد ليمان بما له من الميزة الخاصة في أن يستخلص من هذه الفرق

وحدات يمكن الاستفادة منها وهذه الجنود لو انتقلت من رئاسته الى رئاسة المانية بحتة لتحول عملها الى مفعول ايجابي بل لقامت بافعال مجيدة كما حدث في غاليسيا وفي الميدان الروماني ، أما اذا انتقلت من اشرافه الى قيادة عثمانية محضة فانها تفقد بسرعة متناهية ثمرات ما التقطته من التعاليم الالمانية ·

وتلقت منا الدولة العثمانية خلاف الاموال ضباطا وتشكيلات فنية وأدوات حربية بالمثل بقدر ما كانت تسمح به حالة القطارات المحدودة جدا الذاهبة الى القسطنطينية . فاما جنود سليمان باشا فكان من الميسور تجهيزها بمطالبها هناك وأما الجنود الضاربة فى جهات فلسطين وما بين النهرين وجنود القوقاز فكان تجهيزها عسيراً فأصبحت في حالة يرثى لها . وقد قلت اعدادها كما قلت قيمتها الحربية . وحاولنا ان نوسع دائرة النقل بالسكك الحديد العثمانية فأرسلنا اليها أدوات النقل وعمال الحركة الفنيين

وظلت الحكومة العثمانية متبعة سياسة الحذر والتوجس من العناصر الاخرى

وعلى الرغم عن جهودى لم تعدل الدولة العثمانية عن السياسة المتبعة الى ذلك الحين تجاه العرب . وربما كان الوقت قد فات . ومن جهة أخرى فان الذهب الانجليزى أخذ يفعل مفعوله المعتاد . فأخذ العرب ينقلبون بشدة مع تتالي الايام على الاتراك . وان بقاء العثمانيين محتفظين بمراكزهم على امتداد السكة الحديدية الحجازية وفى المدينة المنورة الى نهاية الحرب لاحدى خوارق العادات

واقبل أنور نفسه فى أوائل سبتمبر الي بليس . وهو رجل نشيط جداً وله تأثير خارق العادة وهو صديق وفى لالمانيا . وكانت تجمع بيننا عاطفة ولاء متين وكان له فى مجرى الحرب اعتقاد عسكرى . الا ان القواعد

الحربية والمهنة العسكرية كانت تنقصه . كما انه لم يكن حاصلا على المعلومات العسكرية كانت تنقصه . التي يقتضيها مركزها الحربي العظيم ولا ينتظر نحو مواهبه العظيمة . وكان ارسال الجنود العثمانيين الى غاليسيا والى رومانيا يطابق عواطفه الجندية الحقيقية . الا انه في مقابل ذلك كان يتطلب من الادوات الحربية مقادير هائلة أعظم بكثير مما يمكن تحقيقه وأغلب القطارات الذاهبة الي البلاد العثمانية عن طريق صوفيا كانت مستعملة فى نقل الفحم المرسل من سيليزيا العليا الى القسطنطينية . وطالما رجوت من انور ومن طلعت ذي الشأن المهم جدا ومن ذوى المكانة السامية الذين كانوا يزوروننا ان يستثمروا مناجم الفحم ليتيسر لهم المكان اللازم لنقل الادوات الحربية وبحثت معهم فى مقدار الفائدة العظمي التي ستفيدها مجرى الحرب من انتظام الخطوط الحديدية وابنت لهم ما كانت تستطيع القيام به الامة العثمانية فى حالة توفر السكك الحديدية وانتظامها على انني لم أجد تقبلا حسنا منهم أو على الاقل رغبة صادقة فى العمل بما كنت ادلي اليه. ولبثوا يعرضون علينا مطالب جديدة على الرغم من معرفتهم ان هذه المطالب لم تقابل بالعناية والاهتمام . وأما من جهة مناجم الفحم والسكك الحديد فلم تعمل الدوله العثمانيـة عملا مذكوراً لاستثمارها

وكان احرار العثمانيين قابضين بايد قوية على ازمة الحكم فى الاستانة وأما الاهالى فلم يكن لهم دخل فى ادارة البلاد. فحالة البلاد العثمانية عند ما شرعت فى دور العمل لم تكن مرضية فما كنت أفكر في مسألتى العراق وفلسطين الا بهم وقلق

— ٥ —

كانت العلائق متبادله بيننا وحلفائنا بمندوبين مكلفين بالامور الحربية اذ لم تكن المحادثات الشخصية متيسرة على الدوام. فكان مندوبنا العسكرى لدى المعسكر العام الاكبر النمسوى القائد الالمانى فون كرامون ومندوب النمسا القائد فون كليبش . ومندوبنا لدى بلغاريا الكولونيل ماسوف ومندوب بلغاريا القائد كانتشيف . ومندوب العثمانيين الفريق زكي باشا وممثل المانيا فى القسطنطينية القائد لوتسوف وهو صديق حميم لانور . على اننا كان لنا في الاستانة رئيس اركان حرب المانى وهو القائد برونسار رفون شيليندورف الذى أخلفه القائدفون سيكت

وحينما وصلنا الفيلد مارشال وانا الى بليس شرعنا في توحيد القيادة العليا لجيوش التحالف الرباعى وأصدر الامبراطور امرا بذلك . ولقدصار على اثر ذلك ان المعسكرات الكبرى العامة للدول حليفاتنا كلما حدث بينها سوء تفاهم رجعت الينا للفصل في اسباب الخلف الشاجر بينها كما وقع ذلك بين بلغاريا من جهة والنمسا والدولة العثمانية من جهة أخرى

والخلاصة اننا الفيلد مارشال وانا اضطلعنا بادارة دفة الحرب في الجبهة الغربية وفي الجبهة الشرقية الى الدوبروجه

ومع ان مجموعة جيوش الارشيدوق شارل والجنود الواصلة الى ترانسلفانيا كانت تحت امرة المعسكر العام الاكبر النمسوى في تيشين الا انها كانت خاضعة فى حركاتها للخطط التى كنا نرسمها لها فكانت فعلا تابعة للمعسكر العام الاكبر الالمانى

وقد تركت الجبهتان الايطالية والالبانية الى تصرف القائد كونراد بتاتا

وكانت الحالة في الميدان المقدوني تستدعي توجيه عنايتنا الخاصة الى الجيش العثماني والبلغاري المرابطين فيه الا اننا لم نتمكن من أن نكون العامل الفعال في انهاضهما

—٦—

ولقد كان جلالة الامبراطور هو الرئيس الاعلى المفوضة اليه السلطات العليا في القيادتين البرية والبحرية. فرؤساء قيادة الجيش البري والاسطول تابعون له مباشرة ويدير رئيس اركان الحرب العام للجيش المقاتل الاعمال الحربية طبق ارادة جلالته . الا انه على تمام الاستقلال في تنفيذ الخطط المقررة.

ولرئيس اركان حرب البحرية العام من الاختصاصات ما لزميله البري فهما متساندان في العمل لتكون خطط الحرب العامة متفقة في اجزائها. وكانت العلائق بين الهيأتين في منتهى الاحكام.

وكان حاكما بروكسيل وفارسوفيا تابعين مباشرة للامبراطور الا انهما من الوجهة السياسية يتلقيان التعليمات اللازمة لهما من المستشار الامبراطوري. ويسيران في الشؤن الحربية وفق رغائب المعسكر العام الاكبر. ومع ذلك فاقتضى الحال في احد الايام استصدار أمر خاص الي حكومة فارسوفيا لارسال مقدار من الخيول . وأما بقية البقاع المحتلة فظلت تحت ادارة رئيس المعسكر العام الاكبر نفسه . فكل معسكر يتولى أزمة البقاع التي يحتلها

وكان وزراء حربيات بروسيا وبفاريا وساكس وورتمبورج متكاتفين معنا ولهم ممثلون لدينا يفيدوننا فوائد لا تقدر . ولقد تحققوا من عدم

يحاباتي واحداً منهم انني انظر الى مصالح بلادهم بانصاف واخلاص. وافرق كل منهم محاسنها وعيوبها الافرق. و رتمبورج فلم يكن لها سوي محاسن وكذلك يجب الثناء على الجنود البادنيين وان لم يؤلفوا قوة قائمة بذاتهـا . ويجب الاعتراف هنا بانه فى حالة اقتضاء التضحية العظمى لاجل سلامة الوطن فان الرجال الذين يستدعون من الداخل لاداء هذا الواجب لا يحضرون الى الجبهة الا وهم تحت التأثير السارى فى الدخل فلا يفيـدون الجيش الفائدة المنتظرة منهم

ولم تكن لى بالقواد حكام الجهات صلات الا فيما يختص بالتعليم الوطنى وقد صار هؤلاء تابعين مباشرة لوزارات حربياتهم على أثر اعلان الاحكام العرفية بقرار من الرايخستاج سنة ١٩١٦ وصار نفوذ وزراء الحربيات عظيما على أثر انتشار الاحكام العرفية

وكان لرئيس المكتب الحربي الامبراطورى من السلطة والنفوذ ماليس لسواه من الرؤساء حتى أن المعسكر العام الاكبر كان يخاطبه مخاطبة الند للند. ولم يكن هذا الرئيس مسؤلا الا أمام الامبراطور وحده. ويشتغل هذا الموظف الكبير بجد واخلاص جاعلا اساس حكمـه على الامور قائما على تقارير الرؤساء . ولم أكن مسؤلا أدبيا الا عن تبعات ما يحدث من ضباط أركان الحرب العامة وعن الاوسمة التي يمنحونها . وكان رئيس المكتب الحربي الامبراطورى مختصا بالمثـل فى النظر فى منح الاوسمة للضباط ولهذه المسـألة شأن هام فى الجيش . ومن سوء الحظ أن منح الاوسمة كان يستغرق مـدداً طويلة وهـذا ما حمل المعسكر العـام الاكبر على أن يسـعى فى السماح له بمنح شـارات الشرف للجرحى فى الحال .

وتتبع ادارة شؤون القتال فى المستعمرات وزارة المستعمرات. وهذه

الوزارة لم تكن بينها وبين هيأة أركان الحرب العامة صلة متينة فى زمن السلم ولذا لم تفكر في ايجاد وسائل الدفاع القوية اللازمة عن مستعمراتنا ولم نستفد من هذه المستعمرات ما استفادته فرنسا من استخدامها جنود مستعمراتها السود في معركة السوم . كما أن فرنسا اعتمدت فى هجومها سنة ١٩١٨ على هؤلاء الزنوج وبالطبع اننا لم نكن نستطيع ان نشاغل بقوى مستعمراتنا الافريقية مقادير عظيمة جداً من جنود الاعداء في القارة الافريقية نفسها . ومع ذلك فان الجنود الالمانيين القلائل الموجودين في شرق افريقيا أبدوا من البطولة ما لامثيل له اذ استجروا قوات معادية جسيمة . الا أن مستعمرتنا الكائنة فى جنوب افريقيا الغربي لم تبد المقاومة التي قد كنت انتظرها منها فدهشت لتسليمها بسرعة . الا أن الفضل فى ثبات جنودنا في شرق افريقيا يرجع الى شجاعة القائد فون ليتوف فوربك وقوة ارادته فقد ظل يقاتل حتى خريف سنة ١٩١٧ مابين الروفيجي والرودفونا ثم انتقل الى الاراضي البرتغالية وابث يحارب فيها الى انتهاء الحرب

ويعتبر المعسكر العام الاكبر والمستشار الامبراطورى فى مستوى واحد والذي يجمع بينهما هو جلالة الامبراطور . وكثر اختلاطنا بالحكومة الامبراطورية ولكن على غير ما يرام . وما كنا نلاقى الاهتمام المرجو من جانب الحكومة عند ما كنا نعرض عليها مطالب الرؤساء العسكريين بخصوص جعل الشعب الالماني أهلا لاحراز النصر النهائى . وكان الجهاز الحكومى فى برلين بطيء الحركة جداً وكانت كل مصلحة تعمل بغير ارتباط بالمصالح الاخري ولا سبيل الى الجمع بين اعمالها المتفرقة الا بمثل مواهب بسمارك وهذه المواهب استحالت على مستشارينا الجدد . الا أن العلائق تحسنت وانتظمت بين المعسكر العام الاكبر والمستشار على اثر ارسال هذا

الاخير ممثلين له يقيمون بجانب المعسكر العام الاكبر . واحدث قدوم الوزير فون شتاين تلطيفاً عظيما فى أوائل سنة ١٩١٧

وكانت مسألة توحيد الدستور الالمانى هى اهم ما يشغل الافكار في ذلك العهد ولعلها تكون الخطوة الاولى في سبيل تنظيم وطننا وتقويته

—٧—

بدأنا الفيلد مارشال وانا أولى جولاتنا فى الساحة الغربية يوم ٥ سبتمبر واقبل وريث المانيا للسلام علينا بالقرب من شارلفيل وعلمنا انه سر بوقف الهجوم على فردان وأظهر رغبته فى ابرام الصلح

وقابل الفيلد مارشال فى شارلفيل ضباط قسم اركان الحرب العام الموجودون فى هذه المدينة . وان شطر هيأة أركان الحرب العامة الى قسمين احدهما هنا والآخر في بليس ووجود مثل هذه المسافة الشاسعة بينهما مما يعرقل سير الاعمال الى درجة عظيمة . فوسائل المخابرات التلغرافية والتليفونية البديعة لا تقوم مقام المحادثات الشفوية رأساً . ووددت ان أيسر اجتماع هيأة أركان الحرب كلها فى مكان واحد فى الساحة الغربية ولكن في غير شارلفيل التى لم يكن موقعها موافقا . الا أنه كان من المستحسن فى هذه الآونة البقاء فى بليس لان الحملة الموجهة على رومانيا تستدعى وجودنا على مقربة من القائد كونراد المستقر فى تشين

وبينما كان البحث دائراً فى كمبريه يوم ٧ سبتمبر صباحاً اذا بوقعة حادة تجرى على شاطىء السوم . ولم تكن طرق الدفاع المتبعة الى الآن عن الجبهة الغربية حسنة موفقة . الا أن احداث تغيير فى نظام توزع الجيوش لم يكن

ميسوراً الا بعد انتهاء المعركة الجارية

وأخذ القواد رؤساء اركان حرب القطاعات الدائر فيها التطاحن بين الفريقين يوضحون لنا التفاصيل . وكان فقد الاراضي أهون شيء لدى من شؤون المعركة وانما الذى كان يشغل بالى هو استنباط الوسيلة التى تخرج بها هذه المعركة من مجراها التى تسير فيه الى هذه الآونة والطريقة التي نتلافى بها النقص الفادح الآخذ فى التزايد من شدة وطأة القتال. وهمنى جدا أن أعرف حقيقة قوانا المحتشدة فى الساحة الغربية الآن وكنه الخطة الموضوعة لادارة القتال فيها . فأما معرفة الاولى فكانت ميسورة وأما استكناه الثانية فكان في منتهى الصعوبة . وذلك لان وجهات النظر في الخطط تتعارض بشدة كتعارضها فى المسائل السياسية والاقتصادية

ان الصورة القاتمة التى تمثلت ازاء بصرى فى فردان وعلى السوم ازدادت قتمة بما طرق أذني من التفاصيل المكدرة . الا أن بصيصاً من الضوء كان يلتمع من خلال هذه القتمة وهو ضوء البطولة الالمانية التى تحمل كل الماني على استسهال الآلام بعامل الوطنية المشتعلة فى النفوس . ولا يسعنى أن آتي هنا بوصف دقيق لما سمعته من التفاصيل عن ضروب الشجاعة التى اظهرها الجنود الالمانيين فيهذه المعركة . وخير ما يقرأ عن هذه المعركة القصيدة الحماسية التى صاغها فى قالب نثرى ضابط شاب من آلاى هامبورج المتين

لقد جمع العدو مقداراً هائلا من المدافع وأمدها بأكرام لا تحصى من الذخائر وجعل احكام مرماها موكولا الى ارشاد الطيارين فمزقت مدفعيتنا شر ممزق ولم تكن قوة الدفاع لدى مشاتنا كافية لصد جموع العدو الكثيفة فخسرنا فضلا عن قواتنا الادبية وفضلا عن الدماء التى جرت انهاراً أعدواً

عظيماً من الاسرى ومقادير جسيمة من الادوات الحربية

واخذ رؤساء الجيوش يلحفون فى مطالبتنا بالمدافع والذخائر والطيارات والفرق المنتعشة المستريحة . وأصبح في استطاعتنا اجابتهم الى سؤلهم على أثر وقف الهجوم في ساحة فردن ولو ان الوقائع المحلية هنالك لم تزل تستنفد مقادير جسيمة من الذخائر

وأخيراً طار المعسكر العام الاكبر بوصول عدة فرق منتعشة من التشكيلات الجديدة اليه . كان أن الادوات الحربية والطيارات اخذت ترد بكثرة من الداخل الا أن مسألة الذخائر هي التي بقيت تشغل بالنا لاننا نر يد منها مقادير فوق كل حد ووصف

وصار من أول الواجبات اتخاذ الوسائل الكافية نحو بطاريات العدو المهيئة للهجوم ثم استئصال افواج المشاة المستعدة للزحف قبل ان تتمادى فى زحفها على خطوطنا ، الا اننا عدلنا عن هذه الخطة لعدم توفر المدافع والذخائر اللازمة لها . وأصبح من اهم الشؤون الحربية نظم حساب الاطلاق لان هذه المسألة تفيد أمرين عظيمين ، أولهما توفير القذائف ، والآخر اصابة الهدف بسرعة . أما الطيارات فلم تفد سلاحاً ناجعاً فى مقاتلة الجيوش المتحركة الى هذه الآونة كما صارت فى أواخر سنة ١٩١٧ وفى سنة ١٩١٨ الا أن طيارى الاعداء الذين طاروا فى معركة السوم في مسافة قريبة من الارض استعملوا المدافع السريعة ضد جنودنا فأدركوا نتائج مهمة . والنتائج الحاسمة فى كل الوقائع تتوقف علي اعمال المشاة ولذا فانى كنت أميل دائماً الى المشاة وأوصيت أبنائى بان يلتحقوا بالمشاة ولقد التحقوا بها الا أن جو الطيران اجتذب انظارهم اليه فيما بعد كما اجتذب أنظار كثيرين من الشبان

ان هؤلاء المشاة هم الذين يتعرضون لاشد الاخطار ويلاقون

حتوفهم اكثر من زملائهم الآخرين وعلى مجهوداتهم ترتكز قوائم النصر ومع ذلك فانهم متى عادوا الى ديارهم كان حظهم من الفخار اقل من نصيب سواهم . ويندمج في مصافهم من يكابدون الاهوال مثلهم كالفرسان ووحدات الحفارين والهندسة وعمال التليفون والتلغراف .

واذا كان هذا شأن المشاة فمن الواجب العناية بهم وعدم تعريض دمائهم للجريان جزافا. لقد علم العدو بقيمة المشاة فاستعاض عنهم فى كثير من الاحوال بآلات القتال . اما نحن فلقلة الآلات الحربية لدينا ظللنا نتبع خطتنا القديمة القاضية بالهجوم او بالكر بجموع كثيفة . فلا بد لنا من الاكثار بقدر الامكان من المدافع الرشاشة على شرط ان تكون خفيفة سهلة الاستعمال فلا تحتاج الى عدد كبير من الجنود كما لابد لنا من الاستكثار من قاذفات القنابل وقاذفات القذائف اليدوية .ومن الضروري تدريب مشاتنا المخصصين للهجوم على ما تقتضيه هذه الحرب من طرق الهجوم الحديثة ، وهذه الطرق تحتاج الى وضع انظمة لها لم يكن لها وجود قبل الآن . ومن المحتم تغيير اقامة المواقع وشق الخنادق التى يكتشفها الطيارون بسهولة ويأخذون رسومها الفوتوغرافية بالتدقيق فتكون خير هدف لمدفعية العدو . والخلاصة ان معركة السوم استدعت حدوث تعديلات عظيمة فى اكثر خطط الحرب وآلاتها بل كثيراً ما اقتضت قلب الشيء رأساً على عقب .

كل هذه الشؤن تدارسناها فى مؤتمر كمبريه. وخرجت من ذلك المؤتمر وانا معتقد وجوب ادخال تعديل عظيم على نظام الجيش باسره .

لقد كنا نتبع فى الميدان الشرقي نظامنا القديم وكنا ندرب وحداتنا الجديدة عليه اما في الساحة الغربية فنحن امام حالة جديدة تقتضى مقابلتها بما يلائمها .

وعلى اثر هذه المباحث الهامة اخذت افكر فى امور كثيرة تحفظ حياة جنودنا لاني أذا كنت مجبراً على قذف هذه الجموع المتماوجة في سعير الهيجاء فاني بالمثل مكلفا بالمحافظة على دم كل جندي الماني فلا يذهب بغير جدوى .

واثر فى نفسي مؤتمر كمبريه وما احتشد فيه من خيرة القواد الذين لبثوا اكثر من عامين يتولون مهمة الدفاع امام أعظم جيوش العالم .

وجعلني هذا المؤتمر أشد رغبة من الاول في مطالبة الحكومة الامبراطورية بايفاد الجنود بكثرة وبارسال مقادير جسيمة جدا من الادوات الحربية والذخائر و ببذل منتهى الجهد في انعاش القوة النفسية فى الشعب الالمانى

و بعد الانتهاء من مؤتمر كمبريه العسكري تناولنا الطعام على مائدة و ريث بافاريا وهو غير مزود بالميول العسكرية الا أنه يؤدي واجب الجندية الذي يفرضه عليه الوطن. وهذا الامير كوريث المانيا يجنح الى ابرام صلح لاغبن فيه على احد الطرفين ولكنه كزميله لا يعلم اذا كانت دول الاتفاق تشاركهما فى هذا الحل . اما الدوق البيرت الورتمبورجي قائد الجيش الرابع الذي حضر هذا المؤتمر فكان شديد الميل الى الجندية على نقيض زميليه .

و بدأنا فى الاياب بعد الظهر مارين بالبلجيك فصحبنا حاكمها مسافة طويلة باحثناه اثناءها في خفض قوانا الموجودة فى بلجيكا كما اننا رجونا منه ان يجمع لنا كل ما طلبناه من الادوات الحربية .

وفى اليوم التالى استدعينا المسيو دو يسبرج والمسيو كروب الى قطارنا و بالبحث معهما فيما اذا كان من الميسور انماء محصول الذخائر أوضحا لنا انه ميسور اذا حلت مشكلة العمال.

و بلغنا بليس صباح ٩ سبتمبر . فاصبحت عارفاً بشؤون وظيفتي مدركاً

مقدار التبعة الواقعة على كاهلى . وابتدأت منذ هذا الوقت أؤدى واجبى بهمة عظيمه .

—٨—

ظل هجوم الاتفاق موصولاً في سبتمبر واكتوبر الى ما بعدهما. فاعاقنا عن استئناف الحملة على رومانيا وفى ترانسلفانيا. واستمرت معركة السوم الكبرى التى ابتدأت فى اول يوليه حافظة هولها الى منتصف يوليه. ولبثت دول الاتفاق تتابع الوثوب فى سائر ساحات القتال الى اواخر اغسطس بشدة متناهية .وعلى اثر اشهار رومانيا الحرب علينا عادت دول الاتفاق الى مواثبتنا بجرأة عظيمة وقد اسرف الاتفاق فى دماء الرجال اسرافه فى الذخائر وسائر الادوات الحربية . وفي ٣ سبتمبر ابتدأت سلسلة الوثبات المتعاقبة فى شمال السوم وظلت متوالية الى يوم ٧ ودخل العدو مواقعنا فى كل دفعة متغلغلا فيها . وهجم الفرنسويون يوم ٥ على جنوب السوم بالمثل فخسرنا عدة جهات . وعاد القتال فى شمال السوم منذ ٩ واستمر بشدته الى ١٧ فطرحنا العدو الى الخلف . ولبث العدو يثب علينا فى هذا القسم من الجبهة ويستولى على المواقع والبلاد الى يوم ٢٤ الذى بلغت فيه الازمة حدها الاقصى ومن ٢٦ الى ٢٨ بدأت وطأة الهجوم تخف.

وكانت المطالب التى تنهل علينا بشأن الضباط والجنود فوق حد التصور واضطررنا الى تخطى كل حساب في استجرار الوحدات من الجبهات الاخرى من الميدان . واختصرنا مدد الراحة والتدريب. اما نحن في بلبس فبلغ توتر اعصابنا الى النهاية القصوى واخذنا نتوقع كارثة عظمى. وكان لا بد لنا من وجود امثال قوادنا واركان حربنا للثبات ازاء هذا الموقف العصيب وعلى الاخص من وجود مثل هؤلاء الجنود الالمانيين !

واستمر القتال بحدة خلال شهر اكتوبر فى القسم الشمالى من ساحة الصدام . وعمد العدو الى وسائل اقوى من الأول في كفاحه الا ان شدة دفاعنا اخذت تتضح للعيان .

وهاجمنا الفرنسويون فى منطقة فردان فالتزمنا الدفاع

وهجم الايطاليون فى جبهة الاسيزو من ١٤ الى ١٧ سبتمبر هجمتهم السابعة ثم اردفوها بالهجمة الثامنة من ٩ الى ١٣ اكتوبر وخسروهما معا.

وقام الاتفاق بكرة فى ساحة مقدونيا بعد منتصف سبتمبر على البلغاريين غرب بحيرة اوستروفو فى اتجاه فلورينا فارجعهم الى المواقع التى بدأوا بالهجوم منه في شهر اغسطس ولم يكن البلغاريون قد حصنوا هذه المواقع من قبل فشكت الينا هيأة اركان حرب الجيش الحادى عشر هذا الخطأ الهائل الذي سيؤدي الى فقد موناستير وفقدها يحدث تأثيرا سيئا في بلغاريا. فلم يهمنى أمر هذا التأثير الذى لا دخل لنا فى سببه وانما اردت ادارة الجيش البلغاري بيد حازمة مخافة ان يستجرنا سوء تصرفه الى كارثة كبري فارسلت القائد اوتو بيلوف من كورلاند الى الجبهة المقدونية ليكون رئيس قيادة مجموعة الجيوش المحتشدة هنالك على شرط ان يكون تابعا للمعسكر العام الاكبر البلغارى فقبلت بلغاريا هذا القرار واستقر القائد بيلوف فى اسكوب . واصبح موقف البلغارين عصيبا فى النصف الاول من اكتوبر.

وارسل المعسكر العام الاكبر الالمانى جنودا المانيين من الساحة الشرقية الى ماروس لتقوية الدفاع النمسوي. ثم حدث تغيير فى مجموعات الجيوش المحتشدة فى الجبهة الشرقية النمسوية وفي قوادها . واستبدلت الفرق الالمانية اللواتي انهكهن طول تعرضهن للهجوم بفرق اخرى واستغرقت هذه الاعمال مدة طويلة .وكذلك اخذنا من الميدان الشرقى جنودا كثيرين الى الميدان الرومانى .

ولبث الروسيون يثبون في اواخر اغسطس واوئل سبتمبر على الجبهة الروسية فأخذت الجيوش النمسوية والالمانية المنتشرة على امتدادها تتراجع تحت شدة الضغط الروسي فلم ار بداً من تدارك هذه الجبهة بثلاث فرق خارجة من اتون الجبهة الغربية في حالة يرثى لها . ولقد ارسلتها الى ترنسلفانيا وقلبي ينضح دما . وشد ما كان الاسى يتغلب على نفسي كلما فكرت في مصيبة ازمتنا المستحكمة في الساحة الشرقية وما يعانيه جنودنا من الاهوال التي لا تطاق ولكن الواجب كان يحملنا على مواصلة الدفاع لاجل سلامة المملكتين .

وبعد عدة تعديلات واستعدادات استغرقت مدة طويلة ومجهودات عظيمة أصبحت جبهتنا الشرقية متينة ازاء الروسيين في منتصف سبتمبر . فكان نصيب الروسيين من الحملات الهائلة التي حملوها على طول امتداد الجبهة وتكبدوا فيها خسائر فادحة من الارواح البشرية النكوص على الاعقاب بالفشل التام . الا ان الحالة لم تكن قد توضحت تماما الى اواسط اكتوبر ولم يضعف اندفاع الروسيين . وظل المعسكر العام الاكبر الروسي مهتما باحراز النصر النهائي في فولهينيا وغاليسيا والكربات .

وطال امد زحفنا على الماروس الى آخر سبتمبر ولم يتعرض لنا الرومانيون في هذه الجبهة طول هذه المدة لان انقضاض الفيلد مارشال ماكنزن عليهم في الدبر وجه وانتظارهم انتصار الجيوش الروسية جعلاهم يسيرون الهوينا لمواجهتنا . ويظهر ان الرومانيين والروسيين ارادوا ان يكتسحوا الكاربات وينحدروا منها الى سهول هنغاريا الا ان جهلهم بالخطط الناجحة في مثل هذه الحالة صرفت افكارهم عن مهاجمة جناحنا المكشوف في مولدافيا واخذوا يتقدمون ببطء فكان كل يوم يمضي يعود علينا بفائدة عظيمة . فلم يعد دخول رومانيا الحرب بادني فائدة على الروسيا

وفى خلال هذه الوثبات الروسية المتتالية على الجبهة الشرقية كنا نحن مشغولين بحشد القوى اللازمة لمقاومة الروسيين ومطاردة الرومانيين فى آن واحد . وفى نصف سبتمبر الاخير بدأ احتشاد قواتنا في ترانسلفانيا يكتمل بالتدريج الاانه على كل حال بقى اقل من احتشاد الاعداء .

وفي ١٩ سبتمبر نجح الجنود الالمانيون في قذف الرومانيين الذين ارادوا اجتياز الماروس الى ماوراء الآكام الموجودة هنالك. وحينما استدعيت هذه الجنود الى الاشتراك فى الزحف على موهلباك عهد الى الجند النمسويين الاحتفاظ بممرات هذه الآكام فانتزعها منهم الرومانيون يوم ٢٥ غير ان هذه الممرات فقدت جانبا من خطارة شأنها .

ودخل الرومانيون امام الجيش الاول اكمة جو برجيني الصخرية عند المنعطف الاعلى لنهر الماروس وطردوا مخافر النمسويين التى على الماروس . وكذلك اخذوا يتقدمون في الجنوب الى زيكيلي - ادوارهيلى وشرق فوجارا . وظلت القوة الضئيلة المخيمة حول هرمانستاذ وهى مؤلفة من ثلاث فرق ثابتة فى مكانها . وتألفت قوى اخرى من جنود نمسويين تظاهرهم فصائل من الخيالة الالمانيين وانتشرت على طول الخط الممتد من شاتسبورج الى هرمانستاذ.

وصار من الواجب أن يبدأ القائد فالكنهاين بمحو المجموعات المندفعة فى اتجاه هرمانستاد وبعده يعبر البرج الاحمر وزحف الجيشان فى اتجاه الشرق .

ونجح مشروع هرمانستاد نجاحا باهراً فأحاطت فئة من جنودنا بالعدو من خلفه ثم هجم الجيش التاسع من جانبي هرمانستاد وظلت الوقائع محتدمة من ٢٦ الى ٣٠ سبتمبر فدافع الرومانيون الموجودون في هذه الجهة دفاعا شديداً بل عمدوا الى الهجوم فى بعض الاماوقات الا أن قوتهم الكبرى

لم تصل الى الملتحم الا بعد ان تلاشت القوة التي كانت مصطلية نيران الوغى على مقربة من هرمانستاد .

واندفع القائد فلكنهاين الى اعلا قمة في الجبال ليزيد الضغط الواقع على الرومانيين وساعدته عناصر اخري من الجيش الاول والجيش التاسع وكذلك زحف القائد آرز . وتلاقى الجيشان العدوان اثناء زحفهما. واحرز الرومانيون فى باديء الامر فوزا فى القلب الا ان الجيش التاسع هزمهم شر هزيمة والقاهم الى ما وراء الاكمة الصخرية في مطاردة باهرة دامت الى عشرة اكتوبر و بلغ من تأثير انتصار الجيش التاسع ان توالى انهزام رومانيو الجبهة الشمالية بالمثل وان تتمكن الجيش الاول المسوى من الزحف من جهة منيي الالات والماروس الى مولدافيا تخترقا الاكمة الصخرية الكائنة على التخم . وفي هذه الاثناء كان الفيلد مارشال ماكنزن قد احرز على الرومانيين نصراً مبيناً. فبينما كانت فصائل ضئيلة من جنوده تزحف على دوبريك في امتداد سكة حديد الدوبروجه كان الفيلد مارشال ماكنزن يهاجم ببقية قواه مدينة توتراخان المحصنة وبفضل اشتراك فصيلة بود الالمانية الضعيفة ادرك نجاحا مدهشاً اذ اسر فرقتين رومانيتين يوم ٦ سبتمبر بعد استيلائه على هذه المدينة . وأدت هجمة معجلة الى سقوط سليستره يوم ٩ . وكانت دوبريك قد اخذت في يوم ٤ . ولم يعد من المستطاع تخطى هذه الجبهة لان فلول الجيش الروماني انجدت فى الحال بفرقة روسية وفرق اخريات من مجندى اسرى النمسويين. ولقد كان القوم يتعجبون في صوفيا من تعرض الجنود البلغاريين للروسيين الا ان هذا التعجب في غير محله لان هؤلاء الجنود كانوا لايفرقون بين الرومانيين والروسيين كما ان مقاتلتهم هذين العنصرين عديمة الجدوي وطالما حدث نفار ما بين المعسكر العام الالمانى والجيش الثالث البلغارى.

وجه الفيلد مارشال ماكنزن جناحه الايسر الى الدانوب وجعل ضغطه الاشد هنالك واراد أن يحصر القوى المعادية التى اخذت تحتشد على خط قره عمر (على بعد عشرة كيلو مترات من دوبريك) وبحيرة اولتينا عند البحر الاسود . فاقتحمت فصيلة بود الالمانيه هذا الموقع المنيع وانحدرت مع الدانوب . الا ان البلغاريين لم ينتهزوا هذه الفرصة و ينقضوا على العدو ، واذا كانوا قد قاتلوه فان قتالهم كان ضعيفا الى حد ان تمكن العدو من الانسحاب بانتظام فى ١٥ سبتمبر . وتمكن العدو من التوطن في الموقع المحصن من قبل الحرب الممتد ما بين راسوفا وكوباديتو وطوزله . واردنا الاستيلاء على هذا الموقع الا اننا عدلنا عن هذه الرغبة لان قوة الهجوم هبطت من نفوس النمسويين الموجودين امامه ولا بد من نظم المواصلات اللازمة لنقل الذخائر وهذا يقتضى وقتاً .

وطلب الفيلد ماكنزن فرقة ليواصل الهجوم فترددنا باديًا فى اجابة هذا الطلب . وفيما نحن نجهز قوة الهجوم اذا بالرومانيين يعبرون الدانوب امام زاهوفو بقوى كبيرة ، فجمع الفيلد مارشال ماكنزن كل ما تيسر له جمعه على جناح السرعة واسرع بقذف الرومانيين الى شاطىء الدانوب الشمالى . ونجح اسطول الدانوب في هذا العمل الحربى نجاحا باهراً .

وفى اواسط اكتوبر كانت الحالة العامة متحسنة . ففى الساحة الغربية زالت الازمة العصيبة على الرغم من توالى الوقائع . واخفق الايطاليون فى وثبتين قاموا بهما . ويخشى فى ميدان مقدونيا من قيام الاتفاق بكرة قوية . وأصيب الجيش الرومانى بضربتين خطرتين في الدبروجه وترنسلفانيا . وشمل الهدوء الميدان الشرقى

لقد فشلت خطة الاتفاق القاضية بسحقنا فى خريف ١٩١٦ على الرغم من استمرار الوقائع الحادة فى اماكن متفرقة . فالمطلوب معرفته

الآن هو اي الجانبين يكون اثبت في المقارعة وأشد مراسا؟ لم يكن الجواب معلوماً لنا اذ ذاك كما هو معلوم لنا الآن . ان رومانيا لم تنهزم تماما الى هذه الآونة . فكيف يتيسر لنا البقاء على قيد الحياة بدون غلال رومانيا وبترولها حتى لو استطعنا انقاذ الجهة البترولية الغاليسية من عبث الروسيين

وأخذ الفيلد مارشال ما كنزن بالاستعانة بالفرقة الالمانية الواصلة اليه ببطء يقاتل العدو في دبروجه ويطارده بشطر من قواه ويسوق الشطر الآخر الى جنوب بوخارست فيما يلي الدانوب . وانحدر الجيش التاسع من مجموعة الارشيدوق شارل الى الجنوب منتحياً الافلاق من خلف جبال الالب الترانسفانية . وأخذ الجيشان المتحالفان يقاتلان العدو ويسعيان لاتصال بعضهما ببعض . الا أن الجيش الروماني كان لا يزال قوياً وقد أمده الروس بمساعدة فائقة

لقد خطونا نحن الاثنين الفيلد مارشال وأنا خطوة واسعة الى الامام منذ وصولنا الى المعسكر العام الاكبر الا اننا كنا ملزمين بان نعجل بالخطوة الثانية المؤدية الى تقوية سائر جبهات القتال واتمام الانتصار على الرومانيين لنحصل على مطالب الحياة . بيد أن هذا المقصد لم يتيسر لنا الا في أوائل سنة ١٩١٧ . ولم نكن نفكر في الخطر الذى كان محدقاً بنا اذ ذاك ثم تغلبنا عليه بل كنا نفكر في الاخطار الهائلة التي لا يزال يخبأها المستقبل

— ٩ —

ان الخطوة الثانية التي هممنا بها في أواسط اكتوبر شاقة جداً لان مهاجمة الجيش الروماني في موقعه الحصين عمل محفوف بالمكاره ولا توجد القوة الكافية لدينا للقيام به . على أننا ارسلنا الى الفيلد مارشال ما كنزن الفرقة التي كان يتطلبها . وأملنا ان يهجم الارشيدوق شارل بمجموعته من جهته لتطبق القوتان على الجيش الروماني في الافلاق الا أن زحف مجموعة

الارشيدوق والجيش التاسع الالمانى اصطدم فى عائق قوى من الاكمة الصخرية الكائنة على التخم فيما بين اورسوفا وبوكوفينا فرؤى العدول عن هذه الخطة الى سواها

واذ كان من الصعب اجتياز المنطقة الجبلية والانحدار الى الافلاق فلم يبق سوى اتحاد قوة الفيلد مارشال ما كنزن لتعبر الدانوب فتتوغل في الافلاق فتسهل للقائد فلكنهاين والارشيدوق شارل والجيش البلغاري اختراق المنطقة الصخرية . فبذلت جهدى لاقتطاع ثلاث فرق من المشاة وفرقتين من الفرسان من الميدان الغربى على الرغم من توالى الوقائع فيه واستقدمت فرقة من خيالة البلجيك . فتيسرت للفيلد مارشال ما كنزن القوة الضرورية للهجوم المقرر في منتصف نوفمبر

وقبل الشروع فى الهجوم على رومانيا تتابعت الوقائع في الجبهات الاخرى فاستمرت معركة السوم طول شهر اكتوبر بحدة عظيمة ومع احتفاظنا فى الغالب بمواقعنا فقد فاز الفرنسويون في كثير من الوقائع وكذلك دخل الانجليز فى موقعنا الكائن على مجري الانكر فكان دخولهم هذا ضربة قاسية أصبنا بها يوم ١٣ نوفمبر لان هذا الموقع كان منيعاً . وانتصر الانجليز كذلك فى ١٤ . وقاموا بهجمة عظيمة فى يوم ١٨ بذلوا فيها مجهودا عظيما الا انها كانت فى المجموع راجحة فى كفتنا . وحدثت معركة فى جنوب السوم بالمثل في ١٠ اكتوبر وانتصرنا فى ٢٩ على الفرنسويين فى معركة عزبة الدار الصغيرة وكان لهذا الانتصار الضئيل حبوط صدى فرح عظيم لانه أول فوز تكللنا به بعد الازمة الطويلة التى استحكمت حلقاتها في الميدان الغربى ولم تكد الحالة تهدأ فى جبهة السوم حتى تفاقمت من جديد فى جبهة فردان التى هاجمنا الفرنسويون فيها يوم ٢٤ اكتوبر واستولوا على دوامون وتخلينا يوم اول نوفمبر عن فو . وكانت خسائرنا مؤلمة ولا سيما من جراء

تلاشي بعض الفرق في الوقت الذى صممنا فيه على القيام بحملتنا الثانية على رومانيا . وفى منتصف نوفمبر عاود الاتفاق هجومه فى الساحة الغربية بمناسبة هجومنا فى الافلاق فازداد ارتياعنا الآن وطأة هذا الهجوم خفت بعد مدة قصيرة لقلة الرجال والذخائر لدى الاعداء

وتجدد الصراع بشدة متناهية في ساحة فردان اثناء أيام ١٤ و١٥ و١٦ ديسمبر وأحرز الفرنسيون نصرا عظيما اكسبهم مواقع عديدة . فأصبحنا منهوكى القوى فى الميدان الغربى من جراء الخسائر الفادحة التى أصبنا بها

وابتدأ الهجوم فى الجبهة الايطالية على الايسنزو فى أوائل نوفمبر فاخفقت الوثبة التاسعة فى يوم ٧ فهدأت هذه الجبهة وقتيا . ولم يكن لدى ايطاليا من القوة ما يمكنها من معاضدة حليفتها رومانيا الا ان النمسا كانت ضعيفة بالمثل الي حد ان لم تقو على اقتطاع بعض من قوى هذه الجبهة وارسالها الى الميدان الروماني

واخذت الحالة فى الجبهة المقدونية تسير في مجرى غير حسن فان خطوط المواصلات الخلفية فى السهل المقدونى لم تنتظم ولم يبق للمعسكر الالمانى العام امل في تثبيت الجيش البلغارى المتراجع فى موقعه الذي تقدم ذكره . فشرع فى اقامة موقع متأخر فى شمال موناستير فى وسط الوادى وفيما يلى الآكام الصخرية المنتشرة على شاطئ السيرنا فاجتاز جيش الاتفاق هذا النهير واستولى على قمم ذات شأن هام فلم يسع الجيش الحادى عشر سوى الارتداد الى ضواحي موناستير . على ان البلغاريين ارتدوا فى الوقعة التى حدثت فى منتصف نوفمبر الى الموقع الكائن فى شمال هذه المدينة فاحتلها الصربيون يوم ١٨ . وإذ ذاك أصبح مركز الجيش البلغاري مزعزعا . فلم يسعنا الا إن نمده بثلاثة أو اربعة طوابير ولم نعد نفكر فى

أخذ جنود بلغارية لتقاتل فى الميدان الرومانى وحينما شرعنا فى مهاجمة الافلاق فى أواخر نوفبر وأوائل ديسمبر ارتمى الاتفاقيون بحدة على موقعنا المقدونى الجديد فبذلنا منتهى الشجاعة فى مقاومتهم وانتصرنا عليهم. وتحسنت المواصلات الخلفية فامددنا الجنود بالمؤن والذخائر. وصلحت حالة الجبهة المقدونية ولكن على حساب الجبهة الرومانية التى تألمت لانتزاع الطوابير التى اخذت منا

وفى هذه الاثناء كان الاتفاقيون قد احتلوا بيريه وأثينا واستخدموا مواصلات اليونان واساءوا بالتشكيلات الفنزيلوسية

وحدثت وقائع متفرقة في جبهتنا الشرقية لم يلبث الروسيون ان عدلوا عن موالاتها لضعف مركزهم. الا انهم استمروا يهجمون فى الكاربات بحكم تعاضدهم مع الرومانيين. واستمر هجوم الروسيين والرومانيين موصولا فى ساحة الافلاق واصبنا من جرائه بازمات عصيبة في شهر ديسمبر. وساءت حالة الجيش الاول النمسوى الى الدرجة القصوى ولم ينج من الخطر المحدق به الا عقب قدوم الجنود البافارية

— ١٠ —

شرعنا في الحملة الثانية على رومانيا في اواخر اكتوبر واوائل نوفمبر اثناء الوقائع المتعددة فى سائر الميادين. وفي ١٩ اكتوبر بدأ الهجوم فكان لا بد من جريان الدم الالماني مرة أخرى فى هذه الجبهة لان حلفاءنا لم يكونوا أكفاء للقيام بمهمة الهجوم بل لقد بلغ من ضعف الحلفاء امام اعدائهم هنا ان كاد الرومانيون والروسيون يهزمون القوى الجرمانية البلغارية العثمانية الضاربة في الدوبروجه فى أوائل اكتوبر ولم يحدث اختلاف فى ميعاد الهجوم المتفق عليه بين الجيشين العدوين بسبب افلات

الفرصة من ايديهما . على أن هجومنا الذى تولى ادارته الفيلد مارشال ماكنزن تكلل بالنجاح وأدى بعد ثلاثة ايام الى احداث ثمرة هائلة في صفوف الاعداء الذين انطرحوا على اعقابهم الى ما وراء خط قونسطنزا تزرنا فودا . فلم يمهلهم القائد ما كنزن بل احتل قونسطنزا يوم ٢٣ بمستودعاتها الحافلة بالبترول وعلى أثرها استولى على تزرنافودا ولم تقف المطاردة الا على بعد عشرين كيلو مترا من شمال السكة الحديد ولم يقدم هذا القائد على استتباع المطاردة لان مجموعة الارشيدوق شارل والجيش البلغارى لم يتغلغلا فى البقاع البلغارية الرومانية من جبهتيهما فاضطر الى الوقوف عند هذا الحد والاستعداد لاجتياز الدانوب من جنوب بوخارست فى منتصف نوفمبر باعظم قوة تتوفر لديه. واختار الفيلد مارشال ما كنزن نقطة العبور سفيستوف زيمتباسيا فاقترب جيش الدانوب بهذه الطريقة من فصائل الجيش التاسع التى اندفعت من الغرب الى الافلاق وكان لا بد للاغارة على الافلاق من الغرب ومن الشمال من اتخاذ جهة أورسوفا وممر فولكان وممر زوردق او ممر البرج الاحمر ابوابا للدخول فلما هم القائد كرافيت فون ديلمنسجن ان يقتحم ممر البرج الاحمر بفيلقه الالبي واللواء النمسوى الجبلي الثاني اصطدم بمقاومة عنيفة وذلك على أثر القتال الذي دار على مقربة من هرمانستاد واراد عقبه أن يحمى جنب الجيش التاسع اثناء زحف هذا الجيش على كرونستاد . ولكي يجتذب اليه قوى كبيرة تخفف الضغط عن الجيش التاسع اتخذت خطة الدفاع فى شكل هجوم فعمد الرومانيون الى القيام بكرات قوية فدفعها الفيلق الالبي الا انه لم يستول فى خلالها الا على أراض قليلة في جنوب الممر الى نهاية اكتوبر . فصار من الضروري الالتجاء الى الحرب الجبلية طول مدة الشتاء اذا اقتضى الامر . ولقد قاتلت سائر الجنود بما فيها جنود اللواء النمسوي الجبلى خير قتال الا ان هذا النوع من الحرب يستغرق وقتاً

طويلا . ولقد حاول الجيش التاسع فى اوائل اكتوبر ان يقتحم بعض الممرات الجبلية الأخر فلم ينجح لتيقظ العدو وارتفاع الآكام وشدة ضيق الممرات الا ان هذه التجارب اكسبتنا معلومات قيمة استخلصنا منها الطريقة المثلى لاقتحام الممرات فبعد ان اعددنا العدة الكاملة لهذا المشروع واوجدنا أوتوموبيلات تسير على القضبان لاستخدامها فوق الخطوط الحديدية الرومانية عند دخول الافلاق ، اتم القائد كوهن استعداده يوم ١٠ نوفبر وعزم على الهجوم يوم ١١ . وكانت مجموعته المتأهبة لاقتحام ممر زردوق مؤلفة من أربعة فرق مشاة وفرقتين فرسان ولا بد لها من الاسراع فى التقدم الى الاولتو عن طريق كرايوفا. ومن جهة اخرى يجب ان نزحف في اتجاه اورسوفا وكذلك نندفع شرقاً خلف المدافعين عن مضيق البرج الاحمر ونهجم بلواء واحد عند بلوغ أورسوفا على زيفو . ووجب على القائد كرافت الذي وصلته نجدات وعلى الجنود الموجودة فى جنوب كرونستاد أن يواصلوا هجومهم . وفى ١١ نوفبر نال القائد كوهن انتصارات باهرا فر من المضيق وتخطى منطقة الجبال وهزم الرمانيين الذين واجهوه واستولى على تارجوجيو يوم ١٧ نوفبر ثم احتل كرايوفا يوم ٢١ ووصلت الخيالة الى الاولتو يوم ٢٣ ثم ادركها المشاة واستولوا على الجسر العتيق وعلى الجسور الاخرى التى اصيب اغلبها باعطاب

وفي هذا اليوم نفسه اجتاز الفيلد مارشال ماكنزن الدانوب وبلغ الشاطيء الشمالى على مقربة من زمينسيا بفضل الضباب الكثيف الذى انتشر اذ ذاك . وفى هذه الاثناء قاتل القائد كرافت قتالا موفقا فى الجبال الا انه لم يصل بعد الى راميكوفالاتشيا والى شمال كورتياوارجيس .

ومع استمرار الرومانيين الموجودين خلف نهر القائد كوهن على القتال

بشجاعة عظيمة فقد شرعوا يتراجعون من او رسوفا منحدرين مع مجرى الدانوب . ولم يلقوا اسلحتهم مع احداق القوى المتحالفة بهم من كل جانب الا فى اوائل ديسمبر بالقرب من المصب القديم .

وابتدأ جيش الدانوب يزحف يوم ٢٥ نوفمبر واجتاز الفيديا يوم ٢٦ وبعد أن تغلب على المقاومة الشديدة التى قوبل بها ع. دنيلوف فى الجنوب الشرقى من بوخارست وافتتح لجناحه الايسر معبرا ينساب منه بينما كان جناحه الايمن ينحدر مع مجري الدانوب.

واوجد الفيلق الالبي له منفذاً من مضيق البرج الاحمر فى يوم ٢٧ بالقوة فاندفع منه الى السهل وفى يوم ٢٩ دخل بيتستى وفى اليوم التالي استولى بتلبيه الكائن فى شمال ارجيس على بقاع فى الجهة الجنوبية الشرقية. فكن هذا الجناح الايسر مجموعة كرنستاد التى كانت مشتبكة فى وقائع حادة فى شمال كامبولونج بالخروج من الاكمة الصخرية . وكان القائد كوهن لايزال متخلفاً الى الوراء فلم يعبر الاولتو الا يوم ٢٧ وظل يوم ٣٠ بعيداً عن الاتصال بجيش الدانوب وكذلك عن الاتصال بمجموعة كرافت بثمانين كيلومتراً .

وعزمت القيادة الرومانية على استبقاء قوى كرافت وكوهن فى مكانهما ريثما تتمكن من مواثبة جيش الدانوب وفى أول ديسمبر هوجم الجناح الايسر لجيش الدانوب بعنف فى الجهة الجنوبية الشرقية من بوخارست واضطر الى التقهقر . فاصبحت الجنود التى عبرت النايلوف مشطورة واشتد حرج الموقف والذي حال دون اتمام الرومانيين حركة الطويق هو زحف فرقة عثمانية كانت سائرة في الخط الخلفى . وفى الحال قذفنا على الجيش الرومانى الجناح الايمن للجيش التاسع . ووصلت خيالة الجيش التاسع يوم ٢ ديسمبر الى معترك جيش الدانوب ووصلت اليه يوم

٣ فصيلة عظيمة من المشاة فزالت الازمة . وفى ٤ قام جنودنا بالكرة فانهزم الرومانيون .

وفي خلال هذه المدة اتصل جناح كوهن الايسر بمجموعة كرافت ودفعا الجيش الاول الروماني الى ماوراء اربيس في اتجاه الشرق .

و بعد الانتهاء من هذه العقبة اخذنا نفكر فيما اذا كانت بوخارست محصنة ام غير محصنه. لقد توجسنا خيفة من هذه المدينة فى بادىء الامر ولا سيما اذ رأينا الشتاء مقبلا فلا بد من التجهز لاستقبال العام الجديد وعمدنا الى اتخاذ كل ضروب الاستعداد لاقتحام هذه المدينة . على انه قد سرى عنى يوم ٦ ديسمبر حينما بلغنى ان فرق خيالتنا رأت في ليلة ٥ و٦ استحكامات هذه القلعة الشمالية خالية من الجنود وقد نسفت . وفى يوم ٦ امتلكنا بوخارست و بلو يستى وكامبينا . وتداتلف الرومانيون فى البقاع البترولية بامر الانجليز وادارتهم سائر الوسائل المعدة لانتاج البترول .

ولم يكن الروسيون قد اسعفوا الرومانيين الى الآن . ولا ندري سبب تركهم حلفاءهم يقاتلون بمفردهم مع علمهم بان هذا التخلى هو الذى هيأ لنا التغلب على الرومانيين . أما الآن فادركهم الخوف على جنب جيوشهم فاستقدموا قوى كبيرة فاضعفوا مركزهم فى الدبروجه ليكونوا أقوياء فى الافلاق .

ولم يبق امامنا بعد الانتصارات السالفة سوى مطاردة فلول الجيش الروماني وسحق الجيش الروسى المتجمع فى رومانيا والوصول الى خط مصب الدانوب والسيريت والتروتوس . الا ان الوقائع التى حصلت شرق خط بوخارست بلبوستى اخذت شكلاً آخر مخالفاً لسائر الوقائع التى جرت فى المعترك الرومانى حتى الآن . وذلك ان جنودنا ادركهم الكلل فلا يستطيعون ان يقاتلوا العدو الا مواجهة ولا سبيل للتطويق لان العدو

تقوى كثيراً ولا سيما في المنطقة الجبلية ،واخذ الروسيون يردون بكثرة عظيمة وهم يقاتلون أحسن من الرومانيين . واضحي استقدام الذخائر التي اشتدت الحاجة اليها الآن اكثر من كل وقت آخر عسيرا بسبب سوء المواصلات . وكثر تساقط الامطار وكثف الجليد فى اول العام الجديد .

وفى ١٠ ديسمبر التقينا بالروسيين والرومانيين المستحكمين على شاطىء البالومنيستا فتغلبنا عليهم بالمثل وعبرنا هذا المجري بسرعة واستولينا يوم ١٥ على بوزيو . وفي يوم ١٧ صرنا فى فضاء السهل أمام موقع حصين ممتد ما بين الدانوب عند هضبة مصب الكالماتويو والجبل عند راماتيكوسارات ويتصل الرومانيون أقوى اتصال في منطقة الجبال بالجنود التى تواجه مجموعة الارشيدوق شارل . وفى هذا الوقت دفع الفيلد مارشال ماكنزن الجيش البلغاري الثالث الى الزحف على شاطىء الدانوب الايمن . فبلغ المصب يوم ٢٤ بدون مقاومة تذكر وهنالك وقف تجاه جسر برايلا . وبعد تزوده بالذخائر اللازمة اقتحم الموقع الروسي الروماني واضطر العدو أن يدافع عن نفسه وهو متراجع الي نهير السيريت الاعلى . الا اننا لم نتغلب على مقاومة العدو الشديدة فى جنوب السيريت. واستمرت الوقائع ناشبة فى الافلاق الى شهر يناير .وأصبحت جنودنا في حاجة الى الرحة ،فاردنا نقلهم الى ميادين القتال الكبرى واستخدمنا لهذا الغرض السكك الحديد الرومانية فلم تكف . فاستعنا بوسائل النقل النهرية في الدانوب . واستغرق هذا العمل مدة طويلة . وفى ٤ يناير استولى جيش الدانوب على برايلا بعد وقعة شديدة . وتقدم هذا الجيش وهو متصل بالجيش التاسع ومنهمك فى وقائع متلاحقة أظهر فيها الروسيون قوة شديدة ولا سيما يوم ٦ يناير وفي يوم ٨ دخل فوسكاني وما وليها من النواحي الكائنة في شمال المدينة الى بوتنا . ولم تتكلل وثبة مجموعة الارشيدوق شارل التى قامت بها في

عيد الميلاد بالفوز إذ لم تتقدم هذه المجموعة نحو التروتوس . وألجأتنا شدة انتهاك قوة الجنود وفداحة البرد الى انهاء هذه الحملة فتحصنت الجيوش في الخطوط التي استولت عليها أخيرا . ومع إحرازنا النجاح النهائي في هذه الحملة الثانية على رومانيا فاننا لم نستأصل شأفة الجيش الروماني . واضطررنا لاجل هذا الامر إلى أن نبقى في الدوبروجه وفي الافلاق قوات لا يستهان بها من جنودنا نحن في حاجة الى استخدامها في الميدانين الشرقي والغربي أو على الاقل في مقدونيا

على أن مجموعة معاركنا حتى أوائل ١٩١٧ كانت مقرونة على وجه العموم بالنجاح فتغلبنا على جهود الاتفاقيين الموجهة الي سحقنا سواء أفي الساحة الغربية أم على الايسنزو ام في الشرق أو في الميادين الاخرى ولم يبق امامنا سوى استجماع قوتنا لمواجهة المباغتات الحديثة في العام الجديد

وقد أظهر القواد والجنود الالمانيون ثباتا عظيما وذكاء شديدا وعلمنا انحطاط النمسويين عن الروسيين وخابت ظنوننا في البلغاريين أما العثمانيون فقاموا بما كنا ننتظره منهم

وبعد هذا الكفاح الهائل أصبحت جنودنا كلها في أشد الحاجة الي الراحة حصة من الزمن . وكذلك بدت على الاعداء مظاهر الرغبة في الراحة الا أن تفوقهم في العدد جعلهم قادرين على القيام باعمال حربية في جبهة فردان تكللت بالنجاح وهذا التفوق هو الذي يمكنهم دائما من اراحة قسم من جنودهم . ولهذا سنراهم قريباً متملكين قواهم ومستعدين لمعاودة العراك

الحالة العامة

فى أواخر سنة ١٩١٦

—١—

ان الدلائل تدل على الرغم من الانتصارات الجليلة التى فزنا بها فى سنة ١٩١٦ على أن الحالة تسير فى طريق ادعى الى القلق . وما ذلك الا لان الاتفاقيين سيبذلون كل ما أوتوا من حول في سنة ١٩١٧ لا لتلافى خسائرهم فقط وهذا أمر ميسور لهم بل لاستمرارهم على احراز التفوق العددى العظيم

لقد جادت فرنسا بكل ابنائها ولكنها كانت لا تزال مالكة مستودعاً خارق العادة فى مستعمراتها من الرجال الذين تستخدمهم فى القتال ببراعة فائقة وانجلترا جادة فى اكمال جيشها وتوسيع نطاقه وتسعى الروسيا فى اعداد تشكيلات جديدة قوية جدا . فالجيش الروماني أعيد نظمه وتدريبه بمعرفة ضباط فرنسويين . وسيكون للتشكيلات المستحدثة من الوحدات النمسوية المأسورة ومن متطوعة القنزيلوسيين شأن كبير

اما نحن فلم تكن لنا من الموارد ما نراجح به تلك الزيادات التي سيمتاز بها الاتفاقيون لأن سائر التشكيلات المنتظر تكوينها والبطاريات المؤمل احداثها ليست سوى تبديلات مبتدعة فى نظامنا القديم أو استخدام القوة الاحتياطية المتوفرة لدينا . فلم يبق أمامنا غير ايجاد جيش بولوني حديث الطراز وهذا الجيش يكون عضداً قوياً اذا تم انشاؤه الا اننا علمنا ان انشاءه غير ممكن . فلم يبق لدينا سبيل آخر لاستمداد

قوى جديدة الا الاعتماد على ينابيع الرجال الموجودة لدينا ولدى حلفائنا

لقد أصبحت الزيادة العددية في الجيوش المتفقة خطراً عظيماً علينا بجانب المستحدثات الحربية التي أخذت تزداد لدى تلك الدول . و بعد أن تفننت في طرق القتال وابتداع آلاته أخذت، تكثر من الآلات والذخائر بدرجة لم يعهد لها مثيل وأصدرت لاجل هذا الغرض الاوامر والقرارات الصارمة التي وفرت الايدي العاملة وكثرت المواد الخام لان الاقيانوس مفتوح لبواخر تلك الدول وامريكا صارت تمدهن بكل مطالبهن جهاراً بل طفقت مصانعها تشتغل لهن بلا انقطاع : وقد شوهد تطور عجيب في تسليح الروسيين و في توفير ذخائرهم في أواخر سنة ١٩١٦ فقد أمدتهم اليابان بمقادير عظيمة من سائر الادوات و بالجملة تمكن الاتفاق من استخدام كل ما في بلاده ومستعمراته من العناصر المادية لاحراز التفوق العددى والحربي وساعدته امريكا واليابان وظهرت بوادر هذا التفوق الذي احرجنا في معارك السوم وفردان الاخيرة

فأصبح من الواجب على صناعتنا ان تبتدع ونصنع كل ما ينتظر منها لانماء قوتنا . لانه كان لا بد من انقضاء زمن طويل قبل تحويل هذا القول الى عمل لان مصانعنا على ما بلغته من الاحسان والاتقان لا يمكنها ان تتفوق على مصانع الاعادى الكثيرة التي تجعلها الوسائل المتوفرة لها تشتغل كانها في زمن السلم . فصار من المستحيل تكافؤ القوى بين الفريقين وفى مثل هذه الحالة لم يبق لنا سوى تدريب جيشنا على الحرب الدفاعية واتخاذ الاسلحة اللازمة لمثل هذا الضرب من القتال. الا ان العدو لا يلبث ان يحاربنا فى مثل هذا الضرب. والصراع فلا يكون تفوقنا فيه الا وقتياً .

اما المعسكر العام الاكبر فأصبح ينتظر في عام ١٩١٧ معارك تجرى من نوع معارك السوم التي التزمنا فيها الدفاع خلال سنة ١٩١٦ واصابتنا بأضرار فادحة جعلت مواقعنا حرجة جدا . ولذا أخذ يفكر في الطرق التي تمكنه من المصابرة اذا ما طال أمد الكفاح . وكان اهم ما يفكر فيه وسائل التموين ازاء خطر الاجاعة الذى أخذ يزداد تفاقما وتلافى انحطاط النفوس الذى يتولد من المجاعة ومن طول الحرب . ولم يعد المعسكر العام الاكبر يشك في سوء العقبى كلما امتد امد الصراع . و بقى له من العزاء أمر واحد يشد عزمه وهو قوة الايمان وصدق العزيمة . وهذا الأمر هو الذي جعل المانيا متغلبة حتى الآن على تفوق اعدائها العددي و باقية فى أراضي اولئك الاعداء فيما يلي حدودها .

— ٢ —

لقد كنا الفيلد مارشال وانا متفقين تمام الاتفاق على هذه الآراء التي اخذت تتوضح لنا فى اجلى مظاهرها على توالى الايام منذ أن تولينا رآسة المعسكر العام الاكبر فى اواخر اغسطس سنة ١٩١٦ . فرأينا ان نامر بتشييد استحكامات جديدة خلف البارزات الكائنة فى جبهتى السوم وفردان التى هاجمنا العدو لانتزاعها منا عدة مرار . وانما اردنا بالتخلى عنها تقصير هتين الجبهتين لتتوفر لدينا القوى الاحتياطية التى نستخدمها في المواقف التى تستدعى النجدات . وبما ان تشييد الاستحكامات الجديدة يقتضى ادوات بناء عظيمة وعدداً كبيراً من العمال فقد شخصت الى برلين لاطلب من الحكومة هذين الشيئين اوحمل الشعب قاطبة على الاندماج فى سلك العسكرية اذا اريد الاحتفاظ بموقفنا الحالى فاستدعت هذه الحالة الجديدة التفكير فى احد امرين اما السعى فى ابرام الصلح او الالتجاء الى حرب

الفواصات بلا قيد ولا شرط

فاخذ المستشار يفكر فى سبتمبر سنة ١٩١٦ فى توسيط الرئيس ولسن فى مسألة الصلح الا أن هذه الوساطة اعتبرت سيئة التأثير في المانيا لان ظهور الولايات المتحدة فى مظهر الانحياز الى الحكومات المتفقة سبب تذمراً شديداً منها . وعلى الرغم من هذا الشعور المنتشر فى المانيا عرض المستشار على جلالة الامبراطور مشروعاً يقضى بتكليف سفيرنا الكونت برونستورف أن يرجو من الرئيس ويلسن دعوة الدول بوجه عام الى التفاوض فى شأن الصلح باسرع ما يمكن اى قبل اعادة انتخابه للرئاسة في شهر نوفمبر. وقد ابتهجت بهذا المشروع ووافقت عليه مع علمى الاكيد بتصميم الاعداء على اهلاك المانيا . الا أن نوفمبر انقضى دون أن يتوسط ويلسن فادركني الياس حينئذ واذ ذاك اقترح الكونت بوريان أن يشرع التحالف الرباعى من تلقاء نفسه في دعوة الاعادي الى التصالح . فمع ارتيابي فى نجاح هذا المشروع الجديد لم أر بدا من قبوله الا انى رأيت عدم الشروع فيه قبل سنوح الفرصة التي لاتجيز للاعداء الاعتقاد بضعف وحبوط آمالنا في الانتصار النهائى . وحينما سقطت بوخارست فى قبضتنا يوم ٦ ديسمبر وجدت الفرصة مناسبة. واذ كان جلالة الامبراطور شديد الرغبة فى اعادة السلام الى العالم فقد اهتم أخيرا بالمسعى الذى بدىء فى اعلانه يوم ١٢ ديسمبر وبسطت شروطنا المختصة بالصلح في التقرير الذي نرسله الى الكونت برونستورف يوم ٢٩ يناير

فاستقبلت صحافة الاتفاق اقتراحنا السلمى شر استقبال . وظهر رد الحلفاء على اقتراحنا فى ٣ يناير فلم يبق بعده ادني شك فى تصميم الاتفاق علي سحقنا . ولو شاء الاتفاق ان يبرم الصلح لتقدم ازاءنا إلى مائدة المفاوضات ولعرض شروطه طبق رغبته حتى اذا ما وجد من

مفوضينا اجحافا او اعناتا التى علينا التبعة فتنصرف عنا وجوه حلفائنا الذين امضهم طول القتال . بيد ان الاتفاق رفض التفاوض في هذه المرات وفي سائر المرار التى حاولنا فيها التصافى لانه كان يخشى ان يتسرب الضعف الى نفوس جنوده ولانه كان عازما على عدم مصافاتنا قبل املاء شروطه الساحقة علينا

وكان الرئيس ويلسن قد خرج من دائرة صمته في ١٨ ديسمبر وعرض على سائر الدول المتحاربة مشروعا يقضي ببسط شروطهن المختصة بالصلح واراد بذلك أن يوجد جواً صالحاً لابرام صلح عادل لا يوجد فيه غالب ولا مغلوب

وطلب التحالف الرباعي اجتماع مندوبي الطرفين فى بلد محايد الا ان الاتفاق رفض قبول الاقتراح برمته. وظهرت ارادة لويد جورج فى سحقنا فى مذكرة الاتفاق المعلنة فى ١٢ يناير . فبعد هذا الاخفاق لم يبق بد من العودة الى الحرب للوصول الى الصلح بحد السيف . وحينئذ وجب علينا استخدام كل مواردنا فى مواصلة الحرب واشتدت عزيمتنا واتممنا استعدادنا .

—٣—

وعلى أثر ابداء آرائنا الفيلد مارشال وانا في نتائج هذه الحرب كان لا بد من الاعتماد على حرب الغواصات التى نراها خير جواب للحصار المضروب على المانيا

ولقد كنا الفيلد مارشال وانا في اغسطس وفي سبتمبر بالمثل لا نرى الفرصة سانحة لاشهار حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط وايدنا الاستشار اذ ذاك فى هذا الرأي وخطب به فى الرايخستاج يوم ٢٨ سبتمبر معتمدا

على وجهة نظر المعسكر العام الاكبر فانشطر الرأي حينئذ الى فريقين احدهما يحبذ هذه الحرب الى آخر حدودها والآخر يساند الحكومة في رأيها .

وفي اوائل اكتوبر تخابرنا مع امارة البحر في صدد هذه الحرب والوقت الذي يجب ابتداؤها فيه ثم دارت المفاوضات في تبعتها بيننا ومستشار الامبراطورية . وأخيراً بدأت هذه الحرب في اكتوبر نفسه واخذت الغواصات تستوقف البواخر وتفتشها . فادت الى نتائج حسنة اذ ارتبكت حياة العدو الاقتصادية . فهذا العمل في حد نفسه مفيد الا انه لا بد من انتظار ادخال تحسينات هامة في طرق الدفاع التي يتقي بها العدو غائلة هذا السلاح القاطع

ولقد صرنا بعد الانتصار على الرومانيين لا نتوجس خيفة من اشهار هولاندا او الدانيمارك الحرب علينا من جراء حرب الغواصات . ولكننا مع ذلك استصوبنا بقاءها على حالتها الحاضرة الى أن يعود جنودنا من الساحة الرومانية الى اماكنها من الجبهتين الشرقية والغربية والى ان تظهر نتائج اقتراح ويلسن ومشروعنا المختص بابرام الصلح . ولذا أرجأنا اطلاق العنان لغواصاتنا الى أوائل فبراير . ولقد صارت الحكومة الامبراطورية في هذه الآونة غير خائفة من اشهار الدانيمارك وهولاندا وسويسرا واسبانيا الحرب علينا ولكنها صارت تتوقع دخول الولايات المتحدة بهرة القتال من جراء هذه الحرب البحرية ولم أخش مما يحدثه انضمام الولايات المتحدة الى صف الدول المتفقة من زيادة ارسال المواد الحربية فان هذه الولايات تفعل كل ما في وسعها من هذه الآونة ولكن الذي كنت أخشاه هو ارسالها جيشاً جراراً وعملها باغراء الدول المتفقة على التفنن في وسائل الاقتتال

وكان من رأي أمير البحر الذي مع صداقته الشديدة للمستشار فهو من اعظم أشياع حرب الغواصات بلا قيد ولا شرط ان هـذه الحرب توقع انجلترا فى ازمة اقتصادية عظيمة تجعلها عاجزة عن الاستمرار على القتال ، وانها تنقص الى درجة عظيمة مقادير الآلات الحربية والذخائر القادمة الى فرنسا بل تعرقل الى حد كبير نقل الجنود من انجلترا الى فرنسا واكد وزير البحرية ان في استطاعة للمصانع البحرية تعويض الغواصات التي يتمكن الاعداء من اغراقها بل فى استطاعتها بالمثل متابعة زيادة الغواصات ولاجـل ايجاد البحارة اللازمة للعدد الكبير من الغواصات التى ستباشر هذه الحرب كان لا بد من الالتجاء الى بحارة الاسطول المساعد اما الضباط والمهندسون فيؤخذون من الاسطول العامل ولكن مع مرعاة عدم اضعاف الاسطول الذى أصبحت الحاجـة اليه تجاه هذا الحرب امس من الاول لانه هو الذى سيفتح الطريق للغواصات بالتقاطه الالغام التي ينثرها العدو وفضلاً عن ذلك فان توقع دخول الولايات المتحدة الحرب يضـاعف الحاجة الى الاسـطول . وأصبح من الضررى الاهتمام بحركات العمارات البحرية المعادية فى بحر البلطيق لكى لا تعرقل سير النقل فى البلطيق . وكذلك توقعت إمارة البحران يكون لحرب الغواصات رعب فى قلوب المحايدين الذين ظل الاتفاق يستخدمهم فى مصلحته الى هذا الوقت.

وباحثنا امارة البحر فى نقـل الجنود الجدد الامريكيين وادواتهم واستنتجنا من البحث الفنى الذي ابدته فيما بعد خبرتنا في نقل حملتنـا على جزيرة اويسـيل فى خريف ١٩١٧ انه لابد لنقل مليون عسـكرى امريكى من نقالات تبلغ حمولتها خمسة ملايين طن ولا يوجد لدى الدول الغربيـة ولو على الاقل فى الوقت الحاضر هذا المقدار . ومع انى لم ادون لاحصاء الاقتصادى الذي قرره امير البحر كنتيجة مؤكدة لحرب الغواصات

لعلمى بان مثـل هذا الحساب لا يمكن ان يعتبر نهائياً الا بعد تحققه فأنى كنت اسلم بشيء واحد فقط من مجموع هذا الاحصاء وهو ارتباك حركة نقل الذخائر الى فرانسا ولومدة سـنة واحدة أي قبل الشروع فى نقل التشكيلات الامريكية الجديدة الى اوربا ، وفى هذه الحالة استطيع ان احتفظ بموقفنا طول هذه المدة فى سائر الميادين .

وعلى اثر طواف واسع النطاق قمت به فى السـاحة الغربية ارسلت تلغرافاً مطولاً الى برلين اعرب فيه عن قنوطي من نجاح أى مسعى فى سبيل الصلح . وفى ٢٣ ديسمبر ارسل الفيلد مارشال مذكرة ايضاحية ابدى فيها اراءه المختصة بضرورة حرب الغواصات المطلقة من كل قيد. ودارت اخابرات بيننا والمستشار في هذا الصدد . واخيراً افاد المستشار ان مسألة حرب الغوصات تختص بالسياسة الخارجية التى يتحمل هو وحده تبعتها فأجاب الفيلد مارشال بما يلى : « تعلمون سعادتكم بصفتكم مستشارا بالامبراطورية تحملكم تبعة هذه المسألة وحدكم ، الا انني لاازال متشبثا لكل ما اوتيت من حول وقوة بتحمل تبعة كل عمل يؤدى الي الانتصار النهائي والى اعتقادى بان لا بد من الركون الى الوسائل التى اراها مستحسنة من الرجهة العسكرية » ولكل من الطرفين الحق فى وجهة نظره والحكم الاعلى فى مثل هذه الاختلافات هو جلالة الامبراطور.

ودارت مفاوضـة بين لمستشار والمعسكر العام الاكبر فى بلبس فى أواخر ديسمبر بشأن الصلح ووساطة الرئيس ويلسن الاان المداولة النهائية حدثت يوم ٩ يناير تحت رآسة جلالة الامبراطور . وبعد ان ورد الرد الذى صاغه الحلفاء دافع امير البحر عن وجهة النظر التى ذهبت اليها من قبل وهى تأثير حرب الغواصات فى سير الحرب العام في بحر عدة أشهر اوحينئذ الفيلد مارشال هذا الرأي وطالب بتنفيذه وبعد ان أوضح المستشار

ما سيكون لحرب الغواصات المطلقة من التأثير في الحكومات المحايدة أوضح رأيه في عدم دخول احدى تلك الدول الحرب لهذا السبب سوى الولايات المتحدة . ثم ذكر أن مسعانا الخاص بالصلح قد اخفق وأن مركزنا لم يتغير ولن يتغير في نظر الدول المتفقة حتى في حالة سقوط احداهن وهي الروسيا وخروجها من صف القتال . وفيما نحن ننتظر ان يختم بيانه هذا بالحض على اتخاذ كل الوسائل المؤدية الى انهاء الحرب بسرعة اذا به يختتمها بأمثال هذه الجمل المتفقة مع مزاجه المتردد :(فتقرير حرب الغواصات يتوقف اذن على النتائج السياسية التي لا نزال نترقبها) و(لكن اذا ارتأى كبار العسكريين ضرورة اشهار هذه الحرب فاني لا اعارضهم) و(اذا ما دعانا الظفر الى تتبع أثره فلابد لنا من اجابة دعائه) واخيراً انضم المستشار الى سائر المشيرين على الامبراطور باشهار حرب الغواصات. فامر الامبراطور بالشروع في هذه الحرب المطلقة من أول فبراير مع استثناء البواخر التي تكون حينئذ شارعة في دخول منطقة الحصار وفي الخروج منها. وارسل المستشار المذكرات المختصة بهذا الصدد الى الدول المحايدة في ٣١ يناير واصدر أمير البحر التعليمات اللازمة الى رجال الغواصات مع لفت انظارهم الى مراعاة ما يحول دون دخول اميريكا الحرب وهذا ما يتفق مع وجهة نظرنا

وعمدت القيادة العامة الى اتخاذ وسائل التحفظ في الشمال على الرغم من اطمئنان المستشار من جانبي هولانده والدانيمارك . فاقيمت في شمال المانيا الاستحكامات وارسلت فرق الخيالة واتخذ معسكر عام لهذه الجبهة الجديدة في مونستر . وأما على التخم البلجيكي الهولاندي فلم نشيد أي استحكام بل تركنا هذا العمل الى الجنود القادمة من رومانيا اذا مست الحاجة اليه فان لم نجد موجباً له نقلنا هذه الجنود الى الميدان الغربي

— ٤ —

فى أواسط يناير وصلت الى وزارة الخارجية مخابرة كتابية من الكونت برنستورف جاء فيها أن مذكرة البواخر التجارية المسلحة من « شأنها أن تفضي الى اخفاق مسعى الرئيس ويلسن » فادهشتني هذه المخابرة لانى لاعلم لى بتداخل ويلسن مرة أخرى . فالكونت برنستورف يشيرإذن الى سعى الرئيس ويلسن فى ١٨ ديسمبر الذي رد عليه الاتفاقيون فى ١٢ يناير . فرد المستشار فى ١٦ يناير بما يلى . « لقد عزمنا على التعرض (لقطع العلائق بل اذا اقتضي الحال لمحاربة الولايات المتحدة) » وبعد ارسال هذا التلغراف وهو لم يكد يصل الى الكونت برونستروف اذا به يرسل تلغرافاً يقول فيه . « اذا لم تكن هنالك أسباب حربية قهرية فان التأجيل (لحرب الغواصات المطلقة) يكون موافقاً جداً لان ويلسن يذهب الى انه قادر على تحقيق الصلح على القاعدة التى اقترحناها وهى تساوى سائر الامم فى الحقوق » .

وعلى أثر ذلك خاطب وزير الخارجية امير البحر فى ارجاء هذه الحرب الى أن تتوضح الحالة تماماً منعاً لقطع العلائق مع الولايات المتحدة

وبما انى لم أكن مطلعاً على المخابرات المتبادلة بين الحكومة وسفيرنا فى الولايات المتحدة ولم اسمع من المستشار سوى ان المخابرات التلغرافية مضطربة مع الكونت برونسنورف وان الحالة غامضة هنالك فقد دهشت عند ما وجدت المستشار بيتمان ووزير الخارجية زيمرمان حاضرين الى بليس وموجودين في حضرة الامبراطور يوم ٢٩ يناير للتداول في اقتراح جديد يرمى الى توسيط الرئيس ويلسن . وأخذ المستشار يتلو مذكرة اعدها ليرسلها الى الكونت برونستورف لتكون أساس المفاوضات على

قاعدة بقاء الحالة على أصلها وهي تتضمن ما يأتي : —

« رد قسم الالزاس العليا الذي يحتله الفرنسويون . الحصول على حد يضمن سلامة المانيا حربياً واقتصادياً وحداً آخر من جهة بولونيا تجاه الروسيا . اعادة المستعمرات باتفاق يضمن لالمانيا ممتلكات استعمارية تطابق عدد سكانها وقيمة مصالحها الاقتصادية . اعادة الاراضي الفرنسوية التي يحتلها الالمانيون مع ادخال تعديلات عسكرية واقتصادية من جهة الحدود وكذلك مع تعويض مالي . اعادة استقلال البلجيك مقابل بعض ضمانات تستدعيها طمأنينة المانيا وهي ضمانات يصير تعيينها في اثناء المفاوضة مع الحكومة البلجيكية . وضع صك تحكيم في المسائل الاقتصادية والمالية قائم على قاعدة تبادل الاراضي المفتتحة من الطرفين والتي سترد الى أصلها بموجب المدول عن سائر الاتفاقات والوسائل التي تعرقل التجارة والنقل بعد ابرام الصلح بابرام اتفاقات جديدة تقضي على الاولى . ضمانة حرية البحار » .

ولم يشأ المستشار تعطيل حرب الغواصات الحرة بل كلف الكونت برونستورف أن يبلغ الرئيس ويلسن أن هذه الحرب البحرية تبطل اذا وجدت قاعدة لمفاوضات الصلح

وعلى اثر تقرير مقدم من امارة البحر النمسوية في فينا قررت الحكومة النمسوية اعلان حرب الغواصات الحرة فاستقبلت هذا التضامن بابتهاج واعتراف بالجميل . ولقد كنت اترقب هذا الامر لان حرب الغواصات لا تكون ناجعة الا اذا كان لها مفعول شديد في البحر الابيض المتوسط بالمثل

ولقد أدركت بعد جلسة الرايخستاج التي عقدت في ٢٧ فبراير ان الشعب الالماني بأسره أصبح يظاهر الحكومة بعد تحققه من إخفاق مسعانا السلمي

اوليس ادل على هذا الشعور الاجماعي مما جاء في خطابة شايدمان الرئيس الاشتراكي التي القاها في الرايخستاج بمناسبة اشهار حرب الغواصات اذ قال : —

« سيعلم العالم أجمع مقدار ما تملكنا من الحبور العظيم عند ماعرضت لحكومة الصلح على العالم اجمع لاسباب وبواعث كالتي تقوم في نفوسنا واذا بخصومنا يحسرون القناع في ردهم المخجل على مذكرة ويلسن بغباوة عن مقاصدهم المنطوية على الفتح والاهلاك ، فهنالك انتفضت وتوطدت عزائمنا على الدفاع عن وطننا بشجاعة نادرة المثال . فلن تخرج من قلوب الشعب سوى صرخة واحدة هي : خبر لنا المحو التام من مثل هذا الصلح ! فكل انسان كان ينتظر بلا شك ان يتقبل خصومنا الدعوة الالمانية الى المؤتمر بالرضى مع احتفاظ كل امرىء بآرائه واصراره على جماحه وتصلبه ومناداته بقوته وعزيمته وموالاته دس الدسائس وجسه النبض في المفاوضات الاولى. وأما هذه الالفاظ المتناهية في الفظاظة وفي استفزاز النفوس الصادرة منهم وهذا البرنامج الصلحى الخالى عن كل معنى والذى البس الحقائق ثياب الشك والتردد فقلما كان ينتظرها الناس وهيهات ان يتملصوا من تبعة اعتدائهم الحديث على الانسانية التي تحملوا اصرها برفضهم بخشونة الصلح الذى عرضته المانيا عليهم. فلويد جورج هو الذى يحرض على ما يقرره الآن مديرو شؤون الامبراطورية الالمانية فى حرب الغواصات. فحرب الغواصات قد صار تقريرها بصفة قاطعة في مؤتمر الاتفاقيين الذي التأم في روما . أما الآن وقد استقر القرار على نشوب هذه الحرب ، الآن وقد دخلت فى دور التنفيذ فلا يسعنا الا ان نأمل ان توصلنا هذه الحرب الى الصلح المنشود . اننا نعتمد على قوة شعبنا المدجج بالسلاح من أخمصه الى ذؤابته . فهو الذي سيحقق مايحسبه الخصوم

مستحيلا . فشرف الامبراطورية وكيانها وحريتها لا بدلها ان تخرج من هذا الصراع الهائل سليمة من كل سوء »

ولم يك هذا التصريح سوى الافضاء بتباريح الضمير ازاء رغبة العدو الصادقة في سحقنا وما هو الا استدعاء الشعب الى مولاة الصراع حتى النهاية . فليجعله الله نداء مسموعا محققا !

— ٥ —

اغمض الامبراطور فرنسوا يوسف عينيه فى ٢١ نوفمبر أيفنوز بالراحة الابدية . وكان وجوده الدعامة المكينة التى ترتكز عليها المملكة الثنائية المتحدة . على انه لم يستطع ان ينفث فى هذه المملكة روحاً جديداً ، وذلك لان مستشاريه لم يكونوا من عظماء الرجال القادرين على مزج العناصر المتعددة واخراج امة واحدة قوية الحياة منها . وكان صديقاً صدوقا لتحالفنا على الرغم من كونه لم ينس ساعة ما سنة ١٨٦٦ التى تنازعت فيها بروسيا والنمسا السيادة على المانيا .

وفى اوائل ابريل ١٩١٦ احتفل بمضى نصف قرن على اندماج الفيلد مارشال هندنبورج فى سلك العسكرية وجرى هذا الاحتفال في كوفنو فالقيت خطبة وجيزة في هذا الصدد ذكرت فيها ان الفيلد مارشال شهد حرب ١٨٦٦ . ولم تكد كلماتي تنشر لا ادرى فى اية صحيفة حتى ارسل الي المستشار فون بيتمان هولويج يعلمنى أن خطابى استقبلت فى فينا أسوء استقبال لانى حركت فيها ذكرى حرب ١٨٦٦ ورجا منى ان احول دون نشرها . الا ان تحقيق هذا الرجاء كان مستحيلا . ولقد دهشت من الحمل الذى حمل خطابى عليه بلا طائل فينا كدهشتى من الخطاب الواصل الي فى هذا الصدد من برلين . ان حرب ١٨٦٦ احدثت تأثيرا دائماً بالغاً

في نفس الامبراطور فرنسوا يوسف وكانت سببا فى فقده ثقته بجيشه الذى لم يعتمد عليه فيما بعد بقلب مطمئن على الرغم من موالاته العمل لانهاضه وتقويته .

ولقد أصبح موته خسارة اصبنا بها ولا يمكن الاستعاضة عنها . ولم يكن بوريشه الذي قتل الارشيدوق فرنسوافرديناند بالرجل المقدام كما قيل عنه . بل كان فى الحقيقة حاد المزاج متراوح الرأى لا ينطوي على شيء من الصداقة لالمانيا . وحاول جلالة امبراطورنا ان يؤثر فى نفسه ونفس قرينته ليمسحهما بالمسحة الالمانية . ولقد افضى قتله الى اوخم العواقب . وكان شؤما بالاخص على الروسيا لأنه ادى الى زوالها . ولو بقي الوريث المغتال لما صار كفؤا لاخلاف الامبراطور المتوفى لان شؤن المملكة المزدوجة ارتبكت فى خلال الحرب وآلت الى اسوإ حال . فاصبحت الامبراطورية النمسوية على اثر وفاة فرنسوا يوسف فى عوز الى رجل يتخطى بنبوغه المستوي العادى ويوجد فى مجموعة الدولة المزدوجة الحماسة الغربية التى تمكنها من المضي في الحرب الحاضرة .

رايت الامبراطور شارل لاول مرة فى ديسمبر ١٩١٤ وكان لا يزال في نضارة الصبي وهو اذ ذاك ارشيدوق . ثم التقيت به فى اوائل نوفمبر ١٩١٦ فاذا به قد اكتمل عوده واصبح اقرب الى الرجولة منه الى اليفاع . فأخذ يعرض آراء واضحة في الشؤن العسكرية . الا ان العبء الذى القي على كاهله كان افدح من ان تنهض به مقدرته فلا مناص له من التململ تحته . وود أن يؤلف بين عناصر الامبراطورية الا انه لم يتغلب على سياسة المجر المشوبة بالالمانية ولم يتمكن من صرفها عن منع اصدار المواد الغذائية الى القسم النمسوي . ومن خصائصه جنوحه الى ولاة الامور التشكيين الذين كانوا يعملون جهارا ضد مصلحة المملكة . فنجم عن هذا الامر انتشار

النزعة الانفصالية وتخوف العنصر الالماني الذي لبث محافظا على ولائه للاسرة الامبراطورية العتيقة .

ولم يكن الامبراطور الحديث من انصار التحالف ، ومع ذلك فقد كان شديد التعلق بالمانيا . وكان جنوحاً الى ابرام الصلح الا انه تخطى حد هذه العاطفة في خطابه الذي بعث به الى زوج اخته الأمير سيكست . وهو شديد الشغف بان يكون الرئيس الاعلى للجيش النمسوى . ولتحقيق رغبته هذه ادخلت تعديلات عديدة على الرآسة العليا للجيوش المتحالفة . وهو وان لم يكن جنديا فقد اراد ان يبذل منتهى ما في وسعه لترقية الجيش . ومن الاسف ان زوجة الامبراطورة زيتا كانت منصرفة القلب عنا لانها مستسلمة الى رجال الكهنوت وهم ليسوا اصدقاءنا .

ووزير الخارجية الكونت كزرنين رجل ذكى العقل واسع الخبرة بشؤن العالم وهو اعظم اقتداراً من رجال الويلهمستراس . وهو يتبع الطرق التي ينتهجها مستشار برلين . ومع انه لم يكن موافقا على مشروع العفو الذى اصدره الامبرطور للتشكيين فقد بقى محتفظاً بوظيفته . وكنت اشعر بميل شديد اليه وارتاح كثيراً الى محادثته . الا انه لسوء الحظ اعتقد بسهولة متناهية مزاعم الويلهمستراس المختصة بتسلطي على ازمة الاحكام .

وكان القائد فون آرز رئيس اركان حرب القائد فون كونراد وهو الذى رأس مجموعة الجيوش المخيمة في جبهة التيرول . وكانت علائقي بالقائد كونراد قوية واساسها الثقة ، ولذا عظم اسفى عند ما غادر شؤن وظيفته .

وأصبحت أشد ارتباطا بالقائد آرز من سلفه لانه محب مخلص للامة الامبراطورية وللجيش الالمانية ، وقد اشتد حبه للجنود الالمانيين من كثرة احتكاكه بهم في سنتى ١٩١٥ و ١٩١٦ واذا لم يكن متصفاً بمرونة

الذكاء التى يمتاز بها القائد كونراد فانه جندي ذو رأى صائب وارادة صادقة متجهة لرفع قيمة الجيش النمسوي

وكنا واثقين دائماً من وجود مساعدة بديعة على الدوام في المعسكر العام النمسوي .

قاعدة متابعة القتال

وآلة الحرب

فرضت علينا الحرب أن نستخدم آخر مالدينا من القوى الانسانية . ولهذا اتفق المعسكر العام الاكبر مع ذوى الشان من الحكام على توزيع رجال الامبراطورية بين الجيش والبحرية والاعمال الداخلية .

ولقد كانت النجدات الواصلة الى الجيش المحارب الى هذه الآونة مستمدة من الجرحي الذين بفضل العناية الصحية العظمى صاروا يعودون بكثرة عظيمة الى الجبهة . وكذلك أخذنا نستقدم الشبان المقترعين الذين لم تتجاوز سنهم التاسعة عشرة . وكان لا بد لنا من توفير العدد اللازم لبناء الاستحكامات الخلفية ولصنع أدوات الحرب فى الداخل . وكان يؤلمنى اصطلاح (صالح للحامية) لانى لا أدري لماذا هذا الانسان (الصالح للحامية) لا يكون صالحاً للجيش العامل فيحمل بندقية كزميله ليشاركه فى الدفاع عن الوطن .ولقد كانت الطبقات المخصصة للتجنيد تتمشي من سن السابعة عشرة الى الخامسة والاربعين وهذا التحديد لم يرضنى لانه لا يتفق مع احتياج ميدان القتال . ففى سبتمبر سنة ١٩١٦ رسل المعسكر العام الاكبر أول اقتراح يرمى الى جعل الاقتراع ممتداً من الخامسة عشرة الى السنة

الستين والى فرض الخدمة الجبرية على النساء بشروط مخصوصة . وبهذا يصيب الجيش حاجته من الرجال وتجد الصناعة نصيبها من الايدى العاملة .

وكانت أجور العمال ومرتبات الجنود من أهم ما يشغل بالي . وأردت أن أحسن مرتبات الجنود الذين يجودون بارواحهم لحماية الوطن الا ان الحكام الداخليين لم يلبوا سائر مطالبي . ومع ان مرتبات الجنود لم ترتفع فان أجور العمال لم تخفض الا الى درجة الاعتدال . وكان من المظنون ان تخفيضها سيسبب اقتصاداً فى نفقات المطالب الحربية . الا اننا لم نلبث ان أصبحنا أمام أزمة اقتصادية هائلة من جراء الغلاء الذى أصاب المواد الاولية الذى حتم ارتفاع أجور العمال . ولم نتخلص من هذه الازمة الا باصدار قانون العمل الجبري . ولكن هذا القانون لم يف بالغرض المقصود لان الحرب الجديدة اصبحت تستدعى استنفاد سائر موارد البلاد من الاناس ومن المواد الاولية وتستوجب التضحية على كل فرد يعيش فى حمى الوطن ومن خير الوطن. فطلبنا من المستشار اصدار قانون جديد يفرض الخدمة العامة الاجبارية على كل انسان في البلاد الالمانية فبعد مطاولة استغرقت شهرين اصدر الرايخستاج قانوناً يفرض الخدمة المدنية . وهذا القانون لا يفى بالغرض المقصود ولكنني استقبلته على كل حال بالاستبشار والتهليل لا للفائدة المرجوة منه بل لما سيحدثه من التأثير في نفوس الاعداء بانضمامه الى انتصارنا المبين في رومانيا

ولقد سنحت لي الفرصة التى مكنتني من حضور جلسات الرايخستاج بصفتي الرئيس الاول للمعسكر العام الاكبر بمناسبة المناقشة فى هذا القانون فاسفت جد الاسف لتحققي من انه لا تزال توجد بعض احزاب فى الرايخستاج لا تريد أن تتناسى الانانية والمصالح الشخصية فى مثل هذا

الموقف العصيب . فالحرب الحالية دائرة حول بقاء الشعب الالماني أو فنائه ومن الواجب ازاء هذا الغرض ان نتناسى كل شيء خلاف القيام بالواجب الوطنى

وبما أن قانون فرض الخدمة المدنية لم يؤد الى الغرض المقصود منه ولا سيما لبقاء عدد عظيم من النساء معفيات منه وظلت الحاجة شديدة الي الايدي العاملة لاجل موالاة الحرب فقد سعيت لانشاء نوط صليب الخدمة المساعدة وحملته بين سائر أوسمتى العسكرية وأنا شديد الفخر املا أن يؤدي هذا العمل الحديث الى ظهور روح النشاط الاختياري فى نفوس الشعب

وبذل الاختصاصيون جهوداً عظيمة فى توفير سائر مطالب الجيش ولانجاح جهودهم اضطررنا الى اقتطاع ١٢٥٠٠٠ شخص من الجيش فى شتاء سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ . وأدت كثرة الاعمال الى أن نوجد اختصاصيين يشتغلون بتعليم مشوهي الحرب والنساء كثيراً من الاعمال ونجحنا فى هذا المشروع نجاحاً باهراً . الا أن الهمة المبذولة لم تكن فى كل مكان بنسبة الحاجة الماسة

وأدى اتساع نطاق الصناعة وتعدد محصولاتها خدمات جليلة جداً للجيش اذ انه استجر منه عددا هائلا من السواعد القوية . على ان اشتداد وطأة القتال والتفنن فى اختراع آلات الاقتتال جعلت الحاجة الى الصناعة الحربية شديدة جداً . وحدثت عدة اضرابات لا يمكن اعتبارها الا من قبيل الخيانة الكبرى أدت الى تناقص المقادير المصنوعة . على ان الحكومة لم تبد شيئا من الحزم فى هذا الصدد . فاضطررنا الى نقل عدد كبير من العمال الالمانيين الى بلجيكا والى استقدام عدد عظيم من العمال البلجيكيين الى المانيا وكذلك استخدمنا عدداً لا يستخف به من العمال البولونيين

وكان لاسرى الحرب الروسيين الفضل الاعظم في توفيرمطالبنا الاقتصادية ولا ننسى ان اسرانا أفادوا دول الاتفاق فى الصناعة الحربية فائدة عظمى وصرنا كلما اسرنا عدداً كبيراً من الاسرى أخذنا نتداول فيما اذا كان الانسب استخدامهم فى الجهات المحتلة أو ارسالهم الى داخل المانيا ، وبعد البحث الطويل نتبع ما هو أوفق للمصلحة العامة . وقد أخذت الصحافة الاتفاقية تنعى علينا هذه الوسائل وهى حرة فى عملها هذا ولكن الذى يستحق التفكير وجود نغمات من هذا القبيل بين ظهرانينا مع العلم بما يقتضيه الواجب الوطنى من التشدد فى التماس الايدى العاملة

— ٣ —

في الوقت الذي سعينا فيه للحصول على موارد فياضة من الرجال شرعنا ننفذ برنامجنا المختص بالادوات الحربية . وكان أهم ما يلزمنا منها المدافع وذخائرها والمتراليوزات ثم تجيء بعدها الاشياء الاخرى . وصنع المدافع لم يكن مقصوراً على تقديم المقادير اللازمة منها من الطراز الحديث بل كان يشمل اصلاح المدافع القديمة وتعديل المدافع المكتسبة من الاعداء وكنا فى حاجة كل يوم الى احداث تغييرات عديدة تستدعيها تجارب الحرب ولهذا لم يسعنا ان نجدد المقادير اللازمة . على أن معارك السوم وفردان اقتضت همة عظمى فى صنع المدافع لا لكثرة ما اتلفه العدو من مدافعنا بقذائفه التى لا تحصى فقط بل لاننا استعملنا فيها مدافعنا الى درجة لم تبق بعدها قابلة للاطلاق . واشتدت حاجتنا للمدافع ذات المرمى البعيد لان العدو باستعمال هذا النوع توصل الى ازعاج حركة التموين والتأهب فى المؤخرة وجعل صلات القوات المتقدمة مع المؤخرة فى منتهى المشقة وكذلك ضاعفنا مجهوداتنا للاكثار من المدافع البالغة فى الضخامة والمترامية

قذائفها الى ابعاد سحيقة . وقد تداخل جلالة الامبراطور فى الامر فمكننا من الحصول على المدافع التى من هذا القبيل فى القطع البحرية الحربية المعتبرة خارجة عن دائرة الخدمة العاملة . وفى هذه الآونة صار الشروع فى صنع مدافع ميدان عادية وهونيسة من ذوات المرمى البعيد جدا . ولم نستطع أن نجعل طلباتنا محكمة الا فيما يختص بالمدافع الثقال . على اننا لم نتوفق الى اختيار مدفع خاص بالمشاة كما اتفق لنا هذا الاختيار فيما بعد وكنا نجحنا حينئذ فى تحضير المدفع عيار ٦ . لابادة عربات الهجوم ، وانما نحتاج الى العدد الكثير منه

ويتوقف ازدياد مقادير الذخائر على التوسع فى صنع البارود وصنعه مرتبط بتوفر مواده الاولية وللكبريت والازوت شأن هام فى تحضير الذخائر الحربية وبذلنا جهداً عظيما فى توفير البارود على الرغم من قحط الفحم وما كدنا نخلص من مشكلة البارود حتى اصطدمنا بعقبة الصلب فمازلنا نعالجها حتى تغلبنا عليها

ولم تنته مشكلة الذخائر عند حد صنعها بل ترحيلها وتوزيعها كان أهم شىء لانها متعددة الانواع بدرجة عظيمة ولا بد للقواد من خبرة فائقة بانواعها وحجومها ليستطيعوا ايصال المقادير المطلوبة بالدقة الى اماكنها واذا لم تتوفر هذه الخبرة فان الاضرار الناجمة عن عدم توفرها لا يمكن تقديرها فتفسد سير المعارك وتؤدي الى أوخم العواقب . واستعضنا عن الشرابنل بقذائف مركبة من مواد تنفجر من أقل مساس بالارض .

وأصبح من اهم الأمور لدينا ان تكون عنايتنا بتحضير الغازات معادلة على السواء اهتمامنا بصنع جميع الذخائر الاخرى . وقد اخذ ارسال الغازات من الانابيب القاذفة يقل بالتدريج لكراهة الجنود استعمالهم هذه الانابيب ففضلت عليها القذائف الغازية . وأصبحت قنابلنا ذوات الصليب

الاصفر شر سلاح يرتاع منه الاعداء. وظل الخوف من تأثير غازاتنا متسلطاً مدة طويلة على نفوس جنودنا ولم تخف وطأته الا على تمادى الزمن. وقد ادى المستشار الخاص هابير خدمة جليلة بتنظيمه وسائل الكفاح بالغازات.

وكذلك استعملنا قنابل تنفجر عن سحائب من الدخان.

واختصصنا المشاة بعتر اليوز عظيم السهولة وخفيف جداً. على ان جنودنا كانوا لا يزالون شغوفين بعتراليوزاتنا القديمة الثقيلة وقد استبقوها لدفع اغارات العدو في هجماته ولتصيد الطيارات. وكذلك امددنا المشاة بمقادير عظيمة من القذائف ذوات النواة الصلبية ليقاوموا بها الطيارات وعربات الهجوم. وطفقت وزاة الحربية تمد بندقية لمكافحة هذه العربات.

وعلى اثر فقد الخيول بكثرة وعدم التمكن من الاستعاضة عنها صرنا فى أشد الحاجة الى اتوموبيلات نقالة تنقل الجنود والمؤن والذخائر. بيد ان المواد الاولية التى تصنع منها هذه الاتوموبيلات غير متوفرة بكثرة، وبصرنا بالعدو ينقل جنوده من معسكراتها الى الملاحم فى الاتوموبيلات التى تسع عددا كبيراً من الركاب ثم تعود بالجنود المتعبة من الميادين الى المعسكرات، فتمنينا ازاء هذه المزة التى يتمتع بها العدو لو حصلنا على العدد الكافي من العربات السيارة التى تمون الجنود بالاطعمة والذخائر فى مختلف الساحات.

ولم تعن لنا الفرصة السانحة بصنع عربات الهجوم.

واخذت الجيوش المتمادية تتبارى فى استكثار المحلقات المتفوقة فى التحليق في الحال وفى سرعة السير وكنا نحن السابقين فى الغالب. وفى سنة ١٩١٨ توفرت لنا محلقات من ارقى الانواع وقد تمكن طياروها الذين لا نريد التعرض لوصف جرأتهم التى لا تبارى من احراز الفوز المبين على الاعداء فى الميادين الجوية.

ولو شئنا ان نذكر تفاصيل الاعمال التى قمنا بها لاعداد سائر

وسائل القتال المستحدثة لاستغرقنا وقتاً طويلا . فمن هذا القبيل مثلاً صنع الاسلاك الشائكة التي كانت الحاجة ماسة اليها بكثرة وهي معرضة للعطب بسرعة من تأثير القذائف التي لا تحصى . فقام الكولونيل باور بتنظيم هذه الاعمال في برنامج جرت المخابرات العديدة بشأن تنفيذه مع برلين واطلق عليه اسم برنامج هندنبورج. على ان برنامج المعسكر الاكبر كان في الحقيقة احوج الى القوى الادبية والى الرجال منه الى الادوات الحربية.

واضطررنا الى صنع القاطرات الحديدية فاعدنا مصانعها التي كنا قد حولناها الى معامل اسلحة وذخائر وادخلنا تحسينات جمة على وسائل نقلنا.

وكل هذه الاعمال كانت تقتضي الاهتمام بتوفير بعض المواد الأولية والكف وقتياً عن توفير مواد اخرى . ولأجل عدم الشطط في تنفيذ هذه التصميمات صار من الضروري التداخل في جميع الشؤون الاقتصادية.

وصار من المحتم مرور اوقات طوال قبيل تحقيق برنامج هندنبورج اذ لابد من جمع المواد الخام واعدادها لكن العمل وتوزيع العمال الاختصاصيين عليها . وبالنظر لاتساع نطاق هذا البرنامج واستغراقه مدة طويلة من الزمن رؤى من المستحسن اعادة البحث فيه ووضع حدود له . ولو استمررنا على تنفيذه على علاته لاحتجنا الى التعرض لموارد الجيش البرى والبحرية الاحتياطية من الرجال . وقد ارتفعت اصوات منتقدة محورتقدها دائر على انه من المستصوب ترك هذه الاعمال الى وزارة الحرب . ولكننا لم نلجأ الى هذا البرنامج الا بعد ان رأينا ضرورة مباشرتنا الاعمال اللازمة لنا بانفسنا . ونحن لا يعزب عن بالنا ان كل مشروع عرضة للمنتقدين وان بعضهم قد يكون محقاً في بعض ملاحظاته الا ان هذا البرنامج الذي بدىء في تنفيذه ببطء وكانت ثمراته ضعيفة في اول الأمر اخذ يتدرج في التحسن على توالي الأيام وهو أوفى وافيد برنامج وقعت عليه ابصارنا حتى الآن.

ودارت الحركة الصناعية بمنتهى السرعة والنظام بفضل « مصلحة صنع الاسلحة والذخائر وهي احدى فروع الادارة العامة لصنع أدوات الحرب » التي يرأسها القائد كوكيت ذو الاطلاع الواسع على المسائل الفنية والصناعية ويساعده على تنفيذ أوامره ركنا حربه الغيور ان القومندان ستاتلا بندر والكولونيل فوتزيا خير فالجيش مدين بالفضل فى الحصول على كل مطالبه لرؤساء هذه الادارة .

وأبدت الصناعة اولئك الذين يديرون شؤون القتال فاسعفتهم بكل مطالبهم وان كانت قد تقاضت أثمان ما قدمته وكيف لا تتقاضاها وهى لم تتم الا برؤوس اموال جسام وباجور عمال عديدين . وقد اخذ العمال يغالون فى رفع أجورهم فاوشكوا أن يحدثوا أزمة اقتصادية عظيمة ولهذا صار من الضروري تداخل الحكومة . وبفضل مصلحة الحرب انتظم سير الاعمال وتلاشت مشاكل العمال . وأملت أن تتوصل هذه المصلحة الى تحقيق أمنية يتمناها الجميع وهى التوفيق ما بين العمال واصحاب الاعمال

وعلقت الصناعة الحربية تنشط فى كل مكان حتى في البلاد المحتله . الا ان عمال مصانع الاسلحة فى بلجيكا صمموا على عدم العمل الا اذا تعهدنا لهم بعدم استعمال أسلحتهم فى الميدان الغربي . وهذا الشرط لم يكن في استطاعتنا أن نقبله . فلم يسعنا ازاء هذه الحالات الا ان ننقل آلات المعامل المشاكسة الى المصانع الالمانية لتضاعف مجهوداتها

— ٣ —

تولي امر تموين المانيا بالمواد الاولية الكولونيل كويت الذي جعل نصب عينيه حاجة المانيا الحربية . وكان له تأثير عظيم فى نقل الخامات من البلاد المحتلة . وأما استيراد المواد الاولية من البلاد المحالفة لنا أو من

البلاد المحايدة فكان من اختصاص ادارة خاصة في وزارة الحرب البروسية ذات اتصال وثيق بالكولونيل كويت . وكل ما توصل اليه الكولونيل كويت هو تزويد الجيش بمطالبه الضرورية ولم يتمكن من الاستزادة بالنظر لموقفنا اتجاه البلاد الاجنبية . ومع التأكد من الحصول على المواد الاولية الضرورية مدة طويلة فان الاهالي أصبحوا في أشد الاحتياج الى أشياء كثيرة . فحرموا من الملابس ومن الاحذية . بل لقد أدى ارتفاع أثمان هذين الصنفين الى صعود سائر الاسعار فاصبحت المعيشة شاقة . وهذه الحالة استوجبت حزني ودعتني الى أن خاطب الحكومة في صددها ولكن الحكومة لم تأت بعمل حاسم . حتى ان ما عانيناه به الآن انما هو جزاء وفاق لاعتمادنا في زمن السلم على الواردات الاجنبية . وللافاقة هذه الازمة الحادة عهدت الى اللفتنان كولونيل شميت ريدير الاهتمام بالاصناف التي أصبحت نادرة الوجود . فامتزج هذا الضابط بالادارة الامبراطورية او بالصناعات فاحدث تفريجا عظيماً . وتمنيت لو ان الشعب الالماني يتعظ بهذه العبرة ويصنع بنفسه كل ما يستورده من الخارج

وانشئت عدة شركات حربية بقصد الحصول على كثير من المواد الاولية . ولست أدري مقدار ما ستؤديه من الخدم الجليلة الا ان انشاءها على كل حال خفف تذمر الجمهور .

ان مسألة وسائل النقل كانت اساس الاطمئنان على حياة البلاد الاقتصادية ويدور محور هذه المسألة حول القطارات والعربات وعمال الحركة والفحم على الاخص . وقد اصيبت القاطرات التي لدينا باضرار جمة فاضطررنا لاجل تلافي اضرارها الى اعادة مصانعها التي تحولت الى معامل أسلحة وذخائر . وتنازل المعسكر العام الاكبر عن عدد كثير من الجنود اللازمين لهذا العمل فتألم الجيش من هذا النقص العظيم

ولم تكن الحاجة الى القاطرات والعربات مقصورة على المانيا بل لقد امددنا النمسا بمئات من القاطرات و بضع عشرات من الوف المركبات وكذلك امددنا تركيا و بلغاريا بالقاطرات والعربات وعمال الحركة. ولقد اضطررنا الى عدد هائل من القاطرات في البلاد المحتلة الواسعة التي لم تكن فيها ادارة مواصلات منتظمة . ومع اننا قد استولينا على مقادير كبيرة من القاطرات والمركبات في الروسيا و رومانيا وشمال فرنسا و بلجيكا فانها لم تف بالحاجة وكان لا بد من اعدادها على خطوط السكك الحديدية الالمانية وكان اكثرها متلفاً . وقد تمكنت رومانيا من تهريب بضعة آلاف مركبة المانية الى البغدان (مولدافيا) لاستخدامها في شؤنها العسكرية .وكانت توجد عقبة اخرى داخل المانيا وهي اختلاف قاطرات السكك الحديد في ولايات الاتحاد الالماني . وهذه العقبة كان من الواجب تذليلها قبل الحرب اما الآن فمن الصعب ايجاد حل لها .

وفي الحقيقة ان المانيا لم تكن متأهبة الا لحرب قصيرة الاجل فبعد ان ولجنا بهرة الوغى رأينا أن نسرع بالتأهب لكفاح طويل المدى .

ومع أن الفحم كان الزم الاشياء للسكك الحديدية فان القطارات الموجودة لم تستطع ان تنقل المقادير الضرورية منه مع وجوده جاهزاً بكثرة في اماكن استخراجه .

ولكي نقوم بجميع النقليات العسكرية اضطررنا الى تضييق دائرة النقل التجاري فاحدث هذا ازمة اقتصادية .

ومن الاسف ان وسائل النقل النهرية كانت ضعيفة بالمثل لاننا لم نعد كل الاقنية والمجاري في زمن السلم للملاحة ولم نهيء لها وسائل النقل اللائقة بها . فاضطررنا الى انشاء ادارة ملاحة نهرية وامدتنا وزارة الحربية بالرجال اللازمين لاعمال هذه الادارة .

وتحسنت حالة النقل التي كانت سيئة في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧
ان الحديد والفحم قوتين فعالتين عظيمتين ! وقد أصيبت المانيا بأزمة شديدة في شتاء سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ لان تموين المانيا بالفحم كان جارياً على طريقة سيئة فطلبت من المستشار انتداب هيأة تتولى استخراج الفحم وتوزيعه ولم تخف الازمة الا عندما عهدت هذه المسألة الى مستشار المناجم الخاص ستوتز فانه زاد المقادير المستخرجة من المناجم وعرف كيف يوزعها بحساب دقيق على المنازل والمصانع وشركات النور ووسائل النقل والآلات الزراعية والسكك الحديدية والبحرية . ولقد كان من أشق الامور على نفسي أن أحقق ما اقترحه علي في مايو سنة ١٩١٧ من تسريح ٥٠٠٠٠ عامل لاستخدامهم في مناجم الفحم ، لان هذا الطلب كما لا يخفى صادف الهجوم الاكبر الذي قام به الاتفاق لدخول رومانيا حومة القتال. وأكرر القول هنا أن المانيا لم تقدم من ابنائها الرجال الكافيين للجيش ومع ذلك فان الانتاج شرع يقل على التوالي وبالطبع ان مثل هذا الامر يعتبر ضربة شديدة على موقفنا ومستقبلنا

ولم يكن لدينا من الحديد ما يفي بمطالبنا الكثيرة منه فأخذنا نستورد مقادير وافية من حديد السويد . وقد أسعفتنا المقادير العظيمة التي وجدت من الحديد فيما وراء القوقاز ومكنتنا من ايفاء صناعاتنا الحديدية حقها . واحتياجنا الى الحديد شديد لصنع الفولاذ اللازم للمدافع والذخائر وللاسلاك الشائكة وللسكك الحديد

وكانت حاجتنا الى البنزين شديدة جداً وكذا للبترول واذ لم تكن لدينا المقادير اللازمة منهما فقد اعتمدنا في البترول خصوصاً على النمسا ورومانيا . وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في النمسا لاستغلال آبارها فان محاصيلها لبثت غير كافية . أما رومانيا فقد حصلنا منها على الشيء

الكثير الا انه لا يفي بحاجتنا الشديدة . وفى سنة ١٩١٨ بلغنا ماهوفوق حاجتنا من مستودعات القوقاز الهائلة

واستمددنا من البقاع المحتلة الاشياء اللازمة للخنادق والاستحكامات وفى مقدمتها الاخشاب والحصى

وبما ان الحرب اخذت تتطلب بتطوراتها الغريبة كثيراً من الخامات لادخالها فى الصناعات الحربية المتنوعة فقد وجه المعسكر العام الاكبر دعوة خاصة الى الحاكمين العامين فى بولونيا وبلجيكا ببذل كل ما فى وسعهما للحصول على الخامات ولم نقتصر على هذه الدعوة بل عمدنا احياناً الى التنقيب وراء المواد المطلوبة التى كانت تخفى عن الانظار بمهارة فائقة. ومن ذلك اننا احتجنا الى أجراس الكنائس فسلمتها الينا المانيا وأما بلجيكا فامتنعت ووسطت المستشار هرتلينج لدى الامبراطور

ومن المؤكد ان البقاع المحتلة أفادتنا أعظم فائدة لا من وجهة توفير الخامات اللازمة للصناعات الحربية فقط بل من جهة تموين المانيا بالمثل وان كانت قد تقاضت منا ثمناً باهظا من الايدى العاملة . ولم يشأ المعسكر العام الاكبر ان يتداخل الا حينما اشتد مسيس الحاجة الى تداخله كتأخر بلغاريا أو تركيا فى تسليم تعهداتهما أو مساعدتهما على سرعة العمل وتوسيع نطاقه . أما الاعمال الاخرى فقد تركت الى وزارة الحربية وفى مقدمة هذه الاعمال استغلال مناجم الصرب النحاسية التى بلغ نفعها الدرجة القصوى . ولا ننسى فضل العلم فى تنويع العمل وتسهيل الاعمال فى تموين الجيش بالمثل فله الشكر والاعتراف بالجميل .

ان أهم ما يشغلنا هو تموين الشعب والجيش . فانهما اذا لم يتغذيا جيداً هزلت أجسادهما وضعفت قواهما وساورتهما الوساوس والافكار السوداء ولقد بذلنا جهوداً عظيمة لتوفر الاغذية غير ان استحكام الغلاء جعل قسما

عظما من الشعب وعلى الاخص من الطبقة الوسطى أي التي تعيش بمرتبات شهرية محدودة وفى جملتها الضباط والمستخدمين بكابدون اشق العناء في تموين اسراتهم

وكان من رأيي محاربة الاحتكار والبيع الخفي كما كنت أذهب الى وجوب تحرير الاثمان من القيود فانها اذا ارتفعت جعلت الفلاحين يطمعون فى ارتفاعها فلا يبيعونها للمحتكرين

ولكى نوفر سائر المحاصيل الزراعية عمدنا الى الاكثار من الاسمدة الصناعية بدلا من الاسمدة الطبيعية التى قلت فبحثنا عن الفوسفات فى البقاع المحتلة من فرنسا والبلجيك وبالوسائل العلمية انتجنا مقادير عظيمة من المواد الازوتية . وبفضل الآلات المخترعة والطرق المبتكرة كثرت محصولاتنا حتى أصبحت على توالى الايام كافية لسد عوز الشعب والجيش فى آن واحد . وزرعنا كل ماهو صالح للانبات فى البقاع المحتلة بواسطة الجنود الآن كثرة تنقل هؤلاء لم تؤد الى بلوغ النتيجة العظمى

وخوفاً من حدوث ازمة زراعية أخذنا نجفف البطاطس وندخره على ان تحسن الزراعة ازال هذا الخوف فاخذنا نسهل طرق نقل المحصولات ببث الاوتوموبيلات العديدة التى طفقت توزع البطاطس بكثرة على سائر الجهات

وعندما استولينا على الافلاق فى رومانيا فاضت علينا نحن والنمسويين والعثمانيين موارد الارزاق وفى الحقيقة اننا لم نكن نعول انفسنا فقط بل كنا نعول النمسويين بالمثل ونمد العثمانيين ببعض المطالب الحيوية التى لم تتوفر لديهم وكان العنصر الالمانى فى النمسا ولا سيما سكان فينا يتضورون جوعا من امتناع المجريين والتشكيين عن امدادهم بالاغذية

اما بلغاريا فكانت أحسن حالة من النمسا لتوفر الماكل لديها على

الرغم من اتباعها طرق الفلاحة العتيقة التي لاتنتج الفوائد الجمة من الارض
وأما تركيا فكانت وسائل الزراعة متأخرة فيها جداً . وقد أخذنا نحث حكومتها على اتباع الطرق الفنية الحديثة . وأردنا أن نرسل اليها محاريث ميكانيكية ضخمة لحرث مساحات واسعة من أراضيها الخصبة للحصول على خيراتها المكنوزة فى جوف أراضيها البكر . غير أن مساعينا لم تجد هنالك

ودار الكلام فى خريف سنة ١٩١٦ فى صدد ايجاد مصلحة عامة لتموين التحالف الرباعى . بيد ان هذه المصلحة التى استقبل انشاؤها بالسرور العظيم لم تؤد الفائدة المرجوة منها لان كل دولة لها مطالب خاصة .

ان استيلاءنا على رومانيا أو بالاحرى على الدبروجا و والافلاق كان له أهم تأثير فى مجرى الحرب ، لان هتين المقاطعتين عادت على التحالف الرباعى باعظم الفوائد اذ انقذناه من سائر الازمات التى كانت تهدد حياته الاقتصادية .

ولم يكن البترول هو المنبع الفياض الوحيد الذى در علينا اخلافه بل لقد أصبنا من غلال الولايتين المذكورتين مقادير جسيمة . فاما تركيا فاعطيناها كل ما كان مخزوناً من القمح قبل دخولنا رومانيا ، واما بلغاريا فاختصصناها بمحصول الخريف ، ولم يبق سوى النمسا والمانيا لاقتسام المحاصيل المستغلة من مواسم الزراعات التاليه من قمح الى ذره . غير أن مطامع النمسا كانت متجاوزة كل حد .

ورأينا أن نشرع فى تنظيم وترقية الزراعة الرومانية لتكون محصولاتها اوفر من الأول بكثير ، ففاضت خيراتها واستفدنا منها عدا القمح والاذرة كثيراً من البقول والفواكه والبيض . ولاستخدامنا البهائم التي

وجدناها فى رومانيا . فى اول فصل زراعي لم نستجر مقداراً عظيما من اللحوم الرومانية فى باديء الامر .

واتلف الاتفاقيون آبار البترول وادوات استخراجه وتنقيته الى حد ضايقتنا جد المضايقة غير ان هذا الاتلاف لم يقف حجر عثرة فى سبيل همتنا التى تغلبت على أشد الصعاب فشققنا آباراً حديثة واحتفرنا أغلب الآبار المردومة وصنعنا ادوات حديثة واصلحنا ما امكن اصلاحه من الادوات القديمة واخيراً أنشأنا مجاري طويلة لتحويل البترول من اماكن استخراجه الى محطات نقله سواءا بالسكة الحديد ام بالبواخر ، ولم تتم هذه المجاري عند عقد الصلح . وانشأنا لنقل البترول اتوموبيلات ومركبات سكك حديدية وبواخر ذوات احواض كبيرة . ونظمنا طرق الملاحة في الدانوب كما نظمنا سكك حديد رومانيا لاجل هذا الغرض .

وكل هذه الاعمال الهائلة اقتضت انشاء ادارة خاصة لاستثمار رومانيا اقتصاديا وعهد بهذه الادارة الى قائد الماني وهيأة اقتصادية المانية . أما ادارة شؤون البلاد فقد تركت الى رجال الادارة والقضاة والموظفين الآخرين الرومانيين الذين ظلوا فى مراكزهم والمراكز التي هاجر موظفوها اسندناها الى موظفين جدد من الرومانيين بالفعل . فخصت [illegible] القيادة الالمانية امر الاشراف على ادارة هذه البلاد .

وعانينا أشد العناء [illegible] كما [illegible] في [illegible] البلغاريين في الدوبروجة اما الاتراك فكانوا يقولون [illegible] اعمالهم بحسن المعاملة والمجاملة لنا .

واما [illegible] الاشراف على منطقة المراحل الى [illegible]

وتركنا [illegible] البلغارية [illegible] الى [illegible] من منطقة المراحل في الافلاق الى النمسا . ومع شدة احتياجنا [illegible] فقد كنا

يتفق اخيراً.

لقد أصيب الشعب الالماني بازمات عظيمة من جراء الحصار البحرى الذى اراديه الانفاق اضعاف قوتنا الجسدية والعقلية ومحو قوة ارادتنا وتصميمنا على مواصلة القتال لاجل سلامة وطننا وشعبنا . ولكن الذي أصيب به الشعب الالماني اكثر من ازمة الاجاعة والاضعاف هو سلاح الدعوة الجوابة الذى انفق عليه الاتفاق معظم النقود التي اقترضها من الولايات المتحده . بل لقد اهتمت الولايات المتحدة نفسها في بادىء الأمر بهذا السلاح القاتل فتحملت نصف ما كان ينفقة الانفاق عليه ثم زادت رغبتها فى العناية بترويج الدعوة ضدنا الى حدان لم يعد لما تنفقه على ترويج الدعوة حد محدود . وما ترك الاتفاق وسيلة من وسائل النشر الا عمد اليها . فبينما نحن ملتزمون خطة واحدة فى جبهة القتال لانتعداها ولا نحاول ابتكار سواها وهى عزمنا القاطع على الانتصار بالحسام اذا بالاعداء وقد عجزوا عن مغالبتنا بالسيف يعمدون الى اضعاف ثقتنا بقوتنا من انفسنا . وفى الحقيقة ان الالمانيين لا بصر لهم بالدهاء السياسي، ولذا لم يقاوموا خصومهم في ميدان السياسة كما قاوموهم فى ساحة الجلاد . فانصرافنا بعد العصر البسماركى الى الاعمال الاقتصادية البحتة والى نشر متاجرنا وصناعاتنا فى سائر انحاء العالم وجرينا وراء مشروع السكة الحديد البغدادية لنفوز بالتفوق الاقتصادى على العالم اجمع صرفانا عن الاطلاع الى ما تضمره لنا الدول الكبرى من حقد التنافس والى ما تعده فى الخفاء وفي العلن لاتقاء شر مزاحمتنا وتفوقنا .

أن انجلترا التى اشتهرت من قديم الزمان بانها منبعث الدسائس ومحرك الثورات والتى أقر كبار رجالاتها بانهم يستطيعون ان يخلقوا الفتن كلما شاءوا ادركت ان التغلب على المانيا بالسيف مستحيل وان لابد الدو

الاتفاق من ايجاد ثورة داخلية في البلاد الالمانية لهدم بناء الامبراطورية الالمانية بما فيها ركنها المتين وهو الجيش الالماني . فنظمت لهذا الغرض مصلحة خاصة واسعة النطاق يرأسها اللورد بيفربروك ويدير قسمها المختص ببلاد الاعداء اللورد نورثكليف ويدير كيبلنج القسم المختص بوطنه انجلترا ومستعمراتها ويدير اللورد برذرمير قسم البلاد المحايده. ويدل على مقدار الخدم الجليلة التى اداها اللورد نورثكليف تهنئة المستر لويد جورج اياه بعد الحرب لتأثيره بدعوته الجوابة فى عقول الجماهير الالمانيه .

وكانت هذه الدعوى ترمي الى زعزعة الصلة المتينة التى تصل الامبراطورية الالمانية بالبيت الامبراطورى وببعض الاسرات المالكة الالمانية لتتوصل من هذا الأمر الى فصم عري الاتحاد الوثيق بين عناصر الشعب الالماني. وللوصول الى هذا الغرض اخذوا ينشرون آراءهم الوهمية عن صلح التصافي وحكم الشعوب انفسها بانفسها وتحرير الشعوب الصغيرة المستضعفة واحكام روابط الاخاء بين امم العالم . وينعون على العسكرية البروسية جفوتها ورغبتها فى التسلط على العالم وحبها الاشعبي للاستعمار وتحكمها فى رقاب العمال وارهاقها اسرى الحرب واستبدادها فى بلجيكا وفى بولونيا وليتوانيا .

ومن سوء الحظ ان هذه الدعوات المؤذية تهاطلت علينا من سائر الجهات فمن هولاندا الى سويسرا الى الدينمارك فالنمسا حليفتنا بالمثل واخيراً تساقطت علينا من اعلى الجو . والفت لدينا تربة خصيبة لاعداد الافكار للثورة المدمرة بما كان ينشره الحزب الاشتراكى المستقل قبل الحرب وفى خلالها من الآراء التى لا تتفق مع مصلحة المانيا . وجاءت الثورة الروسية ضغثاً على اباله . فنجحت انجلترا فى تلويثها افكار الالمانيين

بادارات اليأس والتذمر والهياج . وكان الاتفـاق واثقاً من نجاح دعوته ومنتظراً نشوب الثورة في المانيا لادراك الفوز النهائي وصرح احد كبار ساسته بان لا سبيل لتغلب الاتفاق على التحالف الرباعي الا بنشوب الثورة في المـانيا وأن نشوبها محقق في الربيع . وكان تصريحه هذا في اوائل ١٩١٨ .

ولم يخطيء بسمارك في قوله منذ ثمانين سنة : « أن مهنة انجلترا التي احترفتها منذ اعوام طوال هي استخدام الثورة ضد كل الدول الاجنبية اللواتي يعاديتها . » وهو انمـا يردد ماجاهر به الوزير كاينغ في مجلس العموم يوم ١٢ ديسمبر ١٨٢٦ اذ قال : « اذا انسقنا الى حرب فاننا نضم تحت راياتنا كل الناقمين والساخطين بحق أو بغير حق على البلاد التي نحاربها . »

فالاتفاق لم يتغلب علينا ولم يقهرنا ونحن في الحقيقـة كنا ننازل العالم اجمع وكانت قوانا كافيـة لادراك النصر النهائي الا أن انتشار دعـوات الاعداء الجوابة فتت في عضدنا واذا كان الحصر البحري قد كسر نطاقه بسيفنا الذي استطال على رومانيا فاننا في الواقع عجزنا عن التغلب على شر الدعوة المعادية .

— ٧ —

أن المستشار من المسئول عن تقوية [illegible] الادبية [illegible] الالماني على أن المعسكر العام الاكبر لم يتأخر عن تنوير [illegible] على حقيقة واجبه وان كان لم يضطلع بالعمل من [illegible] المستشار رسميا ليقوم بالعمل اللازم لهذا الامر . [illegible] المستشار أن [illegible] أسباب [illegible] الاتصال بالدول المتحالفة [illegible] بين [illegible] بالالمان [illegible] قسم كبير من حياتنا الاجتماعية

فبعد ان كان الجندى المرابط فى خط القتال شديد القلق من جهة حلول غيره محله ذهبت من بين جوانحه تلك الرغبة الصادقة فى الذود عن الوطن . فلمتلا فى هذا التطور المحزن كان من الواجب على المستشار بعد ضربه على ايدى المحتكرين أن يفهم الشعب ان الصلح الذى يرغبه لا يمكن الحصول عليه الا من عدو مقهور .

ان عدم حنكتنا السياسية هى التى أوقعتنا فى أشراك الألفاظ الجوفاء التى تسبى العقول . على انى ظللت اعلل النفس بعودة الشعب الالماني الى رشده وادراكه ما يراد به من وراء تلك الالفاظ الجوفاء والجمل المنمقة التى تلقى على اسماعه . ولكني كنت فى الحقيقة مخدوعاً لان الاحزاب السياسية استخدمت سذاجة الشعب الالماني فى مصالحها الخاصة التي آثرتها على الوطن . ولم يجد فقد العاطفة الوطنية من نفوس الاشتراكيين المستقلين ما يراجحه من تلهب الوطنيــة في نفوس ذوى اليسار . فطائفة الاغنياء مسؤولة عن انحطاط بلادنا . فالينبوع الذى ستورد منه جنديتنا قد كدر منينه فبعد أن انحطت قيمة مستشارينا الذين تولوا أزمة الحرب عن قيمة اقرانهم المتسلطين كليمانسو ولويد جورج و[illegible] [illegible] وسائل المعسكر العام الاكبر التى اتخذناها لمحاربة دعوة العدو ا[illegible] فى داخل البلاد وفى البلاد المحايدة وافية بالمرام وصارت الصحافة أصدق مرآة للشعور العام بتمثيلها اختلاف الآراء وتطورها فى مظاهر [illegible] الذين [illegible] مع حالة الحرب . فبعد الحماسة الشديدة التى استولت على النفوس [illegible] ١٩١٤ الى الارتقاء فى غمرة الوغى [illegible] تأسفنا [illegible] فى [illegible] ذلك العام واندفعت بعض الصحف الى مدح الشعب [illegible] السلطة الحكومية العامة بتحبيذها فكرة [illegible] و[illegible] الشعوب وهما امران لا يزالان بعيدى الحدوث . وأخذت [illegible] تنشر [illegible]

للعقول السابحة فى لجج الاحلام راسمين لها المستقبل على شكل قمم ملتمعة من النضار ولم تكن الصحافة الالمانية متشبعة بروح الاتحاد المتشبعة به الصحافة المعادية لانها كانت بلا دليل ولا رقيب ففوضاها أضر على سير الحرب من عدم وجودها . على انني كنت كلما رجوت الصحافة ان تكتب عن الشؤون العسكرية ما تقتضيه الحالة حققت سؤلى وهذا يدل على انها كانت تحتاج الى مشرف عليها واني لاشكرها فى هذا المقام . وقد استفاد العدو فى نشر دعوته من الانباء الحربية التي كانت صحفنا تنقلها عن الجرائد المعادية والمحايدة رغبة منها فى اطلاع قرائها على كل نبأ نادر غريب

وفى ديسمبر سنة ١٩١٦ رأيت أن أتلافى عواقب هذا الاهمال بالرجاء من المستشار ان ينشىء ادارة تحت اشرافه ترسم للصحف الخطة المثلى . ووفقاً لطلب المستشار وجهت اليه باحد الضباط ليشترك مع مندوب من الاستشارة فى ادارة خطة الصحافة الالمانية الا ان هذا المشروع لم يؤد الى الغرض المنشود ومع ذلك فان قلم المطبوعات أدى فوائد لا بأس بها فى خلال الحرب وكان خير وسيط بين الصحفيين وبيني ولطالما لاقيتهم بالترحاب واعرتهم اذنا صاغية . انما يرجع عدم ادراكنا جميع مقصدنا الى تعدد اجزاء الصحافة من ساكسية الى وورتمبرجية الى بافارية واهتمام كل منها بمصلحة بلدها قبل كل شيء ويرجع بالمثل الى وقوع منازعات جمة بين محرري الصحف وناشريها ، والى تخلي وزارة الحربية عن رقابة الصحافة فى سنة ١٩١٧ .

وقد ادت الصحف العسكرية التى انشأناها فوائد جمة واشتهرت بعضها لدى الاعداء بصدق انبائها وصواب آرائها . وعلى كل حال راقبنا الصحف المراقبة التى مكنتنا من موالاة الحرب الى خريف ١٩١٨ .

ولكن حليفاتنا لم تقتد بنا ولا سيما النمسا وصار اسم المانيا يذكر

ءا لا يليق به فى تلك البلدان التى اريق لاجلها الدم الالمانى الزكى .

واخيرا نظمت دعوتنا العسكرية فى البلاد الاجنبية فروعاً لها في الدول الحليفات .

--٨--

يجب ان تتقدم الدعوة المحكمة تنفيذ المشروعات السياسية وتكون رائدها فى انتشارها . فقبل أن تبرز الآراء السياسية الى حيز الوجود ينبغى التمهيد بافهام العالم ضرورتها وفائدتها الادبية . الا اننا لم نكن نتبع هذه الطريقة قبل الحرب حتى اننا لم نسع فى ايجاد صحف كبرى لنا تكون موضع اهتمام العالم كالتيمس فى انجلترا والطان في فرنسا والنوفوجى فريمجا في الروسيا . وعلى ذلك أصبحنا فى مؤخر الدول الكبرى من هذه الوجهة . وحينما وصلت الى المعسكر العام الاكبر لم اجد سوى ادارة صغيرة لاتستحق ان يطلق عليها اسم نظام الدعوة الجوابة .

وفى صيف ١٩١٦ طلب المعكسر العام الاكبر من المستشار تنظيم ادارة حقيقية لنشر الدعوة . وبعد التغلب على بعض المعارضات ولاسيما ما كان مصدره وزارة الخارجية انشئت تلك الادارة . ومع انها كانت تابعة للوزارة المذكورة التى تتولى الانفاق عليها فان المعسكر العام الاكبر تولى اعمال هذه الادارة من غير ان تبدي وزارة الخارجية تبرماً أو احتجاجا .

وقد اهتم الكولونيل فون هايفتن بأمر نشر الدعوة في البلاد المحايدة وابتكر لانجاح عمله عدة وسائل ومشروعات فى غاية النفع . وعلى الرغم من محاذرة الاعداء البالغة فقد امكن نشر الدعوة فى فرنسا وايطاليا من هولاندا وسويسرا واسبانيا . غير أن حكومات الاعداء كانت شديدة الحذر فلم تدع دعوتنا تصيب حظها من الانتشار بل شرعت تخنق كل فكرة وكل صيحة بمجرد ظهورها . وكذلك اخذنا ننشر دعوتنا فى جبهات

القتال . فاما فى الجبهـة الروسية فكانت الحالة من تلقاء نفسـها غير داعية الي ترويج الدعوة لسقوط الروسيا من تلقاء نفسها . واما في الجبهة الايطالية فقد نجحت بعض النجاح ، ولكنها لم تنجح فى الجبهة الفرنسوية.

وكان اهم ما جنح اليه الكولونيل فون هايفـتن نشر الدعوة بطريقة المحادثة فتتناقل الافواه الموضوع المرغوب اذاعته بدون أن يعرف مصدره ونجحت هذه الطريقة نجاحاً باهرا . ثم نشرت الدعوة بواسطة الصور وبواسطة اشرطة السينماتوغراف. ثم انتشرت بطريقة اعـلانات مكتوبة بايجاز و باحرف كبيرة و بلصق اعلانات من هذا القبيل . وأخيرا اذيعت الدعوة بواسـطة الصحف والنشرات والخطب والمحاضرات . على أن تأخرنا فى نشر دعوتنا ومبالغة اعدائنا فى الحذر لم يمكنانا من ادراك كل مقاصدنا بواسطة ترويج دعوتنا

- ٩ -

لقد ظل الجيش حتى انتهاء خريف سنة ١٩١٦ وهو في حالة حسنة وقوته عظيمه لان الجيش يستمد دائما عزيمته من مجموع الشعب . ولبثت الامداد تصل اليه تباعا فلم نقتصر على استخدامها فى سد ابواب النقص بل [illegible] منها وحدات جديدة بالمثل . واستمر [illegible] البريد والصحف بانتظام الى الجيش ولم نمنع من الجرائد عنه الا [illegible] منها الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى المستقل .

وادخلنا تغييرات كثيرة فى انظمة [illegible] [illegible] اقتضت الحاجة الى ايجاد وحدات جديدة .

[illegible] سلاح الطيران [illegible] [illegible] من [illegible] الحلقات [illegible] تم لنا التفوق على العدو فى ميدان الجو واضطررنا

الى الاكثار من اسلحة مقاومة الطيارات ونشرناها في الجبهات وداخل بلادنا فدعانا هذا التحوط الى اختصاص عدد كبير من مقاتلتنا بمشروع مقاومة الطيارات المغيرة

وارغمتنا حرب الخنادق الى الاستغناء عن اكثر فرساننا فألفنا منهم وحدات من الرماة وأوقعنا طول الحرب في أزمة خيول شديدة لان ما استقدمناه من جياد الاقطار المحايدة والبقاع المحتلة لم يكد يسد أبواب النقص المتوالي

واتبعنا في احتفار الخنادق وانشائها في الغرب طرقاً حديثة ، اما في الشرق فبقينا محتفظين بخنادقنا القديمة . وأخذنا نعد الجيش للمعارك الدفاعية المقبلة بابتكار خطط حديثة لم تكن معروفة من قبل، واتخذنا من التجارب التي استخلصناها من معارك السوم قواعد لهذه الخطط . وكان القائد ارينزفون بيلوف أول من شرع في تنظيم الجيش وتدريبه على الخطط المبتكرة . وعممنا هذا النظام الجديد في جيوش حلفائنا بالمثل . الا ان تدريب الجيش النمسوي سار ببطء شديد . فأما الجيش البلغاري فكان نافراً منا ومع ذلك فقد نظمناه بقدر المستطاع . واما الجنود العثمانيون الموجودون في غاليسيا ورومانيا فقد نجحنا في تثقيفهم وتعليمهم الانظمة والتدابير العسكرية الحديثة أعظم نجاح . وكذلك نجح ليمان باشا في ترقية الجنود الذين تحت قيادته ، اما الفرق العثمانية الموجودة في الميادين الشرقية المتنائية فكان حظها بقاؤها على ماهي فيه من الانحطاط .

ولم يكن التطور الذى أصاب نظام الجيش الالماني مقصوراً على خططه وانظمته فقط بل أدخلنا تعديلاً كبيرا في ترتيب الوحدات وتقدير جنودها ليكون كل رئيس وكل ضابط قادراً على ادارة القوة الموكولة اليه .

وكان أشد مالقيناه من المصائب في هذه الحرب فقد الضباط

بكثرة تدعو الى الحزن الشديد والى القلق العظيم ، فان معظم اولئك الابطال متخرجون قبل نشوب الحرب وكانت العادة تقضى اذ ذاك بان لا يتولى رآسة البلوكات الا الضابط الذى يقضى فى خدمة الجيش من ١٢ الى ١٥ سنه. فاغلب اولئك الذين توسدوا الثري وتغطوا بالحشائش والاعشاب كانوا من التجارب والمراس بدرجة تجعل فقدهم خسارة لا يمكن تعويضها. وهذا ما الجأنا الى اسناد رآسة البلوكات الى ضباط أحداث قريبي التخرج من المدارس الحربية ، فكثرت الشكاوى من الكثيرين منهم فى بادىء الأمر الا أنهم لم يلبثوا أن تدربوا على وظائفهم.

ولا انسي أن اذكرهنا ضباط الصف الدين ادوا في الملاحم الكبرى وظائف الضباط وابدوا من الكفاءة لقياده الجنود في أحرج المواقف ما يستحق الاعجاب به والثناء عليه.

أما الجنود فقد تخطوا نصف مدة الحرب وهم قائمون بواجبهم الوطنى خير قيام . فكان من الواجب مضاعفة العناية بهم لتجديد قواهم الطبيعية التي انهكتها كثرت الاعمال وموالات القتال . وللوصول الى هذا الغرض شرعنا نلتمس لهم اوقاتاً يرتاحون فيها وان كانت الراحة في الحرب عزيزة المنال . وعنينا بتوفير مآكلهم وتنويعها وتحسينها كما اهتممنا بسكناهم واخذنا نبحث لهم عن الاثاث اللازم لهم فلم نجد المقادير الكافيه في البقاع المحتلة فادرنا ابصارنا الى داخل بلادنا ، ولذا كان الجنود ينقلون اثاثهم معهم حيثما ذهبوا . واخذنا نوفر لهم أسباب الانشراح والسرور بجعل الموسيقات العسكرية تطرب اسماعهم كل يوم باطيب الانغام واكثرنا لهم دور الصور المتحركه ; وان هذا ألاقل ما يستحقه الجندى الباسل من عنايتنا به جزاء سخائه بدمه وروحه بشجاعة متناهية في سبيل الذود عن الوطن المقدس .

—١٠—

ان اهتمام التحالف الرباعي باستخدام كل العناصر القابلة للافادة فى الحرب الكبري جعله يفكر فى استخدام قوى بولونيا المحررة بفضل هذا التحالف من نير التحكم الروسى . وبالطبع انني استقبلت هذه الفكرة بالتحبيذ والسرور فى بادىء الامر لان الحالة التى وصلنا اليها فى خريف سنة ١٩١٦ فى الميدانين الشرقي والغربي كانت تجعلنا نفكر فى الاستعداد لحرب طويلة المدى باهظة العبء

وحينما قدمت الى المعسكر العام الاكبر علمت بوجود اتفاق مبرم بين الفون بيتمان هولويج والبارون فون بوريان وزير خارجية النمسا تاريخه ١١ اغسطس سنة ١٩١٦ وهو مبرم فى فينا ومقتضاه تحرير بولونيا وجعلها مملكة مستقلة دستورية ذات حكومة قائمة على حدة ولكن قيادة جيشها العليا موكولة الى المانيا

وكان القائد بيزلر حاكم بولونيا انعام المحتك يسبح به الخيال فى لجة من التصور فيعتقد ان مجرد اعلان استقلال بولونيا وتأليف جيش وطني لها يساعدنا أعظم مساعدة على استخدام هذا الجيش في سبيل التفوق العددى . وكان يذهب الى امكان حشد أربع فرق أو خمس فى أول الامر وهذا القدر كاف لان يكون نواة للقوة العظيمة التى يمكن استثمارها من بولونيا . ولكن الايام اظهرت للقائد بيزلر ان الاعتماد على البولونيين خطا وان حلمه بعيد عن التحقيق

وفي الحقيقة ان المسألة البولونية اخذت تتقدم من خريف سنة ١٩١٦ فمن جهة بدأت مطالب النمسويين فى بولونيا تتضح بجلاء . ومن جهة أخرى أخذ البولونيون يغيرون وجهة نظرهم باعتقادهم انهم لن ينالوا استقلالهم الا

بواسطة دول الاتفاق ، وهذا التطور الذي طرأ على بولونيا جعلني اعارض في تكوين الجيش البولوني وفي تنفيذ ماتضمنه منشور التحالف الرباعي المعلن استقلال بولونيا . بل لقد أصبح المعسكر العام الاكبر يرى في تحقيق هذين الأمرين خطرا كبيراً على المانيا . واهتاج الرأى العام الالماني لنبأ تحرير بولونيا وتأليف جيش خاص لها وظن انني المحرض على هذين الأمرين فطلبت من الحكومة أن توضح الحقيقة الا أنها لم تفعل .

على أن الانصراف عن تأليف الجيش البولوني الوطني لم يحل دون استخدام العناصر القابلة للافادة في بولونيا فقد جندنا العمال البولونيين واستخدمناهم في الجبهة وفي الاعمال اللازمة لاستثمار بولونيا أو في الاعمال التي تتطلب الايدي العاملة في داخل المانيا فبولونيا افادتنا كثيراً على الرغم من عدم ثقتنا بابنائها وعلى الرغم من تعقد مسألتها ومن الدسائس المحدقة بها .

انتهى الجزء الاول ويليه الجزء الثاني